# الاتصال والتنمية

### **Communication & Development**

مجلّة بحثيّة محكّمة تعنى بشؤون الاتصال والتنمية في المجال العربي

مدير التحرير: د. عدنان خوجة

رئيسة التحرير: د. مي العبدالله

#### الهيئة الاستشارية العلمية

د. أحمد حيداس د. عبد الرزاق محمد الدليمي

د.الصادق رابح د. عزّة عبد العظيم

د. برتران کابدوش د. عماد بشیر

د. جمال مجاهد د. مسعود ضاهر

د. جورج صدقة د. مصباح الصمد

د.حسین سعد د. مصباح رجب

د. دينا مرزوق د. نصر الدين لعياضي

د. رفیق کرکوزوز د. هدی عدره

#### تصدر عن

دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع الزيدانية-بيروت

Tel:00 961 1 743166/7 e-mail: darnahda@gmail.com المركز العربي لبحوث الإتصال والتنمية(ACCDR)

e-mail: ittisaltanmia@gmail.com Tel/Fax: 01807245

#### جميع المراسلات بإسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني

الإشتراكات السنوية: لبنان والدول العربية ١٠ دولار أميركي بقية دول العالم ٢٠ دولار أميركي

السعر: لبنان ° ° ° 0.ل الدول العربية ٣ دولار أميركي بقية دول العالم ٧ دولار أميركي

العدد الثالث أيلول ٢٠١١



## الفهرس

تقديم: ثورة الاتصال و"الثورات العربية"
الاتصال ودمقرطة المسار السياسي د. بوحنية قوي
الأصالة والتواصل في تاريخ الفينيقيين
الفيس بوك والتغير في تونس ومصر
الفعل الاتصالي و المشروع النهضوي الديمقراطي العربي
الخبر في القنوات العربية بين المتطلبات المهنية والتوجهات السياسية:قناة فلسطين نموذجاً
الحركة التشكيلية في لبنان واشكالية الهوية
\\\\\\\ \\\ \\\ \\ \\ \\ \\ \\ \\ \\
الكلمة الخاتمة : متغيرات المشهد الإجتماعي الشرق أوسطي والأدوار الإقليمية١٤٢ة
تقرير العدد: حالة حقوق الانسان في العالم العربي

## ثورة الاتصال والثورات العربية

د.مي العبدالله

الاتصال الانساني هو في اساسه ثمرة وظاهرة لحرية اساسية، هي حرية التفكير وحرية التعبير، وقد فرض نفسه بصعوبة ضد قوى تحاول منعه او السيطرة عليه او افساده.

والاتصال الحديث عبر وسائل الاتصال الحديثة، يرتبط بالأساس بهدف سياسي، وهو تنظيم مساحة عامة لمناقشة المصالح العامة والخاصة. لكن هذه الرسالة المثالية تصطدم بمنطق اقتصادي يعيد طرحها، و بالتوتر القائم المستمر بين الرهانات الاقتصادية والرمزية التي هي في قلب النظام الاتصالي. فالثورة الصناعية التي حدثت في القرن التاسع عشر أعطت في الواقع للاتصال عبر الوسائل الحديثة بعداً استراتيجياً للتطور الاقتصادي للمجتمعات الغربية، اذ ظهرت في حينها كوسيلة مقررة لتحول طرق التفكير، التي يجب ان تتكيف مع البيئة الجديدة، وممارسات استهلاكية يجب ان تتزايد لتطوير الاسواق.

وتطور المجتعات، من جهة ثانية، ظهر كشرط اساسي لسير النظام النقدي الذي يوجب ايجاد نظام معلوماتي معقد يمكن من اخذ القرارات بسرعة وجرأة. ويرتاد الاتصال الاجتماعي قيمة تجارية valeur بعد ان اصبح ضرورياً لمجمل الفئات الاجتماعية، اذ تديره آليات تجارية موجودة حتى في مؤسسات تابعة للقطاع العام. والمؤسسات الاجتماعية التي ترتكز عليها هذه الوسائل هي مؤسسات تطلق منتوجات خاضعة لشروط السوق والمنافسة. و للصناعة الثقافية هذه يوجد رهانات اقتصادية هامة تبينها الحركات الثابتة والمستمرة لاعادة التنظيم التي نلاحظها في هذا القطاع (اعادة شراء المناصب، تحالف بين تجمعات..).

وأهمية الفوائد المتوفرة في الاتصال الجديد عبر الوسائل الحديثة تفسر بحقيقة ان الاتصال مشارك في الثقافة الجماهيرية. فالصحافة المكتوبة والوسائل السمعية البصرية وشبكة الانترنت تتميز بنشر الصناعة الثقافية. وهي لا تتكون من أعمال فردية، بل هي منتجات تسلسلية منشورة بطريقة منتظمة (في الصحافة) ومتواصلة (راديو، تلفزيون، انترنت). ووسائل الاتصال الجماهيرية يمكنها هكذا ان تجمع بصورة دائمة جماهير غير مستقرة، تشتريها مؤسسات تقوم بمساهمات اعلانية.

و تساهم وسائل الاتصال، وهي تحرك انتقال هذه التصورات عبر العالم الاجتماعي، في تحديد أنظمة القيم والعقائد التي تسود كقواعد ثابتة لجماعات (وطنية، محلية، مناطقية ..)، لذلك يعتبرتطوّرها السريع مهدداً لهوية بعض التجمعات الثقافية، ويمكن ان يتسبب في نشوء صراعات وتبني اجراءات تنظيمية متسرّعة أو عشوائية أو مخالفة لأسس الديمقراطية (مثل التلفزيون الفضائي او الانترنت سنة ١٩٩٢).

من هنا، اذا أرادت الدول أن تضع اطارا لوسائل الاعلام والاتصال، عليها ان تفعل ذلك بطريقة ديموقراطية في اطار منظمات غير خاضعة للضغوطات السياسية، تؤمن تعددية الاعلام ومسالة الاستخدام وموضوعية الصحافة الخ... وهذا الامر مبرر خصوصاً فيما يتعلق بالإنترنت الذي يمكن من زيادة مساحات ومجالات الحوار العالمية، ويفتح آفاقاً جديدة لحرية التعبير، كما يحمل امكانات كثيرة لنشر الاشاعات وتشويه الحقائق ونشر الفساد والمضامين الخطيرة الضارة. اذ يمكن ان تكون الانترنت وسيلة لنشر افكار واعمال تتناقض تماماً مع الأهداف الديموقراطية، كمواقع تشجع العنصرية او التعصب او تحمل اهدافا سياسية مناقضة للديموقراطية، او تروج للحق والحروب او تساعد بعض الاطراف على تحكيم سيطرتها على الناس. لذلك تعمد حكومات بعض الدول الى منع الدخول الى مواقع تعتبرها مؤذية، مثل الصين وسنغافورة حيث تعتبر المواقع المناصرة للغرب مؤذية.

لقد ظهرت شبكة الانترنت لرغبة في الاتصال بشكل اسهل واسرع ولذلك فهي تشكل مساحة واسعة للحوار، وهي تسمح بفضل ألبريد الالكتروني وامكانيات المحادثة ان تتواجه وجهات النظر وتتبادل المعلومات. هي تساهم في الاستعلام الافضل عن المواطنين وفي شفافية العمل العام، عبر نشر معلومات ادارية مثلاً وعبر البرامج السياسية للاحزاب، الخ ...وهي تمهد لتفاعل اكبر بين الحاكمين والمحكومين، فالاحصاءات الالكترونية تسمح بأن يعرف المنتخبون ما يتوقعه منهم المنتخبون وردات فعلهم، و يمكن ان نتصور ان الإنترنت هي الأداة الحديثة للمشاركة في العملية القضائية والنقاشات المفتوحة في البرلمان او ارسال الاقتراحات للبرلمانيين.

وتسهل الانترنت في بعض الجوانب الاعمال المشتركة الجماعية فتسمح لأفراد متباعدين يتشاركون بنفس الافكار ان يتواصلوا ويوحدوا جهودهم. ومازال استخدامها مخصصاً لنخبة تملك امكانيات مالية وعلمية متفوقة، وتتواصل بشكل دائم بفضل امكانيات تقدمها الحكومات او صانعو الحاسوب او موزعو الخطوط لجمهور مستخدمي الإنترنت...

اذن، لا يمكن تقييم الثورة الرقمية حسب كمّ المحتوى الذي يتمّ ضخه وتشييده على الإنترنت، ولا حسب عدد المواقع التي يتمّ صُنعها يوميًا، بل حسب التغيرات الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة. ولغاية هذا اليوم، فإنّ الولايات المتحدة الأميركيّة تقوم بالتحكم وإنشاء أكثر من ٧٠٪ من محتوى الإنترنت، بينما تستمرّ دول أوروبا بالتأخر وراء الولايات المتحدة، على الرغم من الرخاء العلميّ والاقتصاديّ والقانونيّ الموجود فيها.

ومن أجل تقدّم الدول العربية في مجال الإنترنت، لا بد من منح المزيد من الحرية بصنع المحتوى حسب حرية المستخدمين، مع الحفاظ على أسس هوية الدولة وعاداتها وتقاليدها. وفي هذا الاتجاه يتم تطوير كوادر بشرية قادرة على صُنع محتوى متطوّر ومتقدم، ولا ننسى بأنّ تطوير البنى التحتية للإنترنت ومنع احتكار

الخدمات وخفض التكاليف هي أحد أكبر العوامل التي تقوم بأخذ العالم العربي إلى المرحلة القادمة، خصوصا بالنسبة للتعليم الإلكترونيّ.

يمكن القول ان ثورة الإنترنت أحدثت ثورة في مجال الاتصالات الانسانية، وهي تمثل بداية ثورة اتصالية ومعرفية لها آثارها العظيمة على المجتمعات الانسانية، ولها دور أساسي في تطوير أنماط العلاقات الاجتماعية، والقضاء على التخصصات العلميّة الجزئيّة، والتوسيع من دائرة الباحثين و المفكّرين، و خلق لديهم رؤية للعالم أكثر شموليّة، و انتاج ثقافة انسانية من نوع جديد.

وقد لعبت ثورة الاتصالات دورا كبيرا في حياة المنطقة العربية، جعلتها في قلب الأحداث، أي انه لم يعد بمقدورها أن تنطوي على ذاتها، وان تمجد أخطاءها، وان تستفرد بذكريات الزمن الجميل دون مواجهة استحقاقات الزمن المعاصر. اذ أتاحت شبكة الإنترنت وسائل مستحدثة للاتصال مثل المواقع الالكترونية الخاصة والعامة، والمدونات، وشبكات التواصل الاجتماعي كالفايسبوك التي أصبحت الأداة الرئيسية لتحريك الثورة التونسية ثم الثورة المصرية في ٥ كانون الثاني ٢٠١١، وكل أحداث المنطقة العربية حتى بات دورها هو موضوع الأحاديث والدراسات، ومدار الجدل في كل الأوساط الاجتماعية في المنطقة.

من المؤكد أن تكنولوجيا الاتصال قد سهّلت تدفق وتداول المعلومات والأخبار بين الأجيال الشابة على نحو عفوي، لدرجة أصبح الشبان في غنى عن النخب الفكرية والأدبية والسياسية، وعن وبذل الجهود في طبع المنشورات وتوزيعها كما كان يحدث في التحركات الثوريّة في السابق. كما ساهمت وسائل الاتصال في إلحاق الشباب العربي بحركة العصر الحديث، وفي بعث العزيمة والحماس في قلوب مئات الآلاف من الذين ذبلت آمالهم وأحلامهم.

كان الشعب العربي جائعاً للثورات، بعد أن أضْطُيهد وظُلم لعشرات السنين من قبل حكوماته المستبدة من جهة، والقوى الخارجية المتمثلة في الغرب من جهة ثانية. وقد هدمت الثورات العربية باستخدام شتى وسائل الاتصال الحديثة، حاجز الخوف الذي كان يعيش فيه ، وها هو اليوم يتطلع نحو الحلم والحرية والحياة النبيلة التى هى من حقه الطبيعى.

سنركز في هذا العدد وفي أعداد قادمة على دور شبكات الاتصال في تغيير المجتمعات العربية ومجتمعات العالم، يعني على مساهمتها في الثورات والانقلابات السياسية والفكريّة والجغرافية والديمغرافية والاجتماعية والثقافية التي حدثت والتي سوف تحدث في الغد القريب.

و لنا مجددا في هذا العدد وقفة احترام عميق واعجاب واجلال للشعب العربي المناضل، ولأبنائه الثوار العرب الأحرار الذين يقفون كل يوم مع زوجاتهم وأطفالهم في مواجهة الموت، لا دافع لديهم سوى الأمل في العيش الكريم.

## الاتصال ودمقرطة المسار السياسي

د. بوحنية قوي كلية الحقوق و العلوم السياسية – جامعة ورقلة –الجزائر

#### توطئة:

تحاول هذه المقالة مقاربة الأدوات التي تؤديها تقنيات الاتصال المعاصرة بتنوعاتها و ثرائها و بتعدد ميكانيزماتها على عملية دمقرطة الحراك السياسي ، و التنمية السياسية ، من خلال ضبط أهم المؤشرات التي يمكن من خلالها قياس تأثير التقنية على أنماط التفكير السياسي و الممارسة السياسية. أولا: مقدمات معرفية: (ملامح إعلامية – و أدوات منهجية ).

تتجه الدراسات الإعلامية المعاصرة في منظوراتها السوسيولوجية إلى مقاربة الأدوار المتنامية للوسيلة (Media) هذه الوسيلة التواصلية التي أضحى ينظر إليها على أساس ما تقدمه من تأثيرات ترتبط بالعلاقة التشابكية بين الأدوات الاتصالية الحديثة «شبكات التواصل-مصادر المعلومات المفتوحة-المدونات...» و الأدوار الاجتماعية (social rols)، إنها علاقة حتمت النظر في إيجاد براديغم جديد (New paradigm) لنقل التأثير السوسيولوجي السياسي من المجال الخاص (private space) و ما تشمله من رغبة في تحقيق سلم الحاجات الفردية إلى المجال العام (public space) و ما يتعلق به من الحاجة إلى الممارسة السياسية، و دفع الحراك السياسي من خلال الإسهام الجماعي في الفعل السياسي في عملية التغيير، و مسار البناء السياسي في الفعل السياسي في عملية التغيير، و مسار البناء السياسي في عملية التغيير، و مسار البناء السياسي الفعل السياسي في عملية التغيير، و مسار البناء السياسي للدولة .

إن هذا التطور المطرد أعاد النظر في المقولات القديمة التي صنفت الوسائل إلى أدوات باردة و ساخنة وفق الرؤية الماكلوهاتية (نسبة إلى مارشال ماكلوهان) و أحدث إرباكا حقيقيا تطلب إيجاد أدوات حقيقية لمواكبة هذا التطور، و طرح التساؤل التالي بإلحاح: هل تستطيع الأدوات التنظيرية و المنهجية في المحتوى أن تواكب التطور الحادث و المتسارع في الوسيلة ؟

إنها الصعوبة المنهجية و المعرفية التي ستصادف حتما الباحثين في حقول العلوم الإنسانية عموما و حقل الإعلام على وجه الخصوص ، في هذا المجال في ظل عصر تتحول فيه أدوات و مفاهيم السلطة بفعل سطوة الثلاثية «التسارع و الآنية و المؤقتية» وفق رؤية «ألفن توفلر» «alvin toffler» (۱)

و أمام هذا الموج الدافق في الوسائط الاتصالية نجد أنفسنا أمام إحداثيات جديدة ، و مفاهيم متجددة يمكن إبرازها في الملامح التالية :

ثمة اتجاه ينادي بإعادة النظر في دور الصحافة ، وهذا الاتجاه يسمى اتجاه «إعادة اختراع الصحافة»: و هو اتجاه أمريكي بالأساس من أبرز رواده "مايكل ماسينج —Michael Massing" الذي يرى أن الصحافة الورقية تتراجع بشكل متسارع فاسحة المجال أمام الفضاء التدويني الذي أثبت قدرته على اجتذاب المتخصصين في مختلف المجالات، فمثلا للحصول على رأي حول مشاكل الرعاية الصحية في أمريكا تقرأ مدونة Kevin phok K لأخذ نظرة واقعية حول أوضاع التعليم في مدونة joanne تقرأ مدونة والحديث عن السياسيات الصحية و الدوائية تطالع مدونة based لصاحبها للبروفيسور Mark kleiman في جامعة كالفورنيا ، "community".

إن الأنترنت أصبحت بمثابة حاضنة لكل هذه التجارب ، فموقع youtube يقدم نصائح عن عمل التقارير التلفيزيونية ، كما قامت مؤسسة global post بالتنسيق مع عشرات المراسلين المستقلين لإيجاد منافذ لنشر عملهم ، كما أن الدفة تتحول من يد المؤسسات الصحفية إلى ناحية الصحافة الفردية من خلال البحث و الرسائل الإلكترونية و المدونات و الإعلام الاجتماعي و غيره الكثير ، و هذا دليله ازدياد طلب المستهلك على صحافة الأفراد بدلا من الماركة المسجلة للمؤسسات الصحفية و مثال تجربة global post التي تعتمد في الأساس على مراسلين و مصورين مستقلين (٢).

## أولاً: تزايدت الكتابات حول تحرير الفضاء الاجتماعي معلوماتياً و إعلامياً:

فالقارئ المتخصص تذهله الكتابات حول تحرير الإنسان من قيود السلطة الساسية بفعل ديمو قراطية التداول الإعلامي و الإنساني للمعرفة ، فموقع فايسبوك على سبيل المثال استطاع أن يضم أكثر من ٢٥٠ مليون منخرط ، و موسوعة ويكبيديا و الحرة أصبحت ظاهرة حقيقية على الانترنت تضم ما يزيد على ٢٥٠ مليارمقال بالإنجليزية و أكثر من ٨ ملايين مقال بالألمانية و ٢٠٠٠,٠٠٠ بالفرنسية و اليابانية و البولندية ، وهناك طبعات للويكبيديا إلى ٢٥ لغة ، و تتميز الويكبيديا و غيرها من الموسوعات الحرة ، بقدرتها على إتاحة الفرص للجميع للمساهمة في تحرير المحتوى ، مما جعل معدل الكلمات في الموقع يفوق ٣ ملايين كلمة شهريا (٤٠).

إعادة النظر في المفهوم الإجرائي للديمقراطية (ميلاد الديمقراطية الديمقراطية):

يذهب «انتوني جيدنز» إلى تأكيد محورية الدور الذي تلعبه تقنيات الاتصال في افتتاح الفرصة لتوسيع نطاق تداول المعلومات السياسية مما يعطيها أبعادا جديدة في عملية الانتقال الديمقراطي (°).

و من خلال تحليل توظيف وسائل الإعلام و تقنياتها للرأي العام في نطاق عملية التحول الديمقراطي خلال السنوات الأخيرة تولدت ديمقراطيات جديدة ذات ألوان و مسارات ، « إذ بدأت قطارها بثورة زهرية وردية في جورجيا ، لتصل إلى الثورة البرتقالية في أوكرانيا ، و ثورة السوسن في قيرغستان» (1)، ثم ثورة

الياسمين في تونس.

إن التكنولوجيا الرقمية تلعب دورا في تغيير كثير من الممارسات الديمقراطية ، بل و مستحدث منها أشكالا لم تكن موجودة من قبل بسبب قوتها الهائلة في إيجاد وسائل شديدة التنوع و الوفرة، فيما يتعلق بالتواصل بين البشر ، حتى أن البعض يرى أنها أفرزت التوجه نحو اللامركزية بدلا عن المركزية، و أفرزت التوجه نحو العالمية على حساب القوميات المحلية ، و التوجه إلى إلغاء التخصصية و إلغاء العديد من الوسطاء في العملية يصل لمستوى مخاطبة كل مواطن على حدة (٧).

أعطت تقنية الاتصال الجديدة الديمقراطية بعدا جديدا «هي الديمقراطية الإلكترونية» وأهدت الحكومات أساسا تنظيميا متطورا هو الحكومات الإلكترونية و قدمت للإحتجاجات و الأنماط الديمقراطية رؤى جديدة كالاحتجاجات الإلكترونية الاعتصامات الإلكترونية، و العصيان المدني الإلكتروني، الذي يعتبر «هنري ثورو» أهم منظريه، إذ يكفي جلوس عدد كبير من الناشطين سياسيا وراء شاشات الحواسيب، والاتصال بالأنترنت للتظاهر و تكوين رأى عام بصور أكثر فاعلية مثل:

القيام بإرسال آلاف الرسائل الاحتجاجية و المنددة إلى شتى الجهات المعنية بصورة ضاغطة مزعجة عن طريق البريد الإلكتروني، غير أنه يستخدم هنا لغرض سياسي لا لترويج سلعة أو الدعاية لها .

الدخول إلى غرف الدردشة في الأنترنت للقيام بحوارات و تكوين رأي مناصر أو مناهض لقضية من القضايا، فيما يعرف باسم المحادثات السياسية، كذلك تكوين جماعات ضغط سياسية داخل مجموعة المناقشة في الانترنت.

القيام بتعطيل موقع ما عن طريق دخول عدد كبير من المستخدمين على ذلك الموقع في وقت واحد ، مما يعني ورود عدد هائل من الطلبات التي يجب أن يلبيها الحاسب الخادم الذي ينطلق من خلاله هذا الموقع ، و إغراق الخادم تحت هذا الطوفان من الطلبات ، حيث يقوم الناشطون بالدعوة لذلك العمل المنظم قبلها بفترة كافية ، حتى يتسنى لأكبر عدد من المشاركين الدخول في توقيت واحد دقيق بفتح عدد غير محدود من نوافذ المتصفح،

و كتابة عنوان الموقع فيه و الضغط عليه في ساعة صفر معروفة سلفا فيما يعرف بهجوم إيقاف الخدمة ،

و كل ذلك يؤدي إلى حرمان المستخدم العادي غير المنخرط في ذلك النشاط من الوصول إلى الموقع أو الخدمة التي يقدمها الموقع ، وهو عقاب للموقع من ورائه .

الوصول للهدف السابق نفسه بإحدى الوسائل السهلة غير المكلفة من حيث الوقت ، و لا تحتاج لأي خبرة، ومنها أمر يستخدم لاختبار وجود موقع ما ، غير أنه قد يستخدم من خلال مستخدم عادي ليكتب سطرا واحدا عبارة عن عنوان الموقع يتقدمه أمر ping ؛ ليقوم الجهاز بذلك الاختبار بشكل متكرر .

إرسال الرسائل إلكترونيا و تداولها ، بالإضافة إلى عمل المواقع لنشر الأفكار و الرؤى الخاصة في شكل مظاهرة لخلق رأى عام ضد قضية ما ، أو في سبيل تعضيد قضية أخرى ، بالإضافة إلى إبراز عيوب الأولى و مخاطرها،

فى مقابلة واضحة لمزايا و فوائد الثانية.

إنها الأسباب الحديثة لتنشئة سياسية معاصرة ، تواكب تطور التقنيات الاتصالية .

ثانياً: إنحسار الإعلام التقليدي وبروز سلطة خامسة: ثمة علاقة بارزة بين التطور التقني المتسارع، ومحتويات الشبكة العالمية.

لقد جعل التطور التقني المذهل لثورة المعلومات والاتصالات في العقود الأخيرة من الشبكة العنكبوتية تجسيدا حيا لمبدأ الفضاء المعلوماتي ومسرحاً يتألف من حزمة معقدة ومتشابكة من التفاعلات الرقمية، وأدخل المجال الإجتماعي في ما يمكن وصفه بثلاثة ميادين للفضاءات السائدة في العالم اليوم وهي:

الميدان الأول:الفضاء الفيزيائي التقليدي

الميدان الثاني:الفضاء العقلي

الميدان الثالث:الفضاء المعلوماتي (^)

إن الفضاء المعلوماتي هو عبارة عن حلقة تحاول جذب الفضاء العقلي إلى الفضاء الفيزيائي عبر معالجة رقمية تسعى إلى عولمة (أو كوننة)الفضاء العقلي لكي يمتد حدوده على عموم رقعة العالم الفيزيائي،من خلال استعارة معانى مفاهيمه التقليدية في بناء المفاهيم الفريدة للفضاء المعلوماتي.

ويمثل هذا الفضاء محاكاة رقمية لمفردات العالم الفيزيائي مثل:أروقة التسوق،وغرف الدردشة، والسياحة الافتراضية،والمكاتب،والكتب الرقمية،والمصارف الإلكترونية.

ويتم التعامل مع الوحدات الرقمية المستحدثة التي تتميز بكونها عبارة عن بيئات افتراضية بالغة التعقيد، عبر مواقع الويب التي نستعرضها أثناء إبحارنا في عباب الفضاء المعلوماتي (١٠).

لكن الفضاء المعلوماتي الجديد شأنه شأن الفضاء التقليدي، يتألف من أربعة مكونات رئيسية هي:

المكان والمسافة، والحجم والمسار؛ فالاستفسار عن المكان يفتش عن عنوان العقدة المعلوماتية، سواء أكانت موقع ويب، أو عنوان بريد إلكتروني في خادم من خوادم الانترنت (server)؛ وترتبط دلالة مسألة المسافة بعدد معدات الشبكات المعلوماتية التي تشخّص أمام عملية انتقال المعلومات والبيانات بين حاسوب وآخر.

أمّا الحجم فتطرح أسئلته حول سعة الموقع للبيانات والمعلومات، وتحديد الوقت المطلوب لتحميل الملفات في حواسيبنا الشخصية، وفي تحديد المسار الذي تسلكه المستعرضات، لكي تبلغ بنا إلى الموقع الذي ينبغي الوصول إليه (۱۰).

لقد تكونت بيئة ثقافية يتم من خلالها تبادل المعلومات والمعارف.وساهمت في «توافر أرضية خصبة لإنشاء مجموعة من الفضاءات التخيلية التي تجمعنا مع الآخر في أنساق تواصل متنوعة باتت تشكل مورداً جديداً

لحوار رقمى بين الحضارات والثقافات» (۱۱).

لم تعد السلطة الرابعة ، المتمثلة في الإعلام التقليدي بوسائله القديمة ، قادرة على الصمود أمام اجتياح السلطة الخامسة ، المتمثلة في مختلف المواقع الإعلامية المنتشرة عبر الشبكة العنكبوتية ، ك((فيس بوك)) و((يوتيوب)) و((تويتر)) والمدونات الشخصية .

وقد ساد مفهوم السلطة الرابعة في القرنين التاسع عشر والعشرين بكونه مفهوما رقابيا على السلطات الأخرى، لكنه أخد يتلاشى مع ظهور الإنترنت ، الشيء الذي غير معالم الحياة ، وأصبح القوة المسيطرة ، وهو ما أجبر الصحافة على إجراء تغيرات هيكلية للبقاء والمنافسة ، ولعل أبرز العوارض التي أصابت الصحافة بفعل تمدد الإنترنت تناقص أرقام التوزيع ، وتضاؤل إيرادات الإعلانات ، وتناقص القراء ، كما هو الحال الذي تشهده حركة الصحافة في العالمين الغربي والشرقي ، مع الإشارة إلى أن الصحف البريطانية تعتبر الخاسر الأكبر في هذا التحول التكنولوجي ، إذ اضطرت إلى إجراء تغيرات شكلية ، فاعتمدت النظام النصفي في حجم الصحيفة باستثناء صحيفة الديلى تلغراف التى مازالت محافظة على حجمها (۱۲).

ولا شك أن دور الشبكات الاجتماعية ومن بينها أله «فيس بوك» في نحت الوعي المعاصر بديلاً معقولاً من التواصل الإنساني المباشر، وقد «أثبتت الكثير من الوقائع والدراسات مدى تأثير هذه الشبكات في وعي الإنسان وتصرفاته، ولعل السبب الأول في ذلك يعود إلى التفاعل مع الآخرين، والاطلاع السريع على الأحداث العالمية». وتعتبر «هذه الشبكات سيفاً ذا حدين، ففي الوقت الذي جعلت الإعلام والإعلان بحاجة ماسة إلى صناعات إبداعية جديدة يواجهان بها التحديات ويجذبان المستهلك، خُلقت سبل تواصل جديدة بين الناشرين والمعلنين من جهة والجمهور من جهة أخرى». وزاد من هذا بمقدار أكبر دخول هذا الإعلام الرقمي الجديد، الذي يطلق عليه «السلطة الخامسة» وما يستعاض عنه بمصطلح «الشبكات الاجتماعية» في الأزمات السياسية للدول، بحيث شكلت سلطة الإعلام الخامسة عامل ضغط كبير في انتخابات الولايات المتحدة في نهاية عام ٢٠٠٨، وكذلك في حرب غزة، وفي أزمة الرئاسة المصرية لفترة ما بعد حكم الرئيس المخلوع حسنى مبارك (١٠٠).

لقد انتقلت هذه الشبكات الاجتماعية إلى تحمّل مسؤولية أن تكون مصدراً للمعلومات وأشرطة الفيديو وشهادات الناس: «فالمواطن الإعلامي» لجأ إلى تصوير الأحداث على هاتفه أو كاميرته الرقمية،ومن ثم وضع أشرطة الفيديو على الشبكات الاجتماعية حتى باتت مؤسسات إعلامية كبرى،مثل ألـ CCN وال DCCN متاخذ قدراً كبيراً من المعلومات الموجودة على «التويتر» وعدداً من الأشرطة المحمّلة على ألـ «يوتيوب» وهنا نذكر على سبيل المثال،طلب الـ CCN من مستخدمي «تويتر» أن يُدلوا برأيهم في مدى نجاح التظاهرات في تغيير مسار الأوضاع في إيران مستقبلاً. وفي رأي الكثير من المختصين والمتابعين لهذه الإشكالية وأسلوب تناولها إعلاميا، إنّ «دور الشبكات الاجتماعية لن يقتصر على الإعلام أو نقل الحدث إلى الخارج،بل كان له

دور أساسي وحاسم أيضاً في تنظيم العديد من المعارضين في الانتخابات الإيرانية، وفي تحديد أما كن التظاهرات وجمع المعلومات وتبادلها » (١٤٠).

إن قوة الإعلام الجديد ونجاحه المتواصل مستمد من قدرته على منح الأفراد أدوات عصرية لفرض ذواتهم وبناء هوياتهم وتأكيد تمايزهم عن الآخرين دون أدنى إكراه أو مضايقة أو قيد ، ولم يعد بذلك الحديث يقتصر عن إعلام الجماهير، بل كذلك عن جماهير الإعلام إن صح التعبير، فغرف الدردشة وصفحات الفايس بوك، واليوتيوب، والتويتر غدت اليوم امتداد طبيعيا لحواس كثير من الأفراد، وارتبطت بهم ارتباط حميما أوصلت واقعهم الجديد (الافتراضي) بواقعهم المعيش بكل أبعاده الإجتماعية والثقافية والسياسية والرياضة وغيرها(۱۰).

فالإعلام الجديد (new media) أو إعلام المجتمع (social media) أو إعلام المواطن (citizen media) مصطلحات تشير إلى مجموع النشاطات التي تدمج بين التكنولوجيا الحديثة ، التفاعل الاجتماعي ، صناعة المحتوى ، والتي تستخدم الذكاء الجماعي في جو من التعاون على الشبكة ، حيث يقوم المستخدمون بصناعة محتويات الويب وتنظيمها وفهرستها وتعديلها والتعليق عليها ، أو دمجها مع إبداعاتهم الخاصة .

ويقوم الإعلام الجديد حاليا على مجموعة من التطبيقات الرئيسة وهي (الشبكات الاجتماعية network social). (المدونات blogs) (البود كاست podcasts) (البود كاست المنتديات blogs).

إن الإعلام الجديد، هو مجموعة من التطبيقات والأرضيات "platforms"، ووسائل الإعلام على الشبكة والتي تهدف لتسهيل التفاعلية ، والتعاون على بناء المحتويات ومشاركتها لذا فالإعلام الجديد يمكن التعبير عنه كما يلى :

إن الجديد في الجانب الإعلامي هو تقنية الويب ٢,٠ ، وهذه ليست بثا أحاديا وتلقائيا إجباريا مثل ما كانت تتميز به نظم الإعلام القديمة ،ولكنها تفاعل يتيح للمستخدم مشاركة المحتويات ليس بالرأي فقط بل بإعلام شخصي خاص بكل فرد على حدة ،عن طريق التطبيقات مفتوحة المصدر (١١).

إن الإعلام الجديد في مجمل تطبيقاته ، ومن ضمنها تطبيقات الفيديو والتلفزيون الجديدين ، خلق ما بات يعرف ب "إعلام المجتمع "أو الإعلام التشاركي "الذي يشير إلى ذلك المحتوى الإعلامي الذي يقوم الجمهور بإنتاجه وبثه عبر الوسائل الاتصالية الشبكية، ويساعد في انتشار هذا النوع من الإعلام انتشار أدوات إنتاج هذا النوع من الإعلام مثل كاميرات الفيديو، والهواتف النقالة، إلى جانب انتشار المواقع الاجتماعية التي تسمح بإرفاق وبث هذه المقاطع، ولعل موقع اليوتيوب يشكل أحد أشهر المواقع الفاعلة في تقديم هذه الخدمة الإعلامية الجديدة، والتي كرست مفهوم إعلام النحن "we media " أو "الإعلام الشعبي "الذي يقوم فيه المستخدمون أنفسهم بإنتاج وتحرير مضامينهم الإعلامية المصورة بكاميراتهم الشخصية أو المقتبسة

من وسائط ووسائل إعلامية أخرى ونشرها للملايين من دون أي تكلفة مالية .

من المتعارف عليه إعلاميا أن رهانات جذب الجماهير تُصوّب دائما لمصلحة الرسالة السمعية البصرية ، فضلا على أن اللاتزامنية ، و التفاعلية ، و الانتشار . و التقنية أضافت له الكثير لأن يتبوأ اهتمامات المستخدمين ، و يستحوذ على ميولاتهم و فضولهم ، بل يؤدي دورا فاعلا و متميزا في إدارة تكريس "صحافة المواطن" و هذه التسمية روج لها كلّ من دان غليمور dan gillmor و كريس ويليس chriss willis و شين بومان و هذه التسمية روج لها كلّ من دان غليمور علي بالصحافة التشاركية journalism participatory و يطلق عليها صحافة الجمهور التي يقوم بها قبل الناس العاديين ، و هي تعمل على الاستفادة منهم ، بمن فيهم الذين يعيشون على هامش المجتمع ، و ذلك للدخول في نشاط كان سابقا حكرا على المؤسسات الصحافية وحكرا على الصحافيين المحترفين .

و بحسب شاين برومان و كريس ويليس فإن صحافة المواطن هي نشاط للمواطنين يلعبون خلاله دورا حيا في عملية جمع و تحرير و تحليل الأخبار . وهذه المشاركة تتم بنية مد الوسائل الإعلامية بمعلومات دقيقة، و موثوق بها و مستقلة تستجيب لمتطلبات الديمقراطية و يقدم الباحثان ديباجة في موقع نحن الإعلام (we) the media (http:ww.hypergene.net وبهذا نحن في بداية الحقبة الذهبية للصحافة هي صحافة لم نعهدها من قبل وقد تنبأ الكثير من الخبراء في مجال المستقبليات أن خمسين بالمائة من الإنتاج الصحفي سيتم بواسطة المواطنين بحلول عام ٢٠٢١ (٧٠).

لقد طور هذا نموذج التأثير الإيجابي للأنترنث من طرف "ولذر" walther، وهذا النموذج يشرح ويفسر العلاقة الاجتماعية التبادلية التي تنشأ بين الأفراد نتيجة استخدام التكنولوجيا الحديثة (الانترنت) كوسيط اتصالي، حيث يرى بعض الباحثين أن السمة التفاعلية للانترنت صنعت ما يسمى ب: "الاتصال فائق الحدود بين الأفراد"، ويرى أنصار هذا النموذج أن الانترنت انتقلت من طور كونها وسيلة اتصال غير شخصية مساعدة للاتصال الشخصي، إلى كونها وسيلة يمكن أن تكون أكثر فاعلية من الاتصال الشخصي كما يشير كل من "جارتون" garton و "ولمان" wellman.

و قد أشار" والزر" إلى أربع سمات من سمات الانترنت كوسيط اتصالي تجعلها وسيلة فائقة الحدود في العلاقات الشخصية بين الأفراد وهي:

synchronous channels . اتصال وقتى يحدث في نفس زمن الاتصال

feed back loop. رجع صدى قوي وفعال

التصور الكمالي للمتلقى. idealized perception

: the optimized self presentation of the sender تقديم تفاؤلي للذات

وهو التقديم الذي يظهر من خلال حرية التعبير عن الذات و إضفاء مزايا لها نظراً لغياب الوجود المادي (١١٠).

لقد وفر الانترنت ومواقع التواصل الإجتماعي لحركات الإصلاح والتغيير إمكانيات جديدة في مجال النضال السياسي، لم تكن موجودة من قبل، أهمها:

أ- تسهيل سرعة الاستجابة للأحداث السياسية ،والرد السريع على التحديات في سرعة قياسية ،فلم يعد الأمر يحتاج إلى سيارات تحمل أبواقا وتجول في المدن لدعوة الناس إلى مسيرة ،أو إنفاق مبالغ طائلة لترويج حدث سياسي في وسائل الإعلام التجارية ،بل أصبح الأمر مجرد تحرير رسالة تعبئة واستنفار ، وإرسالها إلى العناوين الإلكترونية لآلاف الناس في لحظة واحدة ،أو نشرها على مواقع معينة في الشبكة الإلكترونية ليطلع عليها الآلاف ،فيستجيبون للنداء .

ب- تشويش أفكار الحكومات القمعية وخلخلة إستراتيجيتها من خلال الحشد المتوازي،المتعدد الرؤوس والمنابع، بحيث لا تستطيع القوى القمعية أن تحدد هدفها بدقة، أو تصوغ تكتيكا فعالاً للقضاء عليه، بل لا تستطيع أن تحدد بدقة من يقف وراء الاحتجاجات الاجتماعية ،مما يحول بينها وبين القدرة على عزله عن المجتمع وهذا التشويش الفكري والإستراتيجي في أذهان القوى القمعية يشل تحركها، ويقضي على فاعلية ردها، ويختلف الأمر ولو كان واضحا للسلطة أن وراء الاحتجاجات حزبا أو منظمة أو حركة مخصوصة، يسهل حشرها في زاوية ضيقة.

ج- تغيير مفهوم التظاهر و الاحتجاج بعد وجود الانترنت ، فلم يعد بالضرورة ذلك الحشد البشري المائير المنتر للصخب، المؤدي إلى الشغب ، وربما إلى التخريب و القتل، و إنما أصبحت أمواج الرسائل الاحتجاجية أو التأييدية التي ترد عبر الانترنت تعوض الاحتشاد المادي في مكان واحد، إذا رأى أهل القضية أن يتفادوا المواجهة المباشرة مع القوى القمعية ، أو اجتناب الآثار السلبية والثمن الباهظ للاحتشاد المادي . وقد برهنت العرائض الالكترونية التي يوقعها آلاف أو ملايين الناس على أنها أداة سياسة فعالة ، تغني أحيانا عن المظاهرات الحاشدة .

د- حول الانترنت تظاهرات الاحتجاج و التأييد من نشاط محلي إلى ظاهرة عالمية، حيث تتوارد الرسائل من جميع أرجاء العالم لتأييد موقف سياسي معين أو الاحتجاج على آخر.

ففي عام ٢٠٠١ وقع مائة ألف شخص من مختلف الأوطان و الأديان – خلال أيام معدودة – مذكرة مرفوعة إلى مندوبية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عبر الانترنت تطالب بمحاكمة أرييل شارون بجرائم الحرب التي ارتكبها عام ١٩٨٢ إبان الغزو الإسرائيلي لبيروت.

و هذه الصيغة الجديدة للاحتجاج و التظاهر ثمرة من ثمرات الانترنت ، وتعبير عن الإمكانيات السياسية التي

يوفرها ، و قد دعاها بعض الباحثين "الديمقراطية الالكترونية" و" المجتمع المدني العالمي الإلكتروني" ه – إن الخبرة والتسهيلات الجديدة التي وفرها الانترنت في مجال التنظيم و الاتصال و الإعلام غيرت المعادلة القديمة التي كانت تضطر قوى التغيير إلى الاعتماد على دعم دول أخرى في نضالها السياسي ، كما كان الحال في الستينات و السبعينات من القرن العشرين (١٩).

## ثالثاً – المواطنة الجديدة في ظل الفضاء السيبرى:

تتحقق المواطنة عبر وسائل الإعلام ، ليس فقط من خلال التعبير عن المواطنين و قضاياهم،

و إتاحة المعلومات و تفسيرها ، و مراقبة السلطات التنفيذية و التشريعية و القضائية للتحكم في تجاوزاتهم و انحرافاتهم و نقلها للمواطن ، و إنما أيضا من خلال اتساع المجال العام Sphère publique للنقاش و تبادل الآراء ، و إتاحة الكلمة للمواطنين و تأكيد حرية التعبير ، ودفع الحوار الفعال بين مختلف الفئات في المجتمع ، و تنوع الأصوات الإعلامية و تعبيرها عن الرأي العام أيا كانت درجات التباين بين فئاته ، و إتاحة فرصة ممارسة المواطنين لحرياتهم الفردية، و حثهم على الفعل و المشاركة بعد توعيتهم و إعلامهم (٢٠).

يشكل مفهوم و حقوق المواطنة حجر الزاوية في بناء الدولة الحديثة وفي ثقافة الوسائل التواصلية المعاصرة، فالمواطنة لا تتجسد في ملكية جواز السفر و إنما تتعدى ذلك مشيرة إلى عدة مفاهيم أخرى مرتبطة بالحريات العامة و المساواة و المشاركة و الحقوق و الواجبات.

ويظهر هذا المعنى في إعلان حقوق الإنسان -المواطن المعنى في إعلان حقوق الإنسان -المواطن المعنى في إعلان حقوق الإنسان - بغض النظر عن أصوله و لونه و آرائه (و منها الدينية) - إذا منها الدينية في المواطنة.

As وفي هذا السياق ، تتعدد الرؤى إذ يشير محي الدين قاسم إلى الاتجاه الذي يميز بين المواطنة كوضع قانوني As political activity و المواطنة كنشاط سياسي legal status ، و المواطنة كنشاط سياسي As rights و المواطنة تعبيرا عن الموية و الانتماء As form of collective identity . ( $^{(Y)}$ ).

و ترتبط حقوق المواطنة في المجال الإعلامي "بحرية الإعلام" و يثير مفهوم حرية الإعلام قضايا عديدة مرتبطة بالحق في الاتصال وما يتضمنه من الحق في تداول المعلومات و حق المعرفة والحق في حرية التفكير و إبداء الرأي والتعبير في المجال الإعلامي الجماهيري و الحقوق الرقمية في مجتمع المعلومات.

و فيما يتعلق بحق الاتصال، فهو يتضمن حق الفرد في كل الحريات مضافا إليه حقه في الانتفاع و المشاركة في العملية الاتصالية و حقه في تدفق المعلومات في اتجاهين و في الإعلام و في الانتفاع بموارد الاتصال.

لقد كان نوربرت وينارNorbert Wiener أول من تناول بالبحث مفهوم الفضاء السيبرني .cyberespace

كما كان أول من تعمق في بحث تأثير الإعلام على الجهاز العصبى و التفاعلية بين ذكاء الإنسان و الذكاء الآلي و اعتمد لفظة "سيبر" للدلالة على تلك التفاعلية، فاعتمد الباحثون هذه اللفظة للتعبير عن مفاهيم متكاملة كالإنسان الآلي: Cyberman و السيبرنية: Cybernétique والثقافة السيبرنية: Cyberculture.

إن المواطنة في عصر الانترنت في عصر مقبلة على مواجهة تحديات كبيرة ، فالمواطنة السيبرانية هي ثقافة في طور البروز وهي لا تتنافى مع المبادئ الموروثة ، إلا أنها تساير تطور الانترنت و تطبيقاتها بمختلف أشكالها، فهى ترتبط بالثورة الرقمية التى تواكبها كما أنها تعتمد على رسوم ذهبية و طرق تفكير و مظاهر سلوك مختلفة لما عرفه الإنسان الماضى.

و هذه الثقافة الجديدة كفيلة بالمساعدة على مجابهة هذه التحديات المطروحة محليا و على الساحة العالمية للوقت ذاته، كما أنها تمتد لتبنى معايير و ضوابط جديدة متكاملة مع القانون و مبنية على الاجتهاد المتواصل (٢٣).

وحكومة هذا الشعب السيبرني في نظر باولو ليست هي الحكومة الدستورية المنتخبة و ليست هي ممارسة السلطة بشكل تقليدي بل هي حكومة النفوذ الخفي (Cybergovernment) التي تحكم وفقا للدستور السيبرني و يرى هذا الباحث أن آليات التعبير عن السيادة ستنتقل من السلطات التقليدية الثلاث إلى سلطات جديدة و هي : السوق، و الجماعات غير الحكومية و المؤسسات العابرة للقارات. أما الدستور الذي تخضع له هذه السلطات الثلاث فهو يتلخص في بعض المبادئ الأساسية. مثل "حرية الاتصال" و"التدفق الحر للمعلومات".

## رابعاً- الإعلام البديل: مآل الثورات العربية ومكمن التغيير السياسى:

الإعلام البديل هي وسائل الإعلام الخاصة بعرض القضايا و الأحداث التي تعارض تلك المعروضة في الإعلام السائد و التي تتبنى الإصلاح الاجتماعي و السياسي.

ويتمثل في وسائل الإعلام التي تقوم بتأسيس نظم المعلومات و الاتصال الخاصة بها على أساس انتقال من أسفل لأعلى رأسيا كما هو مدرك للتغلب على عدم المساواة و عدم التوازن في السلطة الاتصالية و التي أنتجتها وسائل الإعلام في الانقسام بين دول الشمال و الجنوب.

كما يعرف على أنه الموضوعات التي تهدف بصراحة ووضوح إلى تحدى مواقع تمركز السلطة على وسائل الإعلام و المشروعات التي تقف ضد الوسائل المسيطرة لصناعة الإعلام سواء كانت خطباً سياسية.

من هذه التعريفات السابقة يتضح أن الإعلام البديل في الغالب هو الإعلام المعارض لما يقال في مراكز السلطة أو ف الإعلام السائد الذي في الغالب تحكمه كيانات سياسية أو مواقع السلطة في الدولة (٢٣).

ويمكنك إبراز أسباب ظهور الإعلام البديل كما يلى:

- عدم قدرة وسائل الإعلام السائدة على خدمة احتياجات جماهيرها حيث يقدم الإعلام البديل تعددية في الأشكال و المضامين أكثر مما تتيحه وسائل الإعلام السائدة
- حاجة العديد من التيارات و الحركات السياسية و الاجتماعية إلى وسائل إعلامية تعكس آرائها ورؤاها في المجتمع، و بالتالي في الغالب ما تكون معارضة للآراء و الرؤى السائدة في المجتمع
- التغطية السلبية أو المواجهة من وسائل الإعلام لبعض الفئات المهشمة في المجتمع مما أدى إلى الحاجة إلى إعلام يعبر عنهم و يحسن من صورتهم .
- عدم مصداقية الإعلام الرسمي السائد في كثير من الأحيان نظرا لسيطرة الحكومات عليه و أصحاب المصالح السياسية، كذلك افتقاده لموضوعيته وحياديته في كثير من الأحيان .
- قد تكون حركات اجتماعية أو وقائع تاريخية أو أحداث سياسية هي السبب في ظهور الإعلام البديل كتعبير عن هذه الحركات و التحولات، خاصة تلك التي يمكن أن تتجاهلها وسائل الإعلام الرسمية أو السائدة.
- ديكتاتورية واحتكار وسائل الإعلام التقليدية أو السائدة للتغطية الإخبارية لحدث تاريخي أو سياسي مما أدى إلى ظهور حركات اجتماعية تسعى للتغلب على هذه البيئة الاجتماعية (٢٤).

ويهدف الإعلام البديل في ظل الوسائط الإجتماعية المتعددة إلى:

تعبئة المواطنين و توحيدهم نحو قضايا واحدة.

تشجيع المشاركة الفعالة ثنائية الاتجاه بين الوسيلة الإعلامية و الجمهور.

التوجه نحو الديمقراطية و تعزيز حق الحصول على المعلومات بدون تدرج أو هرمية أو مركزية أو تسلطية.

- تغيير المجتمع تغييراً جدرياً على كافة الأصعدة، خاصة الصعيد السياسي و الاجتماعي .
- يسعى الإعلام البديل إلى تحقيق التعددية و التنوع على مستوى الشكل و المضمون في تغطية مختلف القضايا.
- إدماج الأفراد العاديين من المواطنين في عمليات إنتاج مواد إعلامية للتعبير عن آرائهم و احتياجاتهم (٢٠). لم يكن الإعلام الإلكتروني بمنأى عما يحدث في العالم العربي وقد ساهم بشكل أو بآخر في إعادة رسم المشهد السياسي والاجتماعي للبلاد العربية من خلال الثورات المطالبة بالتغير والديمقراطية سواء بقصد أو من دون قصد ، فقد ساهمت وسائل الإعلام الإلكتروني المتمثلة بالصحف الإلكترونية أو الشبكات الاجتماعية والمدونات في خلق المحفز للتغير داخل نفوس الناس والاستعداد له من خلال النقل السريع وغير المقنن للمعلومات لحظة بلحظة والتغطيات المكثفة ، فكلها عوامل ساعدت في تحريك الشارع ليتحول بذلك الحلم المستحيل إلى واقع يعاش. خاصة وأن وسائل الإعلام التقليدية لم تسهم في نقل الصورة الحقيقية كاملة ، وإنّما بضعة أجزاء

منها بما يخدم مصالح وأهداف الدول المعينة كونه الإعلام الرسمي الناطق بلسانها وهو ما أفقدها جزءا من مصداقيتها وخفت بريقها اللامع لفترة وجيزة (٢٦).

ويرصد محمد الخشاب (مدير شركة رتيش ميديا) نقاط التلاقي والاختلاف ما بين الإعلام الإلكتروني والتقليدي فيقول: "الشبكات الاجتماعية استطاعت خلق حراك وتفاعل اجتماعي بين جمهور الناس بعضها البعض، واستطاعت أن تكون الصوت القوي والأجرأ في التعبير عن الرأي وذلك لمساحة الحرية التي تتمتع بها. كما ونقلت صورا لأحداث ومجريات تمت في فترات زمنية فشل الإعلام التقليدي في الوصول إليها ونقلها لظروف قد تكون خاصة، مستدلاً على ذلك بحدوث بعض التجاوزات في أماكن في العالم وأوقات قد لاتصل إلى مسامع الإعلام التقليدي كما حدث مع الشاب بوعزيزي في تونس، ولكنها في ظل وجود الإعلام الإلكتروني فمن السهل تسجيلها وتصويرها وتدوينها، وهو ما يسهل عملية انتشارها بين الناس في وقت قصير جدا . في حين أن الإعلام التقليدي فشل في رصد الحدث سريعا كما أنه يفصل الناس قليلا عمن حولهم فهو يجعلهم يجلسون أمام الشاشات لساعات طويلة لمتابعة الأحداث وتطور المجريات على الساحة . في حين أن الشبكات الاجتماعية والمدونات أعطت الفرصة لمستخدميها بتجميع عدد كبير من الناس لنشر أفكارهم وتنظيم حملات احتجاجية واعتراضات مستشهدا على ذلك بالأحداث الأخيرة في مصر والتي بدأت بالتجمع على الفايسبوك للخروج في احتجاجات يومية للمطالبة بالتغيير "(٢٠).

إن إنتشار الثورة التونسية وإنتقالها إلى شوارع القاهرة بسرعة البرق ليست سوى دليل على أن مصطلح "الثورة الرقمية" قد اكتسب معنى جديدا تماما في الشرق الأوسط ، يؤكد على فشل الأنظمة العربية على التكيّف مع هذا الواقع المعلوماتي الجديد .

ضمن هذا السياق لم يعد من المكن لبلد كمصر قوامها ٨٠ مليون نسمة أن تنفصل عن الشبكة المعلوماتية .

لقد فشلت محاولات الحكومة المصرية الأولية في منع الوصول إلى مواقع التواصل الاجتماعي ، فيسبوك وتويتر، تمامًا مثلما حدث سابقا في تونس ، والفضل في ذلك يعود إلى الإلتفاف على الرقابة التي يستخدمها "الناشطون الرقميون" لذا لجأت الحكومة المصرية إلى قطع معظم خدمات الإنترنت بالإضافة إلى قطع معظم خدمات الهاتف النقال . بغية إجهاض الجهود المبذولة لتنظيم احتجاجات وتظاهرات، لكنها أبقت على مزود إنترنت وحيد ، وهو ما أعطى الناشطين شريان حياة .

على أنه في جميع الأحوال كان الوقت قد فات ، ذلك أن الخطط الخاصة بتنظيم "جمعة الغضب والحرية" قد حددت سلفا وانتشر الخبر بشأنها"(٢٨).

#### نافذة على العالم العربي:

لقد كان لافتًا أنّ (( الفيس بوك )) بقدر ما كان أحد المصادر الأساسية للمعلومات حول الأحداث في تونس منذ إندلعت ثورتها وتتبع التحركات الشعبية والمواجهات مع قوات الأمن وصولاً لإسقاط بن علي، فإنه سرعان ما تحول إلى مصدر لمساعدة الثوار المصريين في تحركاتهم خلال الأيام الأولى للثورة، خصوصا يومي ٢٥ و٢٨ يناير ، عبر النصائح التي كان يقدّمها لهم الثوار في تونس عن كيفية مواجهة الشرطة والتعامل مع الغازات المسيلة للدموع مما منح هذا الموقع الاجتماعي إمكانية جديدة في التواصل الثوري بين مجتمعين فصلت بين ثورتيهما أسابيع قليلة وحقّق كل منهما تقريبا النتائج نفسها في تنحية نظامين ديكتاتوريين عن السلطة في غضون أسابيع محدودة ، وبالتحديد ٢٣ يوما في تونس، ١٨ يوما في مصر.

في الفترة التي قررت فيها الحكومة المصرية التي كان يرأسها أحمد نظيف في عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك ، قطع الإنترنت والاتصالات الهاتفية مساء ليلة جمعة الغضب ٢٨ يناير ، قام المصريون في الخارج بدور كبير من خلال الإنترنت في محاولة تقصي ونقل المعلومات عما يحدث في مصر ، وإطلاع الإعلام الغربي عليها ، خصوصا في ظل سياسة التضليل الإعلامي التي مارسها الجهاز الإعلامي المصري الحكومي في عهد أنس الفقى الذي يحاكم الآن في جرائم فساد (٢٩).

وبعد عودة خدمات الإنترنت مرة أخرى ، بعد تعيين حكومة أحمد شفيق المؤقتة ، شهد ((الفيس بوك)) أكبر حراك تفاعلي بين المستخدمين من مؤيدي الثورة ممن استشفّوا منذ البداية أنها ثورة حقيقية بمعنى الكلمة، ينبغي أن تحقق أهدافها التي وصلت ، بعد تأخر الرئيس المخلوع في رد الفعل ، إلى حد المطالبة بإسقاطه، وليست مجرد تظاهرة أو تحركات جماعية فئوية كما حاول البعض أن يصوّرها ، وأيضا مع توالي نشر وقائع الفساد المتتالية وبينها مخالفات رجال الشرطة في عهد وزير الداخلية الأسبق حبيب العادلي،الذي أعطى أوامره للضباط بالانسحاب بعد فشلهم في مواجهة الثوار مع نهاية يوم جمعة الغضب،وقد كان ((الفيس بوك)) ساحة يومية لتوثيق وقائع الثورة وما يتعرض له المتظاهرون،ولمطالبهم وكذلك لردود الفعل الرسمية والإعلامية ، يوما بيوم ، بل ساعة بساعة ، وما يوازي ذلك من تعليقات غاضبة أو مستفزة ،أو متعجبة مما ينشر من وقائع الفساد أو غيرها ('').

ويبدو أن (( الفيس بوك )) أثر بقوة في الذهنية العربية وخصوصا لدى النخب حيث قام المجلس الرئاسي العسكري في مصر بإنشاء صفحة على الفيس بوك للتواصل مع المواطنين وخصوصا الشباب، حيث يقوم فيها بنشر كل البيانات الرسمية وتوضيح الحقائق حول أي موضوع من الموضوعات المطروحة على الساحة.

وتشهد هذه الصفحة (عدد المنضمين إليها يناهز ٣٠ ألف شخص) نوعا من التفاعل الكبير بين المواطنين المصريين والقوات المسلحة حيث يعبّر فيها المواطنون عن أرائهم ومطالبهم وشكاواهم.

وهكذا يبدو الواقع الإفتراضي معبرا بصدق عن أكبر حراك سياسي واجتماعي تمر به المنطقة العربية منذ ما يقرب من ثلاثة عقود ، ويقدم شهادة حية على ما يحدث اليوم في أرجاء واسعة من المنطقة العربية فيما يبدو كأنه صحوة كبرى تولّد اليوم صراعا صحيا بين أتباع الماضي وأنصار المستقبل ، وهو التعريف العملي لفكرة الثورة في التاريخ (٢١).

إن الظاهرة الأخيرة المهمة التي كشفتها الساحة الافتراضية ممثلة في (( الفيس بوك )) و((تويتر)) والفضاء الافتراضي إجمالا ، هي شروع الشباب الثوار في البحث عن وسائل إعلامية تعبر عنهم ، بعيدا عن الات الإعلام الرسمية الحكومية والخاصة التي بدت في ملاحقاتها للأحداث عاجزة،أومتلكئة غير قادرة على الاستيعاب، تنتمي لعصر الشيخوخة الفكرية والسياسية أكثر بكثير من الحيوية والنزاهة التي تعبر عنها الثورة ، وهكذا ظهرت أولى الصحف الإلكترونية التي أنشأها الشباب باسم ((الثوار)) althwar.com والتي تأسست تأكيداً على فكرة إستمرار الثورة حتى تحقق كل مطالبها وللتعبير عن إبداعات الثورة، والأفكار التي خلفها يمتلكها الشباب من صانعي الثورة وما يودون التعبير عنه،إضافة إلى فضح كل عمليات الفساد التي خلفها النظام السابق،وكذلك نشرها والدعوة إلى العمل الأهلي الخاص بتثقيف المجتمع وزيادة وعيه وهي المشروعات التي تدخل في إطار إبداعات الثورة والتي انطلقت جميعها من الواقع الإفتراضي (٢٣).

## خامسا: اليات تعبئة الحشد الافتراضي في الثورة المصرية ( نموذجاً ):

تعددت آليات تعبئة الحشود في المجتمع الافتراضي ، وعند تأمل الحالة المصرية نجد أن هناك عدة آليات تم من خلالها عملية الحشد الافتراضي:

١ - مجموعات الفيس بوك : وخاصة صفحة كلنا "خالد سعيد". فالواقع يشير إلى أن موقع الفيس بوك لعب دورا أساسيا في تعبئة الجماهير للمشاركة في الثورة المصرية ، وذلك من خلال المجموعات المنتشرة على ساحته ، وتشير التقديرات التي تتزايد باستمرار حول إستخدام المصريين لموقع الفيس بوك ولقد أثبتت هذه التقديرات أن حوالي ١٩٩,٠٢٠ مستخدماً من الذكور ، في حين يستخدم الموقع ذاته نحو ١٨٩٨.٠٠ مستخدماً من الإناث حسب التقديرات الحديثة، ويتضح من خلال الشبكة تنوع الآليات للتواصل داخلها من ما بين تأسيس المجموعات والمدونات ، إلا أن العنصر الفاعل هي شبكة الفيس بوك والتي لعبت بدورها الفاعل في تحريك الاحتجاجات في المجتمع المصري هي المجموعات التي شكّلها النشطاء السياسيون من النخب الشبابية المستخدمة للموقع ، والتي نجحت من خلال هذه المجموعات وصفحاتها في تعبئة الحشود وتحولاتها الشبابية المستخدمة للموقع ، والتي نجحت من خلال هذه المجموعات وصفحاتها في تعبئة الحشود وتحولاتها

من السياقات الافتراضية إلى الواقع . والملاحظ أن هناك الآلاف من الصفحات التي تشكلت أثناء الثورة ،والتي أخذت تعلى من سقف طموحات المطالب والدعوة إلى النزول في الحشود المليونية .

Y- الرموز والشعارات: إنّ المتأمل للثورة المصرية يدرك أنها تحركت برمزية التعبير عبر صفحات الويب والمقصود هنا برمزية التعبير هي الصور والشعارات التي تتحرك على متصل الساحة الافتراضية والواقعية، فإنّ الشعارات التي تحرك بها المتظاهرون ولدت من رحم الإنترنت وعبرت عن الواقع بمعنى واقع البروفايل الشخصي لمعظم الذين تم تعبئتهم للمشاركة في الحشد الواقعي رفعوا صورهم ليحل محلها العلم المصري مصحوباص بكلمة ٢٥ يناير. وفي نفس الوقت لعبت الصور الميدانية التي التقطها المتظاهرون من ميدان التحرير دورها في عملية الحشد، وتبادلها المتفاعلون عبر الفيس بوك، وكذلك بعض صور الفيديو التي تم التقاطها من الميدان ساهمت أيضا في تحريك مشاعر الجماهير والتعبئة وإستمرارية تشجيع الحشود للنزول إلى المواقع.

٣- الهاتف المحمول: إنّ الهاتف المحمول كآلية إتصال لعب دورا بارزا في تواصل الحركات الاجتماعية الجديدة. إنّ المزايا التي يضيفها المحمول إلى طبيعة موضوع الاحتجاجات تتأتى من عدة إعتبارات أولها رسائل الهاتف المحمول: تلعب هذه الرسائل دورها في الحركات الاجتماعية فإذا كان الإنترنت وشبكاته الافتراضي تقتصر على فئة المتفاعلين في سياقاته فإن المحمول كآلية إتصال يستطيع من خلال الرسائل النصية أن يصل إلى عدد أكبر من المتفاعلين عبر سياقات المجتمع الافتراضي وخارج هذه السياقات، مما يساهم في تعبئة الجماهير من غير المستخدمين للشبكة.

ثانيها: المكالمات الصوتية والتحرك الميداني: فلقد ساهم المحمول في الربط بين المحتجين في الميدان ونشطاء المجموعات وذلك لمواجهة التغيرات المستجدة التي من الممكن أن تطرأ على الميدان ومرونة التحرك.

لقد ساهم المحمول في التقاط الصور الميدانية ومقاطع الفيديو التي تعبر عن واقع الاحتجاج ونقل هذه الصور إلى سياقات المجتمع المحلي والصعيد العالمي بما شكّل آلية تواصل لكسب التأييد وتعبئة الرأي العام وخصوصا في حالة التجاوزات على الصعيد الميداني .

كما أن تطور خدمات المحمول سمح للإتصال بالانترنت عبر الهاتف مما سهل التواصل الشبكي بين المعتصمين وزاد من قدرتهم على تعبئة الحشود ،مما زاد من صلابة الإحتجاجات في التجربة المصرية ولعل الجهات المسؤولة عن فض التظاهرات أدركت أهمية وسائل الإتصال والمتمثلة في شبكة الإنترنت والمحمول فعمدت يوم ٢٨ يناير إلى قطع أدوات الاتصال في محاولة لمنع التنسيق بين المتظاهرين إقتناعا منها بأن وسائل الاتصال لها دورها البارز في تشكل الاحتجاجات والتنسيق والمتابعة (٢٣).

#### خلاصة وإستنتاجات:

من خلال ما سبق تبدو صورة العالم السياسية، و تحديدا المسار السوسيوسياسي Sociopolitical من خلال ما سبق تبدو صورة العالم السياسية، و تحديدا المساسية غدت أسيرة لتطورات الشبكات Processus يتأثر بل و يتماهى مع الظاهرة التقنية الإعلامية، فالعملية السياسية غدت أسيرة لتطورات الشبكات التواصلية الإعلامية إذ تجلى هذا التأثير ببروز ديمقراطية جديدة بألوان جديدة و إجراءات إلكترونية لم تكن في السابق.

إن درجة الديمقراطية أصبحت أسيرة في شقها العملياتي إلى تطورات الحكومات و الأنظمة و القوانين و عمليات التدريب، و يتمظهر ذلك في بروز أنظمة جديدة .

الحكومات الالكترونية: لتبسط إجراءات التواصل بين المواطن و الحكومة، و المنتخب و الناخب و الحاكم و المحكوم.

أضحت وسائل التواصل فضاءات حقيقية للتدرب و التمرس على الفعل الديمقراطي من خلال مظاهر التظاهرات الالكترونية، و الاحتجاجات الإلكترونية، و الاحتجاجات الإلكترونية، و العصيان المدنى الإلكتروني.

أصبح الـ (Facebook) تحديدا و نظائره من الفضاءات أدوات لمسألة العقل العربي، وذلك في الحاجة إلى نقاش عميق حول مصائر هذه الأدوات و تداعياتها، ذلك أن خلفيات الآلة التقنية التي تستشير الاحتشاد العربي تنتمي إلى فلسفة العولمة، و فلسفة العولمة على حد قول "مشير باسيل عون" لا تحمل إلى الحضارات الإنسانية سوى الرغبة في التواصل، غير أن التواصل ينبغي أن ينشط بين تصورات للكون و الإنسان و للحياة تتباين شرعا و لكنها تتزاحم على الإسهام في إكمال إنسانية الإنسان، والارتقاء بها إلى أعلى مراتبها.

### الهوامش والمراجع:

1- Alivin Tofffre, la trosième vague, hrad de l'Anglais, par michel deutsh, gallimard, Paris 1988.632 pages.

- ٢ ورد ذلك في :
- Michael Massing, the new york review of books -
- وقد ترجمته منة إكرام ، خبر الأيام الخوالي .. إعادة اختراع الصحافة ، مجلة وجهات نظر عدد يناير ، ١٤٤ ، ص ٨ .
- ٣- ورد ذلك في مركز دراسات "بيو" للتميز الصحفي ، في تقرير لسنة ٢٠٠٩ عم مفهوم "دولة الأخبار" نفس المرجع السابق .
  - ٤- من أشهر و أهم الكتب حول وسائل التواصل الاجتماعي المعاصرة ووسائل الإعلام الحرة:

Don O sullivan, wikipedia: A new community of practice, ashgate, 2009, pp187.

Andrew Lih, wikipedia Revolution: how a bunch of nobodies created the world's greatest Encyclopedia, forward by: jimmy wales, bargainprice, 2009, pp237.

Andrew Dably, The World and wikipedia: how we are editing reality, siduri books, 2009, pp256. Chris brogan and julien smith, using the web to build infuence, improve and Earn Trust, wiley; Rev upd edition, 2010, pp 302.

Wittkower .E.D, Facebook and philosophy: what s on your minds ?, open court, 2010, pp288. Vander Veer .A.E , Facebook:the missing manual , pogue press , 2010 .pp272 .

- ٥- محمد سعد أبو عامود ، الرأى العام و التحول الديمقراطي ، دار الفكر الجامعي ، ٢٠١٠ ، ص ١٨٢ .
- ٦- بشير عبد الفتاح ، قيرغستان ، ثورات الديمقراطية تجتاح آسيا ، مجلة الديمقراطية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٨ أبريل
   ٢٠٠٥ .
  - ٧- جمال محمد غيطاس ، الديمقراطية الرقمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩ ، ص ١١١ .
  - ٨- مندر سليمان ، الإعلام- السلطة- المال: مثلث النفوذ و خطاب الصورة مجلة المستقبل العربي، جانفي ٢٠١١، ص ٦١.
    - ٩ المرجع السابق، نفس الصفحة.
    - ١٠ المرجع السابق ، نفس الصفحة.
      - ١١ المرجع السابق ،ص ٠٠.
    - ١٢ فضل محمد البدراني، الأخلاقيات و الإعلام، مجلة المستقبل العربي، عدد مارس ٢٠١١، ص ٦-٧.
      - ١٣ المرجع السابق، ص ٢٧
      - ١٤ المرجع السابق، ص ١٨ ٢٩
- محمد البشير بن طبة،الإعلام الجديد و إدارة الأزمات في الوطن العربي: دراسة تحليلية للأزمة الجزائرية المصرية، عبر موقع (youtube) أنموذجا مجلة المعيار ، كلية أصول الدين و الشريعة و الحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر ، عدد ٢٤ ، قسنطينة / ٢٠١١ ، ص ٣٥٥.
  - ١٦ محمد البشير بن طبة، المرجع السابق.
- المصطفى صادق، التنظير و بناء المفاهيم حول الإعلام الجديد، الجات المؤتمر الدولي: إعلام جديدة جديدا تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، منشورات جامعة البحرين، ط١، ٢٠٠٩ ، ص ٣٤.
- ١٨ عادل عبد الجواد محمد الكردوسي، الانترنت و الشباب ، دراسة في آليات التفاعل الاجتماعي مجلة شؤون اجتماعية،
   الإمارات ع ١٠٨، ص ٢٧ ٢٨.
  - ١٩ محمد مختار الشنقيطي، الانترنت: ثورة الفقراء في عصر التواصل،
  - www.alwihadah.com/ issus/ development/ 20102001-26-04-.htm

llace.

٢٠ ثريا أحمد البدوي، "الإعلام و المواطنة في مصر: تعزيز أم تهديد؟"، بحث مقدم لمؤتمر الرابطة الدولية لبحوث الإعلام و
 الاتصال: المنعقد في قسم الصحافة و الاعلام بالجامعة الأمريكية ٢٣-٢٨ يوليو٢٠٠٦، ص ١٠.

٢١- ثريا بدوي، المرجع السابق، ص ٣٠.

٢٢ للاستزادة أكثر حول موضوع ثقافة المواطنة السيبرنية بطالع كتاب بيار ليفي pierre levy في مؤلفة الديمقراطية السيبرانية ويعتبر قمة "الدولة السبرانية هي الدولة التي يقوم نظامها على الواقع الناتج عن ثورة المعلومات و تعكس نموذج التواصل عبر الشبكات الالكترونية ، و تجمع ملايين البشر في مجتمعات افتراضية ، يطالع:

Pierre Lévy, Cyberdémocratie, Edition Odile Jacob, Paris 2002

#### كما يطالع أيضا:

دراسة مصطفى المصمودي، سلطة الدولة السيبرانية أو سلطة الدولة، سلسلة الحوارات العربية، منتدى الفكر العربي عمان ، الأردن٢٠٠٩ ، ص ١٧٠-١٣٠ .

٢٣– حياة بدر قرني و آخرون، هل تمثل المواقع الالكترونية غير الحكومية بديلا عن الإعلام الرسمي في مجتمع المعرفة "دراسة في الإعلام البديل" بحث مقدم في مؤتمر الاتحاد الدولي للبحث الإعلام، القاهرة، ٢٣–٢٨ يوليو ٢٣٠٦، ص ١٣.

٢٤- نفس المرجع السابق، ص ١٤-١٥.

٢٥ - نفس المرجع السابق، ص ١٧.

٢٦ - نسرين حلس ، "خبراء و محللون أمركيون يرون أن الشبكات الاجتماعية تفتقر إلى المصداقية": ص ٢١ .

http://www.elaph.com/web/news/2011656312-/5/html

٢٧ - نفس المرجع السابق، ص ٢٣.

"ثورة الإعلام تدعم انتفاضة الشعوب العربية"

http/arabic.cnn.com/2011/middle\_east/131//arab . Media\_revolution/index.html

٢٩. إبراهيم فرغلي، "من الثورة إلى الرقابة الشعبية "، مجلة العربي ، عدد أيار ٢٠١١، ص١٤٣.

٣٠ - نفس المرجع، ص١٤٦ -١٤٧ (بالتصرف).

٣١ - نفس المرجع السابق، ص ١٤٦.

٣٢ نفس المرجع السابق، ص ١٤٧.

٣٣- وليد رشاد زكي، من التعبئة الافتراضية إلى الثورة، مجلة الديمقراطية، العدد ٤٢ ، السنة الحادية عشر، أبريل ٢٠١١ ، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة ص٧٣-٧٤.

٣٤ محمد مشير باسيل عون، الثورة العربية، ثورة في العقل أم ثورة في الآلة؟

www.assafir.com/Article.aspx? Edition id= 1787 & channel ID= 41988 & Article ID= 290

## الأصالة والتواصل في تاريخ الفينيقيين

د. فاروق حبلصكلية الآداب – الجامعة اللبنانية

بدأ سباتينو موسكاتي، أحد أبرز الباحثين المعاصرين في تاريخ الحضارة الفينيقية، كتابه عن الحضارة الفينيقية بالقول: « الفينيقيون، شعباً وحضارة، كانوا وما زالوا يثيرون اهتماماً كبيراً في الغرب. فمنذ أن كشف هوميروس عن خصائصهم البحرية والتجارية، واتضح أن أبجديتنا (أي الأبجدية الغربية) مستمدة منهم، أصبحوا محط انتباه شديد لا يقل عمّا منحته شعوب الشرق القديم الأخرى......» (۱) . هذا الإهتمام أدى إلى ظهور آلاف المجلّدات التي تناولت تاريخ الفينيقيين وحضارتهم، واعترفت بفضلهم على العالم أجمع في وضع الأبجدية ونشرها، وأقرّت بإسهاماتهم في تطوير الفنون وبخصوصياتهم وحضارتهم التي تخطّت الحدود الجغرافية لبلادهم، وانتشرت في بلدان حوض البحر المتوسّط كافّة (معظم العالم القديم). لكنّ هذه المجلّدات ركّزت على إظهارهم على شكل تجار تهالكوا على تحقيق المكاسب المادية، فشوّهت بذلك صورتهم، وتنكّرت للقيم الإنسانية التي تحلّوا بها طيلة تاريخهم، وعملوا على نشرها في العالم، فكانت سرّ نجاحهم في التجارة والحضارة على السواء، وفي طليعتها الأصالة والإنفتاح على الآخر والرغبة في التواصل معه على قاعدة الإحترام والإعتراف بحقوقه.

ونحن ورثة الفينيقيين في أرضهم، لم نتعرّف بعد على تاريخنا معرفة صحيحة تحيي في عقولنا مضامين ماضينا المجيد الزاخر بالعطاء الحضاري والإنساني، والمتميّز بالأصالة والتواصل مع الآخر والإنفتاح عليه، وتعيد الإعتبار لهذا الشعب الذي سعى منذ أربعة آلاف سنة إلى تقارب الشعوب وتكاتفها من أحل خبر البشرية.

فالفينيقيون حوّلوا العالم، بأساليب سلميّة، إلى عالم واحد يكتب بأبجدية واحدة، ويعبّر عن نفسه ومعتقداته وأفكاره وأذواقه بأساليب فنيّة متقاربة، قبل أن تبدأ الحضارة الغربية بالعمل على عولمة العالم بحوالي ثلاثة آلاف سنة ونيّف، بمنهجيّة مختلفة تقوم على نشر الفوضى الخلاقة وإختلاق الفتن المتنقّلة من قلّرة لقارّة. والباحثون في تاريخ بلدان حوض البحر المتوسّط وحضاراته، يؤكّدون تحوّله في النصف الأول من الألف الأول ق.م. إلى بحيرة فينيقية، بعدما استوطن الفينيقيون جزره، وانتشروا من جزر بحر إيجه إلى قبرص وكريت ومالطة وصقلية وصولاً إلى كورسيكا وجزر البليار، وزرعوا مستوطنات لهم على إمتداد شواطئه من اليونان إلى إيطاليا وإسبانيا والمغرب وتونس وليبيا. ولقد أكّدت المكتشفات الأثرية في هذه البلدان، ما ذهب إليه هؤلاء الباحثون، بعد العثور على المنشآت المعمارية واللقى الأثرية الفينيقية في مستعمرات قادش

وترشيش وملطية وصبراتة وتونس وقبرص إلخ...

تزامناً عرف العالم القديم حضارات أخرى عديدة عاصرت الحضارة الفينيقية، كالفرعونية في وادي النيل، والكنعانية والآرامية في الداخل السوري وفلسطين، والعمورية البابلية في بلاد الرافدين، والآشورية في شمالي سوريا، والحورية الميتانية في شمالي سوريا أيضاً، والحثية في الأناضول، والكريتية —الميناوية في جزر بحر إيجه. وقد دلّت المكتشفات الأثرية في مواقع هذه الحضارات أنها كانت كلّها خلاّقة ومبدعة، صنعتها شعوب جبّارة، أقامت دولاً قويّة، وتوسّع بعضها خارج حدوده ليصبح إمبراطورية مترامية الأطراف، كالفرعونية والمشورية. لكن أحداً من هذه الشعوب، لم يستطع أن ينشر حضارته خارج حدود وطنه الأم، وفي أحسن الأحوال خارج حدود إمبرطوريته.

في هذا الوقت الذي عجزت فيه الإمبرطوريات الكبرى ذات التنظيم السياسي المتماسك ، عن نشر حضارتها خارج أراضيها ونطاق سيطرتها العسكرية، نجد أن الشعب الفينيقي الذي لم يعرف الوحدة السياسية والإدارية يوماً، والذي أمضى آلاف السنين منقسماً إلى دول مدن متعددة، لا تتعدى سيطرة الواحدة منها حدود المدينة الواحدة، هذا الشعب تمكن، على ضعفه السياسي والعسكري، وفشله في إقامة وحدة سياسية وعسكرية، من نشر حضارته في العالم المعروف في زمانه، وداخل أعتى الإمبرطوريات قوّة وجبروتاً. هذه المعطيات التاريخية التي باتت بديهية بعدما أكّدتها نتائج الحفريات الأثرية في بلدان حوض المتوسّط، تثير لدى الباحث الناقد الإشكالية الآتية: كيف تمكن شعب منقسم على نفسه، أو بعبارة أدق كيف تمكّنت مدينة مثل صور أو صيدا، من تحويل البحر المتوسّط إلى بحيرة ملحقة بها إقتصادياً وحضارياً طيلة قرون من الألف الأول ق.م.، في حين عجزت عن ذلك الإمبرطوريات الكبرى التي كانت معاصرة لها؟ حقاً إنها مفارقة غريبة، تستدعي التوقّف عندها.

كانت الحضارة الفينيقية سبّاقة في التوسّع والإنتشار في بقاع العالم القديم (٢). والمكتشفات الأثرية في بلدان المتوسط دلّت على أن شعباً لم يسبق الفينيفيين بنقل حضارته إلى بلدان بعيدة عن بلده. هم كانوا أوّل من حوّل البحر المتوسط، إلى وسيلة إتصال وتواصل بين الشرق والغرب، بعدما كان يشكّل حاجزا يفصل بينهما قبل بداية إنتشارهم على طول سواحله منذ مطلع الألف الأول ق.م. بدأ هذا التحوّل في دور البحر المتوسّط، بعيد موجة القحط والجفاف الأخيرة التي ضربت الشرق الأدنى وبلدان المتوسّط في الربع الأخير من الألف الثاني ق.م. (٢). ذلك أن هذه الموجة تسبّبت في سقوط الدول الكبرى التي كانت تضغط على فينيقيا، كالدولة الحثية والدولة الكاشية والدولة الفرعونية الوسطى، كما دمّرت الحضارة الكريتية الميناوية في بحر إيجه (٤).

وما أن انتهت هذه الموجة في مطلع الألف الأول ق.م.، حتى وجد الفينيقيون أنفسهم أحراراً من أي ضغط خارجي عسكري أو سياسي، فراحوا يجوبون البحر المتوسّط، ويزرعون المستوطنات على شواطئه وجزره. وبعد مضي قرنين من الزمن، أي بحلول القرن التاسع ق.م.، أصبح المتوسّط بمثابة بحيرة فينيقية. ولقد شغلت المكتشفات الأثرية الفينيقية التي عثر عليها في المواقع المتدة على طول سواحل المتوسط، علماء

الآثار والباحثين في تاريخ الحضارة. وظهرت المؤلفات العديدة عن تاريخ الحضارة الفينيقية. وتناولت هذه المؤلفات الفنون الفينيقية، كالنحت والرسم وصناعة الأواني الخزفية والمعدنية والحلي والعاجيات والعمارة، وصوّرت الفينيقيين كتجار ماهرين، وجعلت من التجارة الدافع الأول والرئيس للتوسّع والإنتشار الفينيقي وما رافقه من نشر الأبجدية الفينيقية في العالم. بل رأى بعضهم أن التجارة كانت العامل الفعّال في ولادة وتطوّر الحضارة الفينيقية، مع إقرارهم وإعترافهم بأهميّة هذه الحضارة ودورها الريادي في تاريخ العالم القديم.

فقد رآى سباتينو موسكاتي أحد أبرز الباحثين في الحضارة الفينيقية، أن أرض فينيقيا كانت تمدّ سكانها بموارد إقتصادية ممتازة مثل خشب الأرز والزيتون والكرمة والحنطة والتين والجمّيز والنخيل، ورآى أن هذه الموارد ما كانت لتفيدهم إلا على أساس التبادل التجاري الفعّال الذي مارسه الفينيقيون مع جميع بلدان المتوسّط مما جعلهم أشهر تجار العالم القديم وأكثرهم قدرة (°). وإذا اعتبرنا فرضية موسكاتي صحيحة، لكان علينا أن نرى شعب كل منطقة غنية بثروات يحتاجها الآخرون، شعباً اشتهر بالتجارة مثل الفينيقيين. فكان علينا أن نرى على سبيل المثال شهرة سكان الأناضول بالتجارة لأن بلادهم كانت غنية بالمعادن التي افتقرت إليها بلدان أخرى كثيرة. وكان علينا أيضاً أن نرى شهرة سكان إسبانيا في الألفين الثاني والأول ق.م. بالتجارة لأن بلادهم كانت غنية بالذهب والفضّة والقصدير (۱) التي احتاج إليها ملوك بلاد الرافدين ومصر، لكن التاريخ لا يحدّثنا عن مثل ذلك. إذن لم تكن موارد فينيقية هي الدافع الوحيد الذي دفع الفينيقيين نحو التجارة، أوالسبب الذي جعل منهم أشهر تجار العالم القديم، ولا بد بالتائي من التفتيش عن سبب آخر لشهرتهم وتفوقهم في عالم التجارة.

بيد أن نظرة تأمليّة في تاريخ الفينيقيين بكافّة جوانبه لجهة التنظيم السياسي والمعتقدات الدينية، والأعمال العسكرية، والإنتاج الفني من نحت وخزفيات وحلي وأوان نذرية إلخ... تأخذ في الإعتبار الأماكن التي وصل إليها هذا لإنتاج، تبيّن لنا أن الإنتشار الفينيقي في الإغتراب، لم يكن نتيجة حركة تجارية بسيطة قامت على المكاسب المستعجلة والإستغلال التجاري الرخيص والعابر، بل كان بمثابة ثورة عمرانية وحضارية فجرها الفينيقيون حيثما حلّوا. فالشعب الذي بنى المدن والمؤسسات التجارية في بلدان الإغتراب، وأنشأ فيها المزارع، وعلّم أبناءها زراعة الزيتون والعنب والتين والكرمة، ونشر بينهم الأبجدية، وعلّمهم القراءة والكتابة، إلى جانب علاقته التجارية معهم، هو شعب شكّلت تجارته سبباً لنشوء الحضارة في البلدان التي وصل إليها (۱۷). أمّا سرّ نجاحه في التجارة والاستيطان، فكان يكمن في أصالته وانفتاحه. فالأصالة ساعدته في الاحتفاظ بشخصيته الفينيقية وتقاليده الموروثة، في حين ساعده انفتاحه على التواصل مع الشعوب الأخرى، وتطعيم ثقافته الأم بثقافات البلدان التي ذهب إليها.

والإنفتاح على الآخر عند الفينيقي، لم يكن مجرّد تصرّف ظرفي أو آني مفتعل، تظاهر به لكسب ودّ الغير ريثما يصل إلى مبتغاه، بل كان نهجاً ومسلكاً في حياته، يمارسه يومياً في جميع حركاته وسكناته وعلاقاته داخل مجتمعه وخارجه، بدليل أنه يمكن للباحث تلّمسه في كافّة نشاطات الفينيقي السياسية والفنيّة

والدينية والعمرانية والتجارية والاستيطانية التوسّعية. ويمكن القول أن الفينيقي تربّى على الانفتاح على الغير والتواصل معه سلمياً، تماماً كما يتربّى أطفال المجتمعات الغربية اليوم على الديموقراطية.

فعلى الصعيد السياسي، حدّثنا التاريخ أن كل مدينة فينيقية مثل صور – صيدا – أوغاريت – جبيل أرواد إلخ ... كانت تشكّل دولة مستقلّة تماماً عن الأخرى، وكان لكل منها ملكها وجيشها وآلهتها. وقد ظلّ الفينيقيون منذ بداية تاريخهم في مطلع الألف الثاني ق.م. إلى نهايته في أواخر الألف الأول ق.م. متمسّكين بهذا النظام السياسي الذي عرف بنظام الدولة – المدينة، ومشرذمين سياسياً، رغم حاجتهم الماسّة إلى الوحدة السياسية لأن بلادهم كانت تباعاً عرضة لغزوات الهكسوس والفراعنة والحثيين وشعوب البحر والشمال والآشوريين والكلدانيين والفرس والإغريق. في ذلك الوقت كانت الشعوب الأخرى المجاورة لهم قد أدركت ضرورة الأخذ بمفاعيل التطورات الإقتصادية والسياسية، فتخلّت عن نظام الدولة – المدينة وحققت وحدتها السياسية كالمصريين القدامي الذين وحّدوا مصر السفلي والعليا منذ أواخر الألف الرابع ق.م.، وسكان بلاد الرافدين الذين توصّلوا إلى وحدتهم السياسية في أواخر الألف الثالث ق.م.

وقد ردّ العديد من الباحثين هذا التشرذم إلى عجز عند الفينيقيين وعقم في تفكيرهم السياسي. غير أنه لا يبدو من السهل التسليم بهذه المقولة، لعدّة معطيات أهمها:

١ – أن الفينيقيين تمكّنوا من تحويل البحر الأبيض المتوسّط في مطلع الألف الأول ق.م. إلى بحيرة فينيقية،
 بعدما أقاموا عشرات المستعمرات على امتداد سواحله، بخطط سلمية وبدون إراقة دماء، وذلك باعتراف
 هؤلاء الباحثين أنفسهم.

٧ — بدت فينيقيا في أواسط القرن التاسع ق.م. مهددة بخطرين كبيرين، الخطر الآشوري القادم من الشرق، والذي ازداد إثر معركة قرقر سنة ٥٤٨ ق.م. التي أشرت على بداية تراجع قوّة الآراميين في الداخل السوري، واقتراب سيطرة الآشوريين على الساحل ووضع يدهم بالتالي على ثروات المدن الفينيقية. في نفس الوقت بدأ اللد الإغريقي في السواحل الغربية للمتوسّط بتهديد المستعمرات الفينيقية هناك. لمواجهة هذين الخطرين، تمخّضت العبقرية السياسية عند الفينيقيين عن بناء مستعمرة قرطاج التي هرّبوا إليها جزءاً كبيراً من ثرواتهم ووضعوها بعيداً عن الخطر الآشوري (^). كما تمكنوا بفضل موقع قرطاج المشرف على المرات الواصلة بين الحوضين الشرقي والغربي للبحر المتوسّط، من وقف التوسّع اليوناني في الحوض الغربي منه، ومن الاحتفاظ بالسطرة على هذا الحوض حيث توجد أغنى مستعمراتهم وأكثرها ثروة مثل قادش.

إذن من البديهي القول أن شعباً تمتّع بهذه العبقرية، كان بإمكانه توحيد بضعة دول – مدن (الدول المدن الفينيقية)، لولا أنه كان متمسّكاً بالانفتاح على الآخر على قاعدة الاعتراف بحرّيته واحترام مبادئه ومعتقداته. ذلك أن الفينيقيين آمنوا بأن كل دولة مدينة كانت ملكاً لمثلّث إلهي معيّن، يقوم الإله الراعي فيه بتنصيب الملوك عليها، ويدعم حكمهم. وكان هؤلاء بدورهم يمثّلون هذه الآلهة وينفّذون أوامرها. وإنطلاقاً من هذا الإيمان الديني، كانت كل دولة مدينة -فينيقية، تعتقد أن السيطرة على دولة مدينة أخرى يعتبر بمثابة اعتداء

على آلهه هذه الأخيرة وعلى معتقدات أبنائها، فامتنعت عنه وفضّلت التمسّك بالاعتراف بالآخر، واحترام معتقداته، ولو تعارض ذلك مع مصالحها السياسية.

ويدلّ تاريخ الشرق الأدنى القديم على أن فينيقيا كانت في وضع حرج وحساس في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م.. ففي عصر البرونز الأخير خضع الشمال الفينيقي من أرواد إلى أوغاريت للنفوذ الميتاني ثم الحثي من بعده، في حين خضعت المنطقة الممتدة من أرواد إلى صور للنفوذ المصري. ورغم النزاعات العسكرية المتلاحقة بين المصريين والميتانيين والمصريين والحثيين، فقد احتفظت المدن الفينيقية بعلاقات حسنة مع هذه القوى المتصارعة، واستطاعت أن تلعب، بفضل تواصلها معهم وانفتاحها عليهم، دور الوسيط بينهم، وأن تحافظ على دورها الحضاري والتجاري المميز (<sup>1</sup>).

هذا التواصل مع الآخر المبنى على قاعدة إحترامه والإعتراف بحقوقه، جعل من الفينيقي إنساناً مسالماً، لا يعرف العنف، ولا يجنح إلى الحرب ولا يضعها في حساباته، باستثناء حروب قرطاج التي كانت بمجملها ردّ فعل، وليست فعلاً، وكانت تهدف إلى ردع الاعتداء عليها، ومنع المساس بمصالحها. هذه الفكرة تبدو ظاهرة بوضوح في مسلات الملوك الفينيقيين التي انحصرت موضوعاتها بالعبادة وبناء المعابد للآلهة وتقديم القرابين لها. وليس ثمّة مسلّة فينيقية واحدة، على ما دلّت المكتشفات الأثرية حتى اليوم، تصوّر الملك على شكل محارب يخوض المعارك ويدوس على جثث الأعداء ويفاخر بجرّ الأسرى وراءه، على نحو ما يبدو في مسلاّت ملوك بلاد ما بين النهرين (١٠٠) ، والملوك الحثيين، وفراعنة مصر (١١١) . ولا شك أن غياب مشاهد الدماء والعنف عن المسلات الفينيقية، يفسّر بوضوح النزعة السلمية عند الفينيقي وتمسّكه بفضيلة احترام الغير والانفتاح عليه. ولعلّ الكتابة المنقوشة على ناووس ملك جبيل يحمومك، تشرح بوضوح هموم الملوك الفينيقيين. فلقد جاء فيها: " .... أنا يحمومِلك ملك جبيل بن يحار بعل حفيد أوري مِلك ملك جبيل الذي نصبته بعلات ملكاً على جبيل. لقد دعوت ربتي بعلات جبيل وشيّدت لربتي بعلات جبيل هذا المذبح البرونزي ..... ألا فالتبارك بعلات جبيل يحمو ملك ملك جبيل وليعش وليدم ملكه على جبيل لأنه ملك عادل ...."(١٢). وتأتى أهميّة هذا الدعاء الذي يترجم إفتخار صاحبه بأنه عادل وصالح، من أنه جاء في وقت كان فيه ملوك الفرس يجوبون بجيوشهم الجرارة فينيقيا وبلاد الرافدين، ويدوسون المعارضين بأقدام خيولهم، ويفاخرون بتدمير المدن المعارضة وإحراقها، على نحو ما فعل أرتحشويرش أوخوس عندما أحرق مدينة صيدا حوالي سنة ٣٥٤ ق.م. (١٢١)، وما فعله بعده الإسكندر المقدوني الذي احتل مدينة صور سنة ٣٣٢ ق.م. (١١٠). أن تمسّك الفينيقي بالعدل والصلاح والفضائل في مواجهة الإعتداء والظلم والعدوان، هو خير دليل على احترامه للآخر وانفتاحه عليه.

وتبقى الفنون الفينيقية على تعددها كالنحت والعمارة وصناعة الحلي والفخار وغيرها، خير دليل على إنفتاح هذا الشعب على كافّة الشعوب الأخرى التي عاصرته، وشاهداً على تواصله معها. ذلك أن هذه الفنون تحمل عناصر إستعارها الفنان الفينيقى من شعوب أخرى سبقته إلى استخدامها. فالمعابد الفينيقية المكتشفة

في المستعمرات، تدلّ على أن تمسّك سكانها بمعتقداتهم الدينية وحملها معهم أينما استوطنوا، لم يمنعهم من تطعيم معابدهم التي بنوها هناك بعناصر معمارية جديدة اقتبسوها من التقاليد المعمارية المحلّية لسكان المناطق حيث شيّدت هذه المستعمرات (۱۰۰). هذا الأمر وحده يساعدنا في شرح التباينات الواضحة في فنّ العمارة الدينية الفينيقية بين فينيقيا ومستعمراتها.

وفي ميادين فنون النحت والزخرفة، فقد بذل الفنان الفينيقي جهده لإرضاء ذوق سكان المستعمرات الأصليين. هذا الأمر يبدو ظاهراً بوضوح في إخراج الموضوعات الفنية التي زيّن بها الأواني النفيسة التي صنعت للتصدير إلى الخارج. فقد تعمّد الفنان الفينيقي إختيار الموضوعات المحبّبة إلى الشعوب التي تستورد هذه الصناعا. ونورد مثالاً على ذلك الصحنين الذهبيين اللذين اكتشفا في أوغاريت، والمزينين برسومات ذات تأثير مصري واضح. أحد هذين الصحنين موضوع في متحف اللوفر، وعليه نقش ماعز جبلي يجري بعضه خلف بعض بينما تركض أمامه ثيران بريّة يلحق بها كلب. وتظهر في هذا الصحن العربة والحصان والتأثيرات المصرية مع الإحتفاظ بالتصميم الفينيقي المستقل. والصحن الثاني نقش على سطحه الخارجي ثلاثة مشاهد متواصلة ومستقلة تتوالى في ثلاثة حقول، مثيلاتا معروفة في مصر وبخاصّة في عهد توت عنخ آمون. وفي الدائرة الصغرى المحيطة بقاع الصحن، تظهر الماعز وهي تقفز حول شجرة الحياة. وفي الدائرة الوسطى التي تليها، نرى ثيراناً متوحّشة وأسوداً تفصل بينها أشجار. وفي المشهد الثالث نقشت حيوانات خرافية محبّبة إلى الذوق نرى ثيراناً متوحّشة وأسوداً تفصل بينها أشجار. وفي المشهد الثالث نقشت حيوانات خرافية محبّبة إلى الذوق الفرعوني، كأبي الهول والثور المجنّح والماعز مع مشهد رجلين يهاجمان بالرماح أسوداً متوحّشة (١٠١).

وكذلك ظهرت على الصناعات العاجية الفينيقية تأثيرات مصرية، ومنها اللوح الذي حفر على وجهيه موضوعات دينية لأمراء وجنود وآلهة أوغاريت تحيط بها أزهار اللوتس. فعلى الوجه الأول لهذا اللوح نرى ستة مشاهد منفصل بعضها عن بعض: مسلّح يحمل رمحاً، يليه شخصان في موقف غرامي، ثم مشهد لربّة أوغاريت الكبرى عنات مجنّحة ترضع شخصين واقفين وعلى رأس كل منهما تاج الربّة حاتور المصرية، يليه إمرأة تحمل إناء زهرة لوتس، ثم صياد يحمل وعلاً (۱۷).

وعلى الأختام الأسطوانية التي عثر عليها في أوغاريت تظهر التأثيرات الآشورية والميتانية والمصرية والميونانية، التي أخضعت لذوق الأوغاريتيين الذين نحتوا عليها آلهتهم ورموزها.

وكذلك قلّد الأوغاريتيون القبارصة في صناعة الأواني الفخارية الملوّنة بخطوط سوداء أو حمراء، ورسموا على بعضها أشكالاً نباتية أو حيوانية مختلفة. وكانت هذه الأواني تقليداً واضحاً للأواني الفخارية الفاخرة المستوردة من قبرص والعالم الإيجى(١٨).

ويبدو الإنفتاح على فنون الشعوب الأخرى وأذواقها في فن النحت الجنائزي، وتحديداً في نحت ناووس أحيرام. عثر على هذا الناووس في المقبرة الملكيّة في جبيل، وهو محفوظ اليوم في المتحف الوطني في بيروت. وهو يحمل نقوشاً تشير إلى إنفتاح الفنان الفينيقي على الفنون الحثية والمصرية والإغريقية والرافدية. فالأسود الأربع المنحوتة بإتقان مستعارة من الفن الحثي. وصورة الملك أحيرام فوق عرشه وملابسه وغطاء رأسه

وخصلات لحيته تحمل جميعها ميزات رافدية. أمّا زهرة اللوتس المنكّسة التي يحملها الملك بيده، وهي علامة الموت، وكذلك لباس رجال حاشيتهه، فهي جميعها من التأثير المصري، لكن الرسوم العامّة واستعمال الناووس يدلان على أصالة فينيقية (۱۱). واللافت في هذا الناووس أنه بالرغم من تعدد التأثيرات الفنية التي يحملها، فإن العناصر المكوّنة لنقوشه تنمّ بمجموعها عن تناسق وأصالة إلى درجة كبيرة (۲۱). وكذلك عثر المنقبون على نواويس في أماكن متفرّقة في فينيقيا، وهي تعود إلى أواخر العصر الفارسي، وتحل تأثيرات مصرية وإغريقية واضحة في هيئة رأس الأشخاص المنحوتة عليها وفي قصّة الشعر.

ولعل أبرز دليل على تواصل الفينيقيين مع غيرهم وانفتاحهم عليه، يظهر في الألواح الكتابية التي عثر عليه الله على المنافق المنافق الله الله الله الأرشيف الملكي في أوغاريت، والتي عرفت بالأرشيف الملكي. ذلك أن هذا الأرشيف وجد مكتوباً باللغات الأكادية والحورية والحثيّة والقبرصية والكريتية، إضافة إلى الأبجدية الأوغاريتية.

كان من شأن هذا الإنفتاح الواسع على الشعوب الأخرى، أن يطمس الشخصية الفينيقية، لولا أن الفينيقيين ظلّوا أصيلين أوفياء لثقافتهم ووطنهم. وتبدو أصالتهم، كما بدا إنفتاحهم، في كافّة أعمالهم الفنيّة ونشاطاتهم السياسية.

ففي الجانب السياسي، ظلّ المهاجرون الفينيقيون إلى قرطاج أوفياء لمدينتهم الأم صور، واستمروا بإرسال الأموال لها. وكذلك ظلّ المهاجرون الصوريون إلى مستعمرة بوزولي على ساحل إيطاليا شمالي نابولي مرتبطين بمدينة صور، وأوفياء لوطنهم الأم خمسة قرون بعد استيلاء الإسكندر على مدينة صور والساحل الفينيقي. هذا ما يدلّ عليه نقش كتابي محفوظ في متحف الآثار بمدينة نابولي. ويتضمّن نص هذه الكتابة على رسالة موجّهة من أبناء بوزولي إلى مدينة صور جاء فيها: "رسالة موجّهة إلى مدينة الصوريين، العاصمة المقدّسة والمستقلّة لفينيقيا وللمدن الأخرى، والمدينة الأولى على البحر ... إلى الموظّفين وإلى مجلس الشورى وإلى مجلس الشعب، شعب الوطن العظيم ... الصوريون المقيمون في بوزولي ... تحيّة ... "ثم يتابع أبناء بوزولي في رسالتهم بطلب إعفائهم من الضريبة التي يقدّمونها لمدينة صور، لأن روما فرضت عليهم أتاوات وضرائب بعدما تزايد نفوذها في إيطاليا. وإضافة إلى ذلك طالب أصحاب الرسالة بإعانة مالية من صور من أجل أماكن العبادة ومذابح الآلهة الصورية في مستعمرتهم. ثم ختموا الرسالة بالقول: " ... إننا إذ نتوجّه إليكم ... إن مصيرنا متعلّق بكم ... إهتمّوا بالقضية. " .. كتبت هذه الرسالة في بوزولي في مطلع شهر آب في عهد قنصليّة كل من غالوس وفلاكوس، وقد حدد جان مازيل تاريخها بسنة ١٧٤ م.

وقد ردِّ مجلس الشعب في صور على طلب أبنائهم في بوزولي بأن حكومة صور توافق على إعفاء رعاياها في بوزولي من الضرائب المترتبة عليهم، لكنها ترفض تقديم الإعانة المالية، وذكِّرهم بالروح الوطنيَّة التي يعتزُّ بها الصوريون (۲۱) .

لا شكّ أن هذه الرسالة والجواب عليها يدلان على أصالة واضحة عند الفينيقيين بعدما كشفا أن مستعمرة بوزولي ظلّت تدفع الضريبة لصور حتى بعدما فقدت هذه الأخيرة قوّتها ونفوذها وباتت ترزح تحت

سيطرة روما.

وفي الجانب الديني، تتجلّى الأصالة الفينيقية في تمسّك مستوطني المستعمرات البعيدة المنتشرة في شواطئ المتوسّط بالديانة الفينيقية للمدن الأم. فالمكتشفات الأثرية في المستعمرات الواقعة في الحوض الغربي للمتوسّط، تدلّ على استمرار فينيقيي هذ المستعمرات مثل قادش وقرطاج بتقديس الإله الصوري ملقارت وعبادته. فقد كان هيكله في قادش أحد أهمّ وأشهر المعابد المقدّسة في العصور القديمة، كما انتشر صيته في جميع أنحاء منطقة البحر المتوسّط منذ أواخر الألف الثاني ق.م. (٢٢). وكذلك نشر المستعمرون الصوريون عبادة عشتار في جميع أنحاء منطقة البحر المتوسّط في قبرص ومالطة وصقلية وسردينيا حيث توجد شواهد كثيرة على عبادتها. وأقدم نقش فينيقي عثر عليه في شبه جزيرة البيرينه، هو نقش مهدى لعشتروت بالذات. وقد حفر هذا النقش على أسفل قاعدة تمثال صغير للآلهة عارية، جاء فيه أن هذا التمثال مهدى لعشتروت من الأخوين بعلياتون وعبدو بعل، أبناء داميك كاهني وسيط الوحي (٢٣). وكذلك شدّد الكتّاب القدامي على أن طقوس العبادة في معبد قادش كانت شرقية فينيقية حسبما ذكر ديودوروس وأريان وأبيان. وكذلك أشار يولي بركوفيتش إلى التقارب الكبير بين تماثيل آلهة الخصب الأم العظيمة عشتار التي عبدت في فينيقيا، وتماثيل تنيت المن معتقدات المستعمرين الصوريين الدينية وموطنهم في الشرق (٢٤٠). فالقبور التي اكتشفت في قرطاج تشبه بين معتقدات المستعمرين الصوريين الدينية وموطنهم في الشرق (٢٤٠). فالقبور التي اكتشفت في قرطاج تشبه بمن معتقدات المستعمرين الصوريين الدينية وموطنهم في الشرق (٢٤٠). فالقبور التي اكتشفت في قرطاج تشبه بمن معتقدات المستعمرين الصوريين الدينية وموطنهم في الشرق (٢٥٠).

وتبدو الأصالة أيضاً في تمسّك الفينيقيين بطراز العمارة التي ألفوها في موطنهم الأصلي في صيدا وصور وأرواد، حيث كشفت التنقيبات الأثرية في المستعمرات الفينيقية الإسبانية أن المهاجرين الفينيقيين حملوا معهم من موطنهم تقنيات البناء، واستخدموها في أبنيتهم. لكن انفتاحهم على المجتمع الجديد والبيئة الجديدة، لم يمنعهم من استخدام الآجر الخام في أبنيتهم، وذلك خلافاً لسكان فينيقيا الآسيوية (٢٦).

وكذلك تبدو الأصالة في تغنّي أبناء مستعمرة قادش الفينيقيين بمدينة صور، وتعظيمهم لقوّة هذه المدينة (٢٧). وقد خلص الباحث في الحضارة الفينيقية في إسبانيا يولي بركوفيتش إلى القول: "هكذا كانت الحياة اليومية والاقتصادية في المدن الفينيقية في إسبانيا، وقد شابهت في العديد من جوانبها، الحياة في مدن فينيقيا، وتميّزت عنها بجوانب عديدة أخرى. ويصحّ القول نفسه على الفن والدين والكتابة عند الفينيقيين الإسبان" (٢٨).

وفي النهاية يمكننا القول أن استمرار الخصائص التي تميّزت بها حضارة المدن الفينيقية الأم، صور وصيدا وأرواد وجبيل وأوغاريت، في المستعمرات الفينيقية وتطوّرها في هذه المستعمرات في خارج فينيفيا، هو دليل ساطع على أصالة الفينيقيين وتمسّكهم، إلى جانب انفتاحهم على الآخر، بأصولهم وثقافتهم الموروثة، وبخاصّة في مجالات الفن والسياسة والدين. هذا الأمر شكّل برأي سباتينو موسكاتي السبب الرئيس في جعل المستعمرات الفينيقية جزءاً هاماً من عالم الفينيقيين، وفي جعل حضارة المستعمرات مثل قرطاج وغيرها، هي إستمرار لحضارة المدن الفينيقية الأم مثل جبيل وصيدا وصور (٢٠).

وخلاصة القول أن المعجزة الفينيقية لا تكمن في نجاح الفينيقيين في التجارة، ولا في تمكّنهم، على ضعفهم العسكري، من تحويل البحر الأبيض المتوسّط إلى بحيرة فينيقية، ولا في فكرهم الديني والسياسي، بل إن المعجزة في كلّ هذه الأمور، تعود إلى أن الفينيقي تحلّى في آن معاً بفضيلتي الأصالة والإنفتاح، اللتين مكنتاه من نشر حضارته وتطويرها، وإطالة عمرها إلى ما يقارب ألف وسبعماية سنة (٢٠٠٠ – ٣٣٢ ق.م.). فبالأصالة حافظ على شخصيّته الفينيقية وتقاليده وعاداته الموروثة، وبالإنفتاح تمكّن من تطوير حضارته والتكيّف مع الظروف المستجدّة، وبات مقبولاً أينما حلّ في بلدان الإغتراب. فالأصالة فضيلة بحدّ ذاتها، لكنها كفيلة إذا لم تكن مقرونة بالانفتاح، في التسبّب بتحجّر الذهن وتقهقر الحضارة وزوالها. والانفتاح بدون الأصالة، كفيل بطمس الشخصية وفقدان الهوية وضياع الحضارة أيضاً.

### الهوامش و المراجع:

- ١ سباتينو موسكاتي: : الحضارة الفينيقية ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٨، ص ١٣
- ٢- دلّت المكتشفات الأثرية في بلاد مابين النهرين وشمالي سوريا، على إنتشار حضارة العبيد في الألف الخامس ق.م في الجنوب والشمال الرافدي. كما انتشرت حضارة حلف في الألف الخامس من شمال سوريا وصولاً إلى الجنوب وعيلام. لكن ما يجب تسجيله هنا أن انتشار كلتا هاتين الحضارتين كان ضمن مناطق برية مجاورة لها ولم يكن بينها فواصل مائية كبرى كالبحر المتوسط.
  - ٣– فراس السواح: آرام دمشق وإسرائيل، منشورات علاء الدين، دمشق ١٩٩٥، ص ٧٩..
    - ٤ المرجع السابق، ص ٨٤
  - ٥- سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٨، ص ٢٤-٢٥.
- ٦- يولي بركوفيتش تيسركين: الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة يوسف أبي فاضل، جروس برس، ومختارات، بيروت
   ١٩٨٧، ص ٨٨.
  - ٧- أسد الأشقر: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية، منشورات مجلّة فكر، ج١، ص٢٤٣
- ٨- بنى الصوريون قرطاج لتهريب ثرواتهم من الآشوريين، وللتصدي لتوسّع الإغريق في الحوض الغربي للبحر المتوسّط بعدما كان هؤلاء قد نجحوا في طرد الفينيقيين من معظم مستعمراتهم في بحر إيجة و السواحل الغربية للبحر المتوسّط. أمّا ما أوردته الأسطورة عن هرب أليسار من شقيقها بغمليون ملك صور بعدما قتل زوجها، وتشييدها مدينة قرطاج هي وبضعة كاهنات من معبد ملكارت ومعبد عشتار وحفنة من المؤيدين لها، فإنه يؤشر إلى نشوء خلاف على السلطة في مدينة صور بين السلطة الدينية ممثلة بكاهن معبد الإله ملكارت زوج أليسار، وشقيقها الملك بغمليون. ويبدو أن النصر كان حليف المك الذي قتل الكاهن الأكبر، ما أدى إلى هرب أتباعه ومؤيديه الذين حطوا رحالهم عند رأس تونس. غير أن نمو

مدينة قرطاج بسرعة قياسية،إذ أنها لم تتطلب أكثر من حوالي عشرين سنة حتى أصبحت أكبر وأغنى مدينة على المتوسط، يدل على أن ذهاب أليسار إلى موقع قرطاج لم يكن لمجرّد خلاف زوجها مع أخيها، بل كان بناء على خطة مدروسة وضعتها الأرستقراطية في صور ومعها رجال المعبد والقصر لإنقاذ ثرواتهم من الآشوريين، الذين كانوا قد دخلوا مملكة دمشق الآرامية ووصلوا إلى أعالى الهضاب الساحلية في فلسطين، أى أنهم أحاطوا بالمدن الفينيقية في الساحل.

- ٩- سلطان محيسن: آثار الوطن العرب القديم، المطبعة الجديدة، دمشق ١٩٨٨-١٩٨٩، ص ٤٦٤.
- ١٠ نذكر على سبيل المثال مسلّة شلمنصّر الثالث المعروفة بالمسلّة السوداء، وهي محفوظة في متحف اللوفر.
- ١١ نذكر على سبيل المثال نصب مرنبتاح ورسومات هذا الفرعون على جدران معبد الكرنك، ورسومات رعمسيس الثاني.
  - ١٢ سبلتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٨، ص ٦٩.
    - ١٣ سبلتينو موسكاتي: مرجع سابق، ص ٥٧.
- ١٤ جان مازيل: تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، تعريب ربا الخش، دار الحوار، سورية اللاذقية، ١٩٩٨، ص ١١٤.
- ١٥- جورج كونتينو: الحضارة الفينيقية، تعريب محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٧، ص ١٠٤-
  - ١٦ سلطان محيسن، مرجع سابق، ص ٢٧٧.
    - ١٧ نفس المرجع، ص ٢٧٩.
    - ١٨ نفس المرجع السابق، ص ٢٦٥ ٢٨٣.
  - ١٩ سباتينو موسكاتي: مرجع سابق، ص ١٠١
    - ۲۰ جان مازیل: مرجع سابق، ص ٦٣ ٦٤.
  - ۲۱ جان مازیل: مرجع سابق، ص ۱۱۶ ۱۱۵
  - ۲۲ يولي بركوفيتش تسيريكين: مرجع سابق، ص ١٠٢ ١٠٤.
  - ٢٣ يولي بركوفيتش تسيريكين: مرجع سابق، ص ١١٧ ١٢٠.
  - ۲۶ يولى بركوفيتش تسيريكين: مرجع سابق، ص ۱۳۹ ۱٤١.
    - ٢٥ سباتينو موسكاتي: مرجع سابق، ص ٩٣.
    - ٢٦ ـ يولى بركوفيتش تسيريكين: مرجع سابق، ص ٧٤ ـ ٧٥.
      - ٢٧ يولى بركوفيتش تسيريكين: مرجع سابق، ص ٤٤.
      - ۲۸ یولی برکوفیتش تسیریکین: مرجع سابق، ص ۱۰۲.
        - ٢٩ سباتينو موسكاتي: مرجع سابق، ص ١٢.

## الفيس بوك والتغير في تونس ومصر

د.عبدالرزاق محمد الدليمي جامعة البتراء – الاردن عمان

### تقديم

يرى كثير من المهتمين ان لوسائل الإعلام دوراً مهماً في التغيير الذي حدث في تونس ومصر وذهب بعضهم الى تسمية ماحدث ( بثورة ألنت) لانها وفقا لهذه الاراء لم تكن تنتمي لأي حزب ولم يقم أي تنظيم بقيادتها . والذي طغى على السطح العلاقات عبرالفيسبوك وبحسب تقرير «رويترز» تنامى استخدام الموقع في الوطن العربي بدرجة مذهلة، من ١١,٩ مليون مستخدم في يناير ٢٠١٠ إلى ٢١,٣ مليون في يونيو من العام نفسه، بنسبة نمو بلغت ٧٨ في المائة في عام واحد فقط .

وقد نبه الرئيس الأمريكي جيرالد فورد في سبعينات القرن الماضي إلى النفوذ المتزايد لتأثير هذه الوسيلة الإعلامية الجديدة في الحياة السياسية، فقال في وصف التلفزيون: (إن التلفزيون هو الآلة الجديدة التي يتم بو اسطتها عملية إقناع الشعب الأمريكي)، فلا يمكن تجاهل التأثير الاجتماعي لوسائل الإعلام على اختلافها، فالإعلام الحرليس غاية وحسب؛ ولكن وسيلة لتحقيق التحول الاجتماعي. إن قدرة الإعلام الاجتماعي على الوصول إلى دائرة التأثير والتغيير دفعت بشمعون بيريز في افتتاح مؤتمر هر تزليا للأمن القومي للتنويه بهذا الدور في ثورتي تونس ومصر. إن الاستعانة بوسائل الإعلام الاجتماعية في التعبير عن الاحتجاجات ودعوة الجماهير إلى المطالبة بحقوقهم وإسقاط حكومات يعود تاريخه إلى ١٧ (يناير) ٢٠٠١م، لدى بحث قضية تنحية الرئيس الفلبيني جوزيف إسترادا؛ حيث صوَّت الموالون له في الكونغرس الفلبيني لصالح تجاهل أدلة ضده، وفي أقل من ساعتين وزعت رسائل نصية حيث جرى إرسال سبعة ملايين رسالة نصية، وبحلول ٢٠ (يناير) نحِّي إسترادا عن الحكم، وشكلت تلك الحادثة أول سابقة تتمكن فيها وسائل الإعلام الاجتماعي من المساعدة على إجبار زعيم دولة على ترك الحكم، وألقي إسترادا نفسُه اللومَ على الرسائل النصية.

وفي إسبانيا عام ٢٠٠٤م، أفضت المظاهرات التي نُظُمت بواسطة الرسائل النصية إلى إسقاط رئيس الوزراء الإسباني خوسيه ماريا أزنار، ونُظِّمَت احتجاجات ضد قوانين التعليم في تشيلي في عام ٢٠٠٦م، واحتجاجات اللحم المعلب في كوريا الجنوبية في عام ٢٠٠٨م، وفقد الحزب الشيوعي السلطة في مولدوفا في عام ٢٠٠٩م عندما انفجرت المظاهرات بعد انتخابات مزورة بشكل واضح، واستتُخدمَت وسائل الإعلام الجديد في

كثير من حركات الاحتجاج بما فيها ضد الحراس السيخ في الهند في عام ٢٠٠٩م، وخلال انتفاضة «الحركة الخضراء» في إيران في (يوليو) ٢٠٠٩م استخدم الناشطون كل وسيلة تنسيق تقنية ممكنة من أجل الاحتجاج على إساءة إحصاء الأصوات التي أيدت حسين موسوى، لكنه جرى إجبارهم على الركوع في النهاية بسبب القمع العنيف، وفي تايلند اتبعت حركة «القميص الأحمر» في عام ٢٠١٠م مساراً مشابهاً؛ حيث سيطر المحتجون على وسط مدينة بانكوك وفرقت الحكومة التايلندية المتظاهرين وقتلت عشرات منهم.

صحيح ان ماحدث لم يكن بالحدث الجديد على مستوى تجارب العالم (سبق وان حدث أيضاً في السويد أثناء الأنتخابات وذلك تنديداً بدخول التنظيم العنصري لحزب الديمقراطي السويدي) حيث قامت مجموعة من الشباب على الفايسبوك بتنظيم مسيرة ضد هذا الحزب وسياساته.

الا ان الموضوع جديد كليا على الثقافة والممارسه الشعبية العربية.

إن الانترنيت ظاهرة العصر وهو اخطر الاحزاب (العالمية )في القرن الحادي والعشرين حيث يفرض دوره بقوة على الانظمة السياسية في العالم وما احداث لندن الاصورة متقدمة لما يمكن ان يؤدية تشابك العلاقات عبر الانترنيت الذي أضحى كابوساً يقض مضاجع الجميع ولن يسلم منه احد حتى من اخترعوه (الامريكان)، لهذا يقومون بمنعه أو فرض رقابة شديدة عليه ويراقبون كل خطواته.

ونحن نتابع هذه الايام تحركات شعبية امريكية منظمة تطالب ربيعاً امريكياً وتغييرات واصلاحات فالقضية لمتعد حكر اعلى من استهدفتهم القوى الامبريالية العالمية بل ان النار اصبحت تحت اقدام من اشعلوا فتيلها. منذ اللحظة الأولى لاحداث تونس ومصر، وقد نجحتا في ١٩يناير و١١فبرايرعام٢٠١م من إسقاط النظام، وحتى الآن وربما لفترات طويلة قادمة، «كما أن الشبكة العنكبوتية أو الانترنت من خلال أشكال التعامل معها: مواقع، منتديات، صحف الكترونية، مدونات، مواقع اجتماعية، بريد الكتروني.. باتت من الأهمية التي راجت أكثر كثيرا عما قبل، وشعر بذلك اغلب افراد المجتمع. وباتت هناك شريحة عريضة وهامة جديدة، هي تلك التي تضم التقنى لفنون الكمبيوتر ومعطيات الثورة الرقمية، وكذلك المستخدم المتفاعل بوعى للشبكة (أيا كان عمره أو تخصصه).

مشكلة البحث: كثر الجدال حول الاسباب التي دفعت بالاحداث في تونس ومصر الى ان تصل الى ما هي عليه والآليات التي استخدمت في تاجيج المواقف وتصعيدها على هذا النحو الامر الذي يستوجب البحث لاسيما وان هناك من يعتقد ان لموقع الفيس بوك دوراً اساسياً فيما حدث وهنا تكمن المشكلة الاساسية للبحث. اهداف البحث: هدف البحث الى التعرف على اسباب الاحداث في كل من تونس ومصر ودور الفيس بوك فيها. اهمية البحث: نتيجة لحيوية ماحدث ويحدث في تونس ومصر وكثرة النقاشات ووجهات النظر في اسباب ماحدث الا ان التصدى للموضوع بحجم اهميته التي ترشحت على السطح ولكون ان الموضوع جديد ولازالت تفاعلاته مستمرة لم ياخذ ما يستحقه من البحث العلمي المنهجي ولذلك هناك شحة في المصادر ومن هنا تاتي اهميته كونه يمثل واحدة من الدراسات الرائدة التي تناولت هذه الاحداث.

منهجية البحث: حتمت طبيعة البحث استخدام المنهج الوصفي.

المبحث الاول

#### مدخل الى الشبكة العنكبوتية

إن الثورة الهائلة التي نعيشها اليوم، و التي تقوم على تزاوج وسائل الاتصال عن بعد مع شبكات المعلومات و الحواسيب بخاصة. فالإنترنت<sup>(۱)</sup> يجذب الانتباه العالمي نحو الموضوعات السياسية والاقتصادية والثقافية والإجتماعية ويوثق العلاقة بين اشكال الإعلام المختلفة ان الانترنيت (۱) بمكوناته التقليدية التي جمعها مثل التصفح فاكس تلكس خدمة مؤتمرات فيديو ومؤتمرات الصوت التلفونية عبر البوتوكول الجديد (voip) وخدمة التواصل عبر الدردشة الكتابية ومواقع التواصل الاجتماعي بعد انتشار تلك الوسائط للتواصل و التي اتاحت للناس تبادل الآراء فاصبحت الافكار تتبلور وتنمو بسرعة وتصقل وتوجه لكي تصيب اهدافها بفعالية عالية جدا وتواصل مستمر بين الناس مما ادى الى ولادة سلاح دمار جديد يمكن ان استثمر بشكل صحيح ان يطيح بالانظمة ايا كانت في الوطن العربي أو العالم الغربي، ويمكن ان يكون للشبكة العنكبوتية دور رئيسي في تحريك الرأي العالمي والمحلي، فعالم اليوم قد اصبح شاشة (آي فون او بلاك بيري) صغيرة، وساذج من يعتقد غير ذلك ويبدو ان تطوير التكنولوجيا الإعلامية وإعادة النظر في علاقة منتجي الأخبار بالمشاهد يشكلان التحدي غير ذلك ويبدو ان تطوير والتكنولوجيا الإعلامية وإعادة النظر في علاقة منتجي الأخبار بالمشاهد يشكلان التحدي الكبر الذي يواجه الإعلاميين وتعليم الإعلام في القرن الواحد والعشرون (۱۰).

وفي الانترنيت ايضا ثمة تطور هائل قد تحقق في التلفزيون التفاعلي والتعليم الالكتروني ومؤتمرات الفيديو وتطبيقات الواقع الافتراضي وظهور المتاحف والمكتبات الافتراضية وستمكن هذه التقنيه العلماء والأطباء المشاركه في استخدام الاجهزه والمعدات والانجازات المشتركة عن بعد<sup>(1)</sup>.

#### (Facebook) الفيس بوك

وهو موقع أطلقه شاب من غرفة نوم صغيرة قديمة في جامعة هارفارد وهو مارك زوكربرج، (Mark) وهو موقع أطلقه شاب من غرفة نوم صغيرة قديمة في جامعة هارفارد وهو مارك زوكربرج، (Zuckerberg)، صارت قيمته اليوم تزيد على ١٥ مليار دولار أو أكثر مائة مرة من عائده السنوي الذي يقدر بمائة وخمسين مليون دولار والفيس بوك موقع ويب<sup>(٥)</sup> للتواصل الاجتماعي يمكن الدخول إليه مجاناً وتديره شركة «فيس بوك» محدودة المسؤولية كملكية خاصة لها. وقد أثير الكثير من الجدل حول موقع الفيس بوك على مدار الأعوام القليلة الماضية. فقد تم حظر استخدام الموقع في العديد من الدول خلال فترات متفاوتة، كما

حدث في سوريا وإيران. كما تم حظر استخدام الموقع في العديد من جهات العمل لإثناء الموظفين عن إهدار أوقاتهم في استخدام تلك الخدمة. كذلك، مثلت الخصوصية واحدة من المشكلات التي يواجهها رواد الموقع، وكثيرًا ما تمت تسوية هذا الأمر بين طرفي النزاع. كما يواجه موقع الفيس بوك العديد من الدعاوى القضائية من عدد من رفاق زوكربيرج السابقين الذين يزعمون أن الفيس بوك اعتمد على سرقة الكود الرئيسي الخاص بهم وبعض الملكيات الفكرية الأخرى. (٤) ويمكن للمستخدمين إنشاء ملفات شخصية تتضمن بعض الصور وقوائم الاهتمامات الشخصية، و تبادل الرسائل العامة أو الخاصة والانضمام إلى مجموعات من الأصدقاء. وكوضع افتراضى، فإن عرض البيانات التفصيلية للملف الشخصى يكون مقتصرًا على المستخدمين من الشبكة الواحدة نفسها الواحدة وبعض الاستثناءات المحدودة الأخرى. (٥) وقد قام الفيس بوك بطرح نظام تشغيل . Facebook Platform . في ٢٤ مايو من عام ٢٠٠٧، (٩)

أعلى عشر دول استخدامها للفيسبوك على المستوى العالمي ( 2011-25-25 )

النسبة لعدد السكان	مقدار و نسبة النمو خلال ٦ اشهر		المستخدمين	<u> </u>	م
<u>/</u> £٩,٨٩	%1·,1V+	+1 £, 7 ٨ 0, 1 £ .	101,77.,11.	الولايات المتحدة الامريكية	١
%\£,V\	% <b>٢٧,٣</b> ٦+	٧,٧٨٨,٨٦٠+	T0,V£T,T	اندونيسيا	۲
½ £ A , 0 1	%A,V٣+	7, 5 7 1, 7 7 . +	٣٠,٢٤٤,٢٦٠	المملكة المتحدة	٣
7,40,00	%Y • , 0 V+	٤,٧١٨,٥٤٠+	۲۷,٦٦١,٦٤٠	تركيا	£
% <b>٢,.</b> ٣	%\\\\+	٩,٥٤٠,٤٨٠+	77,001,17.	الهند	٥
% <b>٢٠,</b> ٢٩	%£ Y, 9 T+	٦,٨٥٤,١٢٠+	77,119,71.	المكسيك	٦
% T T , T £	% <b>٣</b> ٢,٢٥+	0, £ 1 1, 7 1 . +	77,719,15.	الفليبين	٧
% <b>٣٣,</b> ٦ £	%17,£0+	7, £ 1 7, 7 +	۲۱,۷۹۰,۹۸۰	فرنسا	٨
% <b>٣٣,.</b> 0	%17, WA+	7,110,77.+	19,191,. 5.	إيطاليا	٩
%00,18	% <b>9,</b> ٧٦+	1,701,100+	11,717,7	كندا	١.

# إحصائيات وأرقام مهمة

١- يتصدرُ موقعُ الفيسبوك قائمةَ المواقع الأكثر شعبيةً وتصفحاً في العالم وفقاً للإحصائيات التي يقدمُها محركُ البحث الشهير قوقل Google حيث كان عدد زواره لشهر فبراير من العام ٢٠١١ وفقاً لإحصائيات قوقل ٩٠٥ مليون زائر قاموا بتصفح ٧٧٠ مليار صفحة في الموقع، مُتقدماً بذلك على موقع عرض ملفات الفيديو الشهير يوتيوب YouTube والذي تملكه شركة قوقل حيث بلغ عدد رواره لنفس الشهر ٤٩٠ مليون زائر.. طبعاً تلك الإحصائية لا تشملُ محرك البحث الشهير قوقل والذي يُعتبرُ الأولَ في العالم من حيث التصفح. ٢- كما تشيرُ إحصائياتُ موقع أليكسا alexa.com المتخصص في ترتيب المواقع بحسب نسبة تصفحها إلى أن موقع الفيسبوك يأتي في المرتبة الثانية بعد محرك البحث الشهير قوقل وقبل موقع عرض ملفات الفيديو يوتيوب، وللعلم فمالكو هذه المواقع الثلاثة هم شبابٌ يهودٌ لا يتجاوز عمرُ أكبرهم ٣٩ عاماً! ٣- ووفقاً لموقع فيسبوك تأتي الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ في مقدمةِ الدول التي يستخدمُ أفرادها الفيسبوك على الصعيد العالمي بأكثر من ١٥٤ مليون مستخدم وهو ما يقاربُ نصفَ عددِ سكانِها، وعلى الصعيدِ العربي تأتي جمهوريةُ مصرُ العربيةُ في المقدمة بأكثر من عدد سكانها..

وفيما يلي جدول يوضح أكثر عشر دول استخداماً للفيسبوك على الصعيدين العالمي والعربي: انظردعبدالرزاق محمد الدليمي٢٠١٢: الصحافة الاستقصائية، دار المسيرة عمان الاردن.

٤- بما أن عدد المستخدمين لموقع الفيسبوك قد تجاوز حاجز الـ ٦٧٠ مليون مستخدم؛ فلديهم قرابة عُشْر سكان الكرة الأرضية. نصفهم يتصفحون الموقع بشكل يومي.

٥- ٤٨٪ من المستخدمين بين أعمار ١٨-٣٤ سنة يتصفحون صفحاتِهم على الفيسبوك بمجردِ استيقاظهم من النوم ، وحوالي ٢٨٪ من المستخدمين يتصفحون صفحاتهم على الفيسبوك منْ هواتفِهم الذكية (أندرويد، أيفون وغيرها) قبل أنْ ينهضوا من أسرّتهم.

7-00 من مستخدمي الفيسبوك يتواصلون مع بعضهم البعض عبر صفحات الفيسبوك أكثر مما يتواصلون على أرض الواقع .

٧- ٨٤٪ من الشباب الأمريكي قالوا بأنهم يطلّعون على الأخبار من خلال الفيسبوك.
 ٨- في عطلة نهاية الأسبوع الأول من العام ٢٠١١ تم رفع ٧٥٠ مليون صورة إلى موقع الفيسبوك مِنْ قِبلِ
 المستخدمين، وهو رقمٌ قياسيٌ.

٩- وفي نهاية هذه الإحصائيات دعونا نلقي نظرة لنرى ماذا يحدث خلال عشرين دقيقة على موقع الفيسبوك:
 ٥ مشاركة مليون رابط إلكتروني.

- O وصف أشخاص في مليون وثلاثمائة وثلاثة وعشرون ألف صورة.
  - O الدعوة للمشاركة في مليون وأربعمائة وأربعة وثمانين حدثاً.
- O تحديث أكثر من مليون وثمانمائة ألف حالة شخصية للمستخدمين.

O الموافقة على قرابة مليونى طلب صداقة.

- O رفع قرابة الثلاثة مليون صورة.
- O إضافة أكثر من عشرة مليون تعليق.
- O إرسال قرابة ثلاثة مليون رسالة نصية.

#### ملاحظات حول الفيس بوك

ازداد الاهتمام بموقعي التواصل الاجتماعي "فيسبوك وتويتر" على شاشاتِ التلفزة الإخبارية وصفحاتِ الجرائد، كعواملَ هامة ومساعدة في تفجيرِ ومؤازرةِ الثوراتِ العربية.. وقد كان لله "فيسبوك" نصيبٌ أكبر ودورٌ أهمّ من "التويتر"؛ لاحتوائه على عددٍ أكبرَ منَ المستخدمين العرب وتسارعِ نموه المتزايد في المنطقة العربية.. فعلى صفحات "الفيسبوك" وُلدتِ الثوراتُ العربيةُ إلكترونياً وتم التخطيطُ والتمهيدُ لها كي تتجسمَ وتظهرَ على أرضِ الواقع؛ لتهزَ وتقتلعَ أنظمة دولٍ تكلست عروش حكامها فتحجروا فوقها بعد أن بذلوا الغالي والرخيص آملين أن يبعثوا عليها .واليمنُ ليس بمعزلِ عمّا يحدثُ حوله، فقد ساهمَ في ذلك النمو السريع للمستخدمين العرب على صفحات الفيسبوك، حيث تضاعفَ عددُ المستخدمين إلى أكثر من الضعف منذ بدء الثورة التونسية في يناير ٢٠١١ .

تشير آخر الاحصائيات لشهر تموز ٢٠١١ ان عدد مستخدمي الفيس بوك بلغ ٦٥٠ مليوناً وفق (BizMBA) تشير آخر الاحصائيات لشهر تموز ٢٠١١ ان ثمة مآخذ وشكوكاً كثيرة تلازم هذا الموقع منها:

# اختراق الخصوصية:

في خطوة اعتبرها البعض انتهاكا صريحا للخصوصيات، بدأ موقع «فيس بوك» للتعارف الاجتماعي والذي ينضم اليه اكثر من مليون عضو شهريا في طرح المعلومات المتعلقة باعضائه علنا على محركات البحث على الانترنت مثل «جوجل» و«ياهو». وبدورهم، اعتبر خبراء تكنولوجيا المعلومات هذه الخطوة الجريئة بأنها تحول «فيس بوك» من شبكة اجتماعية خاصة الى ما يشبه الصفحات الصفراء على الانترنت. ويرى كثير من المستخدمين الحذرين ان الفيس بوك يمكن ان يراقب ويستخرج البيانات لمشتركيه (۱۱) لاسيما وقد استطاع اثنان من معهد ماساتشوستس للتكنلوجيا اثبات امكانية الاطلاع على ملفات مستخدمي الموقع حيث تمكنا من تنزيل اكثر من سبعين ألف ملف شخصي من الموقع لاربع جامعات (معهد ماساتشوستس للتكنلوجيا وجامعة نيويورك وجامعة اوكلاهاما وجامعة هارفارد) كجزء من مشروع بحث عن الخصوصية في الفيس بوك والذي نشر في ١٤ كانون اول عام ٢٠٠٥ (۱۱).

كما اكد برنامج CLICE الذي يقدم من قناة BBC البريطانية امكانية سرقة البيانات الشخصية لمستخدمي الفيس بوك (١٢) ومما زاد من قلق المستخدمين مسالةعدم قدرتهم على إلغاء معلوماتهم الامر الذي يمكن الآخرين من الوصول اليها وربما توظيفها لغير مصلحة اصحابها(١٠) كل هذا ويضاف له الخشية من استغلال الفيس بوك وغيره من قبل الكيان الصهيوني. والخطير في الأمر هو أن الشباب العربي يجد نفسه مضطراً تحت اسم مستعار و دون أن يشعر، للإدلاء بتفاصيل مهمة عن حياته وحياة أفراد أسرته ومعلومات عن وظيفته وأصدقائه والمحيطين به وصور شخصية له ومعلومات يومية تشكل قدراً لا بأس به لأي جهة ترغب في معرفة أدق التفاصيل عن عالم الشباب العربي

الآثار السلوكية السلبية على الشباب حيث أصبح استخدامهم للفيس بوك ظاهرة خطيرة فعدا ما يستغرقونه من ساعات طويلة وهذا يؤثر على وضعهم الشخصي والاجتماعي و الدراسي وانقطاعهم عن التواصل مع بيئتهم وعوائلهم فإن هناك خشية من تفشي الافكار الشاذة السلوكية منها والفكرية التي ربما تكون بعيدة عن قيم مجتمعاتهم وتوجهاتها.

قد تكون مساحات التعبير ورفع سقف الحريات وتقليل حجم الرقابة عبر الانترنيت بشكل عام وفي الفيس بوك على وجه الخصوص الا ان هذا قد يؤدي الى الانفلات والفوضى فليس كل الشباب على قدر مناسب من الوعي والفهم والاستيعاب وهذا ما يجعل السواد الاعظم منهم هدفاً سهلاً لبعض اصحاب النفوس الضعيفة...فالحرية السائبة قد تؤدي الى كوارث على أصحابها وعلى الآخرين.

ان تاثير الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك على الجيل العربي الجديد ليس بالضرورة ان يكون ايجابياً على طول الخط سيما وان اغلب الشباب في ظل تدهور التعليم والمشاكل والازمات الاقتصادية والفقر و حالات التفكك الاجتماعي وانتشار الفساد وتراجع القيم الاجتماعية السليمة وضع الشباب العربي امام امتحان عسير وكانت النتيجة نسبة كبيرة من الاخفاقات فهؤلاء لم يتهيأوا للعب الدور المفترض ان يلعبوه لاسباب بعضها يتعلق في فشل الانظمة السياسية العربية في تهيئتهم سواء بشكل متعمد او لسوء الادارة والحكم وغياب البرامج المخصصة لاحتضان الشباب وتوجيههم الوجهة المناسبة عدا ان الشعب العربي اصبح هدفاً سهلاً لحراب الدعاية المعولة التي مسخت هويتنا وابعدت قسماً مهماً منا عن ابسط معاني الوطنية والالتزام القيمي في ظل وجود انظمة عربية ربط اغلبها مصيره بعجلة الولايات المتحدة الامريكية ولاهم لهؤلاء الحكام سوى التمسك بكل قوة بكرسي السلطة وتوظيفه لاغراض عائلية وفئوية وطائفية وكل ذلك لخدمة الغرب المتصهين وهذا مادفع ابناء مصر وتونس للانتفاضة على ظلم واستبداد حكامهم.

ربما تعد الظاهرة (الفيسبكية) بمثابة رد فعل غير مدروس على واقع سلبي تعيشه وسائل الاعلام العربية حيث يعيش الواقع العربي عدة اشكاليات متداخلة فليس مشكلة الحكام هي التي تدعو للانتفاضة عليها

بل هناك نظام مؤسسي مرتبط بهذه الانظمة يقوم على مايسمى بالتخادم بين النظام الحاكم وهذه المؤسسات التي ربطت مصيرها ووجودها واستمرارها مع الحاكم ومنهم قطاع لايستهان به من الاعلاميين الذين يحكمون قبضتهم على وسائل الإعلام في بلدانهم منذ عقود طويلة..يقابل ذلك وجود اعداد كبيرة من الجيل الشاب الذي يريد ان يجد لنفسه مكاناً في خارطة الوطن والمجتمع، وشيء طبيعي ان يحدث التصادم بل التفاعل.

ان الظاهرة الفيسبوكية قفزت بالشباب من المحلية المنغلقة في اغلب الاحيان الى الفضاء الافتراضي الواسع فاصبحت رؤية كثير منهم تنطلق من انعكاس رؤية من يتفاعلون معهم خارج الحدود فعالم الشباب هو عالم افتراضي بعيد عن واقعهم ولا يمت بصلة لما تربوا عليه طيلة فترات حياتهم السابقة ، ولهذا فثمة تغيير في الاولويات والاسبقيات لدى الشباب العربي.

ربما يرى بعض الباحثين ان احداث تونس ومصر يتطلب اعادة تقييم الى مستخدمي الفيس بوك حيث ان الصورة السابقة كانت قد بنيت على افتراض ان الشباب كان يهتم بالدردشة حول موضوعات هابطة الا ان الذى افرزته الاحداث في تونس و مصر ربما يعيد التقيم بشكل آخر.

يرى بعض الباحثين ان الفيس بوك ربما اسهم في تنظيم الشباب نحو عمليات التغيير وهذا ان ثبتت صحته فهو جانب إيجابي الا ان ما تلى خلع مبارك ومايحدث في تونس لايعطينا الدليل على ان ما اعتبر تنظيما للجهود قبل الاحداث عن طريق الفيس بوك لم يعد له نفس الفاعلية والبريق لاحقا. فعلى سبيل المثال لاحظنا ان شباب الفيس بوك قد كسروا حاجز الخوف ووصل الامر بهم الى اعلان ماسيقومون به دون الخشية من بطش النظامين البولسيين في تونس ومصر بل ان شباب الفيس بوك في مصر اعدوا ونشروا صيغة تنحي مبارك... ان دور وفاعلية شباب الفيس بوك هي التي دفعت مبارك ونظامه الى قطع خدمة الانترنت والهواتف المحمولة.

#### معلومات مهمة عن الفيس بوك

بعد ان كشفت صحيفة «الحقيقة الدولية» لخفايا موقع الفيس بوك والجهات الصهيونية التي تقف وراءه، نشرت صحيفة فرنسية ملفا واسعا عن هذا الموقع مؤكدة بأنه موقع استخباراتي صهيوني مهمته تجنيد العملاء والجواسيس لصالح الكيان الصهيوني. في الوقت الذي اعلن فيه عن مشاركة فاعلة لادارة الدفيس بوك» في احتفالات الكيان الصهيوني بمناسبة اغتصاب فلسطين. وتضمن الملف الذي نشرته مجلة (لوما غازين ديسراييل) معلومات عن أحدث طرق للجاسوسية تقوم بها كل من المخابرات الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية عن طريق أشخاص عاديين لا يعرفون أنهم يقومون بمثل هذه المهمة الخطيرة. إن هؤلاء يعتقدون بأنهم يقتلون الوقت أمام صفحات الدردشة الفورية واللغو في أمور قد تبدو غير مهمة، وأحيانا تافهة أيضا ولا قيمة لها. ونقل تقرير مجلة إسرائيل اليهودية التي تصدر في فرنسا الكثير من المعلومات السرية

والهامة عن موقع الفيس بوك بعد تمكنت المجللة من جمعها عبر مصادر إسرائيلية وصفتها المجلة بـ الموثوقة . وافزع الكشف عن هذه المعلومات حكومة كيان العدو ودوائره الدبلوماسية، حتى أن السفير الإسرائيلي في باريس اتهم المجلة اليهودية بأنها «كشفت أسراراً لا يحق لها.

إلا أن الموضوع لم ينته عند هذا الحد، بل بدأ الجميع في البحث عن وجود جهاز مخابراتي اسمه «مخابرات الانترنت ،

ويطرح تقرير المجلة اليهودية المزيد من الشكوك حول استفادة الكيان الصهيوني من الكم الهائل من المعلومات المتاحة عن المشتركين من العالمين العربي والإسلامي وتحليلها وتكوين صورة إستخباراتية عن الشباب العربي والمسلم.

والخطير في الأمر هو أن الشباب العربي يجد نفسه مضطراً تحت اسم مستعار دون أن يشعر إلى الإدلاء بتفاصيل مهمة عن حياته وحياة أفراد أسرته ومعلومات عن وظيفته وأصدقائه والمحيطين به وصور شخصية له ومعلومات يومية تشكل قدراً لا بأس به لأي جهة ترغب في معرفة أدق التفاصيل عن عالم الشباب العربي.

ويقول جيرالد نيرو الأستاذ في كلية علم النفس بجامعة بروفانس الفرنسية، وصاحب كتاب (مخاطر الانترنت): إن هذه الشبكة تم الكشف عنها، بالتحديد في مايو٢٠٠١ وهي عبارة عن مجموعة شبكات يديرها مختصون نفسانيون إسرائيليون مجندون لاستقطاب شباب العالم الثالث وخصوصا المقيمين في دول الصراع العربي الإسرائيلي إضافة إلى أمريكا الجنوبية. ويضيف: ربما يعتقد بعض مستخدمي الانترنت أن الكلام مع الجنس اللطيف مثلاً، يعتبر ضمانة يبعد صاحبها أو يبعد الجنس اللطيف نفسه عن الشبهة السياسية، بينما الحقيقة أن هكذا حوار هو وسيلة خطيرة لسبر الأغوار النفسية، وبالتالي كشف نقاط ضعف من الصعب! اكتشافها في الحوارات العادية الأخرى، لهذا يسهل تجنيد العملاء انطلاقا من تلك الحوارات الخاصة جدا، بحيث تعتبر السبيل الأسهل للإيقاع بالشخص ودمجه في عالم يسعى رجل المخابرات إلى جعله 'عالم العميل'. وبدأ موقع الفيس بوك الذي ينضم إليه أكثر من مليون عضو شهريا، في طرح المعلومات المتعلقة بأعضائه علنا على محركات البحث على الانترنت مثل 'غوغل' و 'ياهو'، بهدف الدخول المبكر في السباق لبناء دليل إلكتروني عالمي يحتوى على أكبر قدر ممكن من المعلومات والتفاصيل الشخصية مثل السير الذاتية وأرقام الهواتف وغيرها من سبل الاتصال بالشخص، وهوايات الأعضاء وحتى معلومات عن أصدقائهم، وينضم حاليا نحو ٢٠٠ ألف شخص يوميا إلى 'الفيس بوك' الذي أصبح يستخدم عليون شخص، طبقا للموقع ذاته. وتتوافق المعلومات التي نشرتها الصحيفة اليهودية الصادرة في فرنسا مع المعلومات التي كانت صحيفة «الحقيقة الدولية» نشرتها في عددها (١١١) الصادر بتاريخ ٩ نيسان – ابريل ٢٠٠٨ – وأكد تقرير «الحقيقة الدولية» الذي كان تحت عنوان «العدو الخفى» أن الثورة المعلوماتية التي جعلت من عالمنا الواسع قرية صغيرة رافقتها ثورات أخرى جعلت من تلك القرية محكومة.

#### المبحث الثاني

#### الانتقادات الموجهة إلى الموقع

تعرض موقع الفيس بوك للكثير من الانتقادات على مدار السنوات القليلة الماضية. ففي أكتوبر من عام ٢٠٠٥، قامت جامعة نيو مكسيكو بحظر الدخول إلى الموقع من أجهزة الكمبيوتر والشبكات الخاصة بالحرم الجامعي. وقد أشارت الجامعة إلى أن السبب وراء ذلك الحظر يتمثل في انتهاك سياسة الاستخدام المقبول للإنترنت والخاصة بالجامعة وذلك فيما يتعلق بإساءة استخدام الموارد المتاحة على الإنترنت، علاوة على أن الموقع يفرض استخدام وثائق التفويض الخاصة بالجامعة في أنشطة لا تتعلق بالجامعة. وفي وقت لاحق، قامت الجامعة بإلغاء الحظر الذي فرضته من قبل على استخدام الموقع وذلك بعد أن تمكن القائمون على إدارة الموقع من معالجة الموقف من خلال عرض إخطار على صفحة الدخول ينص على أن وثائق التفويض التي تستخدم على الموقع ليس لها علاقة بوثائق التفويض المستخدمة في الحسابات الخاصة بالكلية. علاوة على ما سبق، قامت حكومة أونتاريو بحظر دخول الموظفين إلى الموقع في مايو من عام ٢٠٠٧، حيث ذكرت أن الموقع «لا يمت لمكان العمل بصلة مباشرة».

في ١ يناير عام ٢٠٠٨، قامت إحدى المجموعات على الفيس بوك بالإفصاح عن هوية ستيفاني رينجيل؛ تلك الفتاة التي قُتِلت في ولاية تورونتو، والتي لم تكن أسرتها قد أعطت تصريحًا لشرطة تورنتو بعد بنشر اسمها أو أسماء المتهمين في القضية إلى وسائل الإعلام – وذلك على الرغم من أنه يحظر نشر أسماء القصر الذين تتم إدانتهم في إحدى القضايا بموجب قانون العدالة الجنائية للأحداث. وعلى الرغم من محاولات الشرطة وكذلك القائمين على الموقع الالتزام بقواعد الخصوصية عن طريق حذف اسم الفتاة، فإنهم قد لاحظوا صعوبة القيام بذلك حيث تتم إعادة نشر البيانات مرة أخرى كلما تم حذفها.

ونظرًا لطبيعة الفيس بوك التي تتيح دخول أي فرد إليه، فإن العديد من الدول قامت بحظر الدخول إلى الموقع ومن بينها سوريا وإيران. وقد ذكرت الحكومة السورية أن قرار الحظر جاء استنادًا إلى قيام البعض بالتحريض على شن هجمات ضد السلطات من خلال الموقع. إضافةً إلى ذلك، فإن الحكومة السورية تخشى التسلل الإسرائيلي للشبكات الاجتماعية في سوريا من خلال الفيس بوك. كما أنه تم استخدام الفيس بوك من قبل بعض المواطنين السوريين لتوجيه الانتقادات إلى الحكومة، حيث أن توجيه انتقاد علني للحكومة السورية يعد جريمة يعاقب عليها بالسجن. وفي إيران، تم حظر استخدام الموقع بسبب مخاوف من أن يتم استغلال الموقع في تنظيم حركات معارضة للحكومة.

في يوم ٥ فبراير لعام ٢٠٠٨، تم إلقاء القبض على مواطن مغربي يدعى فؤاد مرتضى بتهمة إنشاء ملف شخصي زائف على الفيس بوك باسم مولاى رشيد أمير المغرب

قضية جماعات مؤيدي المافيا : في إيطاليا، تسبب ظهور جماعات مؤيدة للمافيا حالة من القلق في الدولة، وهو ما دعا الحكومة بعد نقاش قصير إلى سرعة إصدار قانون يلزم مزودي خدمة الإنترنت بمنع الدخول إلى مواقع بأكملها في حالة رفض حذف المحتويات غير القانونية؛ ويمكن المطالبة بهذا الحذف من قبل المدعي العام في أية قضية يكون بها شبهة نشر قول جنائي (سواء أكان دفاعًا أم تحريضًا على جريمة) على أحد المواقع. وقد وافق مجلس الشيوخ على التعديل في ٥ فبراير عام ٢٠٠٨، ولا يزال الآن بحاجة إلى الموافقة عليه دون تغيير من قبل الهيئة التشريعية الأخرى في المجلس ليصبح نافذًا على الفور.

وقد تم توجيه النقد من قبل الفيس بوك وغيره من المواقع الأخرى، ومن بينها جوجل، لهذا التعديل مؤكدين على عواقبه الوخيمة على حرية التعبير لأولئك المستخدمين الذين لم يقوموا بخرق أي من القوانين ثورة الفيس بوك انطلقت من الريف التونسى(×)

الإعلامية التونسية صوفيا الهمّامي دخلت الحوار من منطقة رأس جدير على الحدود مع ليبيا مشيرة إلى أن الشاب (محمد البو عزيزي) احرق نفسه في منطقة سيدي بوزيد احتجاجا على عدم توفر فرصة عمل له رغم شهادته الجامعية ومضايقة عناصر الشرطة وأهانتهم له في عمله البسيط كبائع متجول، ثم خرجت عائلة الشهيد (٩ أشخاص) في تظاهرة صغيرة أمام مبنى المحافظة، بعدها انشأ شباب الفيس بوك موقعا للتضامن مع شهيد سيدي بوزيد وأطلقوا شرارة الثورة. وذهبت الهمّامي إلى أن الفيس بوك تحول في تونس إلى بديل عن أجهزة الإعلام الرسمية ونجح في تنظيم عناصر الثورة ونشر أخبارها في كل أنحاء البلد.

مدينة سيدي بوزيد هي مركز لمنطقة ريفية يقوم اقتصادها على الزراعة ويبلغ عدد سكانها نحو ٧٠٠ ألف نسمة ولكن خدمة الانترنت كانت متوفرة فيها ، الأمر الذي سهّل على الشباب التواصل المستمر. واليوم يدعي الجميع أنهم صنعوا الثورة ولا احد يعرف بالضبط من صنعها.

# الفيس بوك في مصر

تعتبر مصر هي الأولى في الشرق الأوسط استخداماً للفيس بوك، حيث يضم موقعها ٢٠٤ مليون زائر يومياً مشترك وهو الموقع الإلكتروني الأول للمصريين وقد أثر الفيس بوك في الحياة السياسية في مصر خصوصاً بعدما أُنشئت مجموعة على الموقع دُعي فيها إلى اضراب يوم ٦ أبريل / نيسان ٢٠٠٨ وشارك في هذه المجموعة أكثر من ٧١ ألف شخص.وقد تم حجب الموقع في ٢٦ يناير ٢٠١١ بعد دعوة الشباب إلى ثورة قومية ضد الحزب الحاكم مما سبب اضطراباً للسلطات والحكومة المصرية. وبسبب الفيس بوك وثورة الشباب

تم قطع اتصال الإنترنت من يوم ٢٧ يناير ٢٠١١ ولمدة أسبوع كامل في سابقة لتعنت الحكومة المصرية ضد الشباب، مما كبد الاقتصاد المصرى خسائر مالية بقيمة ٩ مليار جنية.

#### ثورة ٢٥ يناير في مصر

هي ثورة شعبية سلمية انطلقت يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ (٢٠٠ - ١٠ - ٢٠١١) الموافق ٢١ صفر ١٤٣٢ هـ وتسمى في الغالب ثورة ١٤ يناير أوثورة الغضب، وتسمى أحيانًا ثورة الشباب أو ثورة اللوتس أو الثورة البيضاء. وأطلقت عليها بعض وسائل الإعلام اسم «ثورة الـ١٨ يوماً».

#### أسباب الثورة

#### اولا: الأسباب غير المباشرة

- ١ قانون الطوارئ
- ۲-رئاسة حسنى مبارك
- ٣- الفساد وسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية
  - ٤ زيادة عدد السكان وزيادة معدلات الفقر
    - ٥ انتخابات مجلس الشعب
    - ٦-مقتل الشاب خالد محمد سعيد
    - ٧-تفجير كنيسة القديسين في الإسكندرية
      - ٨–مقتل سيد بلال
      - ٩ قيام الثورة الشعبية التونسية
      - ١٠-ظاهرة البوعزيزية في مصر
  - ١١- المواقع الاجتماعية على شبكة الإنترنت

### صورة نجاح الشباب (مصر) على المواقع الاجتماعية

يرى د.السيد نجم في دراسته دور الثورة الرقمية فى الثورات العربية ان أكثر ما يثير التساؤل والحيرة، مع ضرورة البحث عن إجابة عليه، هو ما قال به الكندى «هنري منلر» الأستاذ الاكاديمى، فى كتابه «جيل الانترنت».. حيث قال: «إن التربية عموما والتربية المدنية» خاصة هي «المفتاح» من أجل دفع الشباب إلى الاهتمام بالقضايا العامة».. ويرى أن هناك سبلا عديدة لعرض المواقف والمسائل السياسية على الطلبة في قاعات الدرس ليبرز السؤال: إذا كان هذا هو الحال فى كندا وربما العالم الغربي (الخوف من عزلة جيل الانترنت) لماذا وكيف... أنجز الجيل الانترنتي العربي ما أنجزه؟ ليبقى البحث عن إجابة هدفا!!

# ويحدد د.السيد نجم صورة نجاح الشباب (مصر) على المواقع الاجتماعية في الآتي:(١٤)

١-نجحت تلك المواقع في نقل واقع ما يحدث على العالم الواقعي (باستخدام المحمول في التصوير والتسجيل) ونقله على شكل مقطوعات فيديو، وتبادله قبل ٢٥ يناير.

٢- ايصال صور ومشاعر التعبير عن الغضب والرفض عما يحدث، وتأهيل قبول الدعوة بالخروج إلى
 الشارع.

٣- دعوات الخروج إلى الشارع، وتحقق ذلك في وقفات احتجاجية (بلغت حوالي ٥٠٠٠ وقفة في عام ٢٠١٠م).. وهو ما أكسب البعض خبرة مواجهة الشرطة.

٤- نجح الفيس بوك في تحويل الغضب الافتراضي إلى غضب واقعي من خلال الدعوات التي تبادلها الشباب لتلبية نداء التظاهر والتجمع للغضب ضد الفقر والبطالة والفساد، كما نجح في تجميع آلاف الشباب من خلال مئات الصفحات والجروبات تحت مظلة واحدة ومطالب عادلة.

٥- تعطل موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) الأربعاء (٢٦-١-٢٠١) بعد ساعات من إعلان شركة تويتر حجب موقعها في مصر مما أثار علامة استفهام لدى المستخدمين، الذين ربطوا بين تعطل الموقع ومظاهرات الغضب التي اجتاحت الثلاثاء البلاد.. مما حفز الشباب غير المشارك إلى الخروج للمشاركة فى ميدان التحرير بالقاهرة.

7-استثمر النشطاء التجمع الكبير للشباب في تعريفهم بحقوقهم القانونية وتدريبهم على مواجهة الشرطة في حالات الصدام وكيفية الاستفادة من الدعم القانوني من منظمات المجتمع المدني.. (مثل علاج تأثير الغازات المثيرة للدموع غسل العين بمشروب الكوكاكولا!)

٧- تخصصت صفحات على الفيس بوك في نقل أحداث يوم الغضب لحظة بلحظة بمقاطع الفيديو والصور والتفاصيل الدقيقة وهو ما أحرج وسائل الإعلام الرسمية، التي اتخذت غالبيتها موقف الدفاع عن النظام.

.. لعل سر نجاح المواقع الاجتماعية يرجع إلى ربط الحدث بالصوت والصورة معا، كما اتخذ الشباب لغة خاصة به في نقل الأخبار وتطورات الحدث بعيدة عن القوالب الصحفية والإعلامية، وهو ما جذب الجميع. وهو ما عبر عنه بعض الناشطين في اليوم الثاني لاندلاع الثورة..

اما «احمد مرسي فيشير الى أن «الثلاثاء الغاضب كشف للشارع المصري أن شباب الإنترنت قادر على تجميع أقرانه من كل المحافظات للغضب والمطالبة بحقه في حياة كريمة، وان الأحزاب المصرية أحزاب ورقية، والادعاء بأن جماعة الإخوان المسلمين أكبر قوة شعبية في مصر ولى وأصبح من الماضي».

أولا: إن الإعداد والتجهيز لخروج الشباب في هذا اليوم، يثير قضية فكرية، وهي خطورة وأثر ثورة التكنولوجية المعاصرة، سواء في الاتصال أو الإعلام.. حيث تشكلت على يد شباب غير قاصر ماديا

ومؤهل علميا.. استخدم الشبكة العنكبوتية بكل ميزاتها للتواصل في العالم الافتراضي والتنفيذ في العالم الواقعي.

ثانيا: لم تكن مطالب الشباب فئوية أو محددة بمحاور لشريحة ما من المجتمع.. بل كانت دعوات إصلاحية عامة للوطن.. وهو ما يثير قضية «دور التكنولوجيا المعاصرة والمواقع الاجتماعية الأيديولوجي في الواقع المعاش للمجتمع».

ثالثا: والآن أصبح السؤال عن الدور الثقافي المتوقع مستقبلا؟.. لقد نجحت الثورة فى أن اكتسب الجميع الشفاء من كبوة (الخوف الغامض أو الرقيب الداخلي) والذي من شأنه أن يدفع الجميع للإبداع الحقيقي فى حل مشاكلهم اليومية، حيث صفة أو خاصية الإبداع ملك للكبير والصغير، والمرأة والرجل على السواء.. فلم يعد من المستغرب الآن، أن ترى مجموعة من صغار الشباب، ينهضون بتنظيف الشارع الضيق الذي يسكنون فيه.

#### لعبة القط والفأر

ذكرت شبكة (CNN) أن لعبة القط والفأر بين المتظاهرين والحكومات في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لم تعد فقط مقتصرة على الشوارع، فبعض الأنظمة بما فيها النظام المصري قلصت خدمات الانترنت والهواتف الخلوية لإدراكها بأن صوت المتظاهرين يتواصل عبر المواقع الاجتماعية والشبكة العنكبوتية. ثورات الشباب الرقمية تسخر المواقع الاجتماعية للمشاركة والتعبير عن طموحاتهم والتي أصبحت تسمى ب"التحرير التكنولوجي"، ومع ارتفاع نسبة العاطلين عن العمل في المنطقة والتغير الديموغرافي الهائل فإن حجم أغلبية السكان أصبح تحت سن الخامسة والثلاثين عاما. وبعد التطورات في مصر وتونس ومشاهدة مصير كل من الرئيسين المصري، حسني مبارك، والتونسي المخلوع، زين العابدين بن علي، فإن بعض القادة في المنطقة في السابق من كانوا يعارضون الإصلاحات، يقايضون الآن ما هو مسلم به وكأنه "بازار عربي." وسارع بعض القادة إلى إجراء تغيرات وتعديلات لتلبي مطالب الشعب كما حدث في الأردن عندما أقال العالم الأردني عبدالله الثاني الحكومة في أعقاب مظاهرات عارمة طالبت بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية، وفي سوريا قال الرئيس بشار الأسد لصحيفة "ستريت جورنال" بأنه يجب على القادة رؤية حاجة الإصلاح قبل قيام تظاهرات مشابهة لما جرى في مصر وتونس وبعد هذا يصبح الإصلاح متأخرا وغير مجدي...التظاهرات المتدت أيضا الى الجزائر واليمن والسودان، وبالتالي أصبحت قدرة الشعوب العربية لإحداث هذا النوع من التغيير هو من خلال شعار جديد – بإمكاننا أن نفعل – كما أن مستوى التضامن العربي أذهل الكثيرون. ويبقى الاقتصاد والإحباط الاجتماعي التهديد المشترك، فلكل دولة تركيبة سكانية مختلفة وتحديات مغايرة، ورغم الاقتصاد والإحباط الاجتماعي التهديد المشترك، فلكل دولة تركيبة سكانية مختلفة وتحديات مغايرة، ورغم

الهزات الارتدادية لما يحدث في مصر على المنطقة، إلا أن الخبراء حذروا من ما يسمى ب"نظرية الدومينو" حيث تواصل الأنظمة العربية التهاوي.ويرى الخبراء أن ما حدث من ثورات ومظاهرات في بعض الأنظمة الجمهورية كما في تونس ومصر واليمن حيث استعد قادة بعض تلك الدول مبكرا لتوريث أبنائهم يختلف عنها في الأنظمة الملكية كما هو الحال في الأردن والمملكة العربية السعودية والمغرب حيث تتمتع تلك الأنظمة بعلاقات قوية مع القبائل ويجعلها تحتفظ بدرجة من الشرعية تجعل حدوث ثورات مستقبلية ضدها محدوداً بالمقارنة بالأنظمة الجمهورية

الإعلام الاجتماعي الجديد (تشي غيفارا القرن الـ٢١)

نرى ان التكنولوجيا ليست سبب ما يحصل في الدول العربية، لكنها تلعب دوراً مهماً. لاسيما وإن أياً من الأحداث التي تشهدها هذه الدول ناتج عن التكنولوجيا. وما أدى إلى ظهور الحركات الاعتراضية هو بطالة الشباب وعدم رضاهم عن العائلات الحاكمة وارتفاع أسعار الغذاء وعوامل أخرى (١٥٠).

لكن للتكنولوجيا دوراً مهماً. لا يزال من المبكر القيام بتقييم نهائي له لكننا نستطيع التوصل إلى استنتاجات عدة من الأحداث الأخيرة.

أولاً، سرعت التكنولوجيا التغيير السياسي من خلال جمع الأشخاص أصحاب التفكير المماثل في شبكة واحدة وسمحت بتنسيق مباشر للحركات وسرعت التحركات بحيث بات ما كان يتطلب سنوات يتم في أسابيع وأشهر.

ثانياً، عزز الإعلام الاجتماعي الروابط الضعيفة وجمع الأشخاص ذوي الاهتمامات المختلفة والخلفيات المتنوعة في الحركات الاحتجاجية كما على شبكة الإنترنت.

ثالثاً، وزع القيادة على مجموعة كبيرة من القياديين. تشي غيفارا القرن الـ٢١ هو شبكة الإنترنت، فإلهام الجماهير يتطلب أكثر من مجرد صورة فردية.

رابعاً، أن منصات الإعلام الاجتماعي التي سهلت التنظيم كانت تغذي في الوقت نفسه البث الإعلامي الذي غطى أخبار التغيير في المنطقة وباقي العالم. ما الذي حصل حين تجمع الشباب في ساحة التحرير ورفعوا لافتات حملت أسماء غرف الحوارات على موقع تويتر؟ قامت الفضائيات العربية بالتقاط هذه الصور وبثها في العالم كله للفت النظر إلى الأصوات الحقيقية في الشوارع.

لقد انتهى النقاش حول إذا ما كانت هذه التكنولوجيات تفيد الديموقر اطيين أو الدكتاتوريين. وهذا لا يعني أن الدكتاتوريين لا يستخدمونها بشكل فعال، بل على العكس. وتظهر قوة شبكات المعلومات اللامركزية في تسهيل سير المعلومات بحرية والسماح بالتحركات المعارضة بوضوح. ولا يقتصر دور هذه التكنولوجيات على تشارك الأفكار أو اكتشاف المعلومات التى كانت ممنوعة أو غير متوفرة سابقاً بل تفتح أيضاً نافذةً إلى العالم الخارجي.

لقد انتهى النقاش حول إذا ما كانت هذه التكنولوجيات تفيد الديموقراطيين أو الدكتاتوريين. وهذا لا يعني أن الدكتاتوريين لا يستخدمونها بشكل فعال، بل على العكس. فلا شك في أن أدوات المراقبة المتطورة تعزز خطورة القمع.

لكن بشكل عام، برهن التاريخ المعاصر أن تكنولوجيات الشبكة التي تشكل الجهاز العصبي للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تقاوم عادةً السيطرة المركزية وتعزز التحركات والأفكار غير المركزية. ويصبح السؤال بالتالي كيف يمكن حشد هذه القوى لخدمة مصالح الأسرة الدولية في الارتقاء بالأمن والازدهار الاقتصادي وتحقيق الطموح السياسي.

التكنولوجيا بحد ذاتها ملحدة. بكل بساطة هي تضخم أثر علم الاجتماع في مجتمع ما. إذا أراد المجتمع الديمقراطية، تسهل التكنولوجيا ذلك، وإذا أراد غير ذلك تسهل له أيضاً ذلك. وإن نجحت في إسقاط سلطة، فليس هناك من ضمانة بأنها ستنجح بإنتاج سلطة جديدة.

ولا تشكل السياسة الأمريكية بتحفيز النفاذ إلى تقنيات الاتصال كأداة لتمكين البشر رهاناً على التكنولوجيا، بل رهاناً على الطموحات التقدمية للأشخاص المستفيدين من التكنولوجيا.

المهم هذا ان اغلب الساسة الغربيين يرون انماحصل في مصر انما هو ثورة ويب ٢,٠ « حيث تفيد بعض المصادر أن هذه (الثورة) وقعت في مصر. إلا أن، ويل هيفن قد لا يكون موافقاً بشكل كلي» وأشار إلى أن الغرب قد يكون مخطئاً في محاولته رؤية الأحداث في مصر من منظور غربي.

#### المبحث الثالث

#### راي مارك زوكيربيرج في احداث تونس ومصر

الفيس بوك لا يكفى وحده لقيام ثورة هذا ما قاله مارك زوكيربيرج، مؤسس موقع فيس بوك للتواصل الاجتماعى على شبكة الإنترنت، أن فيس بوك ليس ضروريا ولا كافيا وحده لقيام ثورة. وأشار زوكيربيرج إلى أنه من قبيل التفاخر أن تدعى شركة تكنولوجيا معلومات انه كان لها دور في حركات الاحتجاجات التى اندلعت في الدول العربية خاصة مصر و تونس (٢٠).

وقلل زوكيربيرج في كلمة له في ختام مندى مجموعة ال حول الإنترنت الذي سيرفع نتائج أعماله إلى قادة دول مجموعة الثماني الصناعية الكبرى، التي تبدأ أعمالها غدا في مدينة دوفيل شمال غرب فرنسا، من أهمية الدور الذي لعبته شبكة الفيس بوك في حركات التغيير الديمقراطي في البلدان العربية وخاصة مصر وتونس.

وأشار زوكيربيرج إلى أنه من قبيل التفاخر أن تدعى شركة تكنولوجيا معلومات انه كان لها دور في حركات الاحتجاجات التي اندلعت في الدول العربية.

واعتبر أن من قام بالثورة هم الشعوب التي أخذت مصيرها بيدها، وربما يكون فيس بوك قد أسهم

وأتاح توفير أداة من أدوات تجميع الناس، ولكنه لعب دوراً أقل بكثير مما تشير إليه وسائل الإعلام في اندلاع الثورات.

#### الاحداث في تونس ومصر

سمعنا مرارا وتكرارا تقدير الثوار العرب لموقع التواصل الإجتماعي (الفيس بوك) لأنه كان المحرك الأساسي للثورات في المنطقة العربية. وأجمع الخبراء والمحللون السياسيون على أن موقع التواصل الإجتماعي (الفيس بوك) كان السبب الرئيسي في إطاحة الأنظمة العربية فمن خلاله تواصل الشباب واتفقوا على عمل التغيير واصلاح المجتمعات. فإذا أخذنا الثورة المصرية كنموذج، نجد أنها بدأت بصفحة تنتقد وتتحدى العنف الذي كان يمارسه رجال الشرطة ضد المواطنين.

وتم ادراج العديد من لقطات الفيديو التي تُثبت تعامل أجهزة الداخلية بإسلوب العنف الزائد ضد الجمهور. وكان الفيس بوك هو الساحة التي تجمع توقيعات المطالبين بتغيير نظام الحكم وكذلك المؤيين له. وبعد أن أعرب الثوار عن شكرهم وتقديرهم لموقع التواصل الإجتماعي (الفيس بوك) لكونه الأداة التي استخدموها لإنجاح ثورتهم، ان نجاح (الفيس بوك) في تحقيق التواصل بين الناس كان في غاية الأهمية لنجاح الثورة المصرية. ولكن ما أقدح العقول وألهب المشاعر هو ما كان يتواصل به الناشطون داخل هذا الموقع.. فهذا يدل على أن التقنية الحقيقية التي كانت وراء الثورات العربية، هي أجهزة المحمول المزودة بكاميرات تصوير الفيديو. وحينما قطعت الحكومة المصرية الإنترنت لمدة ثلاثة أيام بهدف قطع وسائل الإتصال والتنسيق بين الثوار لإعتقادهم أنهم أغلقوا المسبب الرئيسي للثورة وبعد قطعهم للإتصالات الخلوية لمنع الثوار من التواصل بالمكالمات الهاتفية والرسائل النصية. استخدم الثوار أجهزة الهاتف المحمول المزودة بكاميرات في تسجيل بالمكالمات التي تعرضوا لها بتقصيل وبكثافة لم يكن ليحدث لولا وجود هذه التقنية الثورية. إن ما رأيناه من لقطات قام بالتقطها الأشخاص العاديون كانت المعبر الحقيقي عن رأي الناس و قسوة النظام وفداحة الإسلوب. وكانت بالتالي السبب في تجميع المصريين على قلب رجل واحد لا يسمع إلا بإسقاط الحكومة التي الأسبت هواتفهم المحمولة أنها لا يمكن التعايش معها. لا يكاد يخلو الآن أي هاتف محمول من خاصية التصوير الفيديو ولا يكاد يوجد شخص في الزمن الحالى بدون هذه التقنية.

ذكر تقرير صحيفة الشرق الأوسط عن الثورة المصرية أن «فيس بوك» كان الواجهة الإعلامية البديلة، يتابع من خلالها الشباب كل ما يحدث من تطورات على ساحة الأحداث، بعد أن فقد هؤلاء الشباب ثقتهم في مصداقية الإعلام الرسمي المصري، الذي قالوا إنه ينقل صورة «حكومية» مخففة للأحداث.. أو للإعلام الفضائي الخاص، الذي تشككوا في صدقه أيضا عقب اتهامات طالته بمحاولة تضخيم الأحداث وبلبلة المجتمع المصري،

لصالح جهات خارجية. وقد شارك الملايين من كل أرجاء مصر في إمداد المواقع الإلكترونية، وعلى رأسها (فيس بوك)، بمواد فيلمية وصور وتقارير صحافية عن الأحداث. وأصبح الموقع ساحة مفتوحة لكل الآراء الهادفة إلى توحيد المطالب السياسية والاجتماعية. كما أن فضاء الإنترنت اللانهائي وفر بديلا افتراضيا لاستيعاب جميع الآراء والاقتراع حولها. تمثل في متابعة ملايين الشباب لآراء الخبراء والشخصيات العامة والكثيرين ممن يحوزون ثقتهم. وعلى الجانب الاقتصادي أشار التقرير، انه لم يفت اي من «الناشطين الانترنتيين» القيام بدور داعم من خلال «فيس بوك»، وذلك بإطلاقهم دعوة لإنقاذ البورصة المصرية من الانهيار الوشيك الذي يهددها، بعد فقدانها نحو ٧٠ مليار جنيه في الفترة الماضية، عبر شراء بعض الأسهم بقيمة ٢٠٠ جنيه في محاولة لإعادة التوازن المفقود. كما لم يترك ملايين المصريين المعروفين بخفة ظلهم الفرصة تفوتهم، إذ تحول الموقع إلى مدونة ساخرة عظمى، تنتقد بكل الوسائل من نكات أو كاريكاتيرات أو مقاطع فيديو وصور ممنتجة، ببرامج مثل «فوتوشوب»، الأوضاع القائمة على المستويات كافة. حتى أن بعض المحللين السياسيين أطلق على ثورة الشباب «ثورة فيس بوك» ومازال شباب الثورة يمارسون دورهم دون توقف في وصول الثورة إلى بر الأمان ومحاربة الثورة المضادة. احداث تونس ومصر والتكنولوجيا الامريكية

إن الثورات التي اندلعت في العديد من الدول العربية كان للإعلام دور بارز وكبير في صناعتها، فنحن نمر بمرحلة تاريخية مهمة جداً، وهي التغيير وان الأبرز في هذا التغيير هو دور الإعلام، وان الإعلام في المنطقة العربية ما عاد يقوم بدور الناقل للأحداث وما يجري وإنما يقوم بصنع القرار ويلعب دوراً في التأثير على الرأي العام.

لقد غيرت شبكة الإنترنت الطريقة التي نحصل بها على المعلومات، سواء كصحفيين أو كمتلقين للأخبار فأحدثت ثورةً في مفهوم حرية التعبير بطرق عديدة. وبفضل شبكة الإنترنت، يمكن لأي شخص أن يكون ناشراً أو مذيعاً ويكون وصوله إلى جمهور عالمي محتملاً. فالحكومات التي كانت تهيمن في الماضي على تدفق المعلومات من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام الإخبارية أو ممارسة الرقابة عليها، لم تتمكن في أغلب الحالات من حجب الوصول إلى شبكة الإنترنت. وكل هذه القدرة الهائلة للإنترنت تعني أن المزيد من المعلومات أصبح الآن متاحاً بحرية أكبر من أي وقت مضى في التاريخ البشري في فترات ماضية كان الصحفي لايكلف نفسه حتى تعلم طباعة الحروف بل كان يكتبها بقلمه ويسلمها للتحرير للطباعة المتخصصة .. اما الأن فقد أصبح كل مستخدم للانترنت في اي مكان في العالم ماهرا في التعبير عن نفسه وكتابة مايريد طباعته حتى ان بعضهم نسي شكل الورق من كثرة التعامل من خلال الشبكة العنكبوتية حديثا وكتابة الا شيء بدون مقابل بحسب الثقافة الغربية الرأسمالية مما يدفعنا لتساؤلات عديدة منها هل ان تقديم الولايات المتحدة الأمريكة خدمة الأنترنت للعالم يمثل هدفاً استراتيجياً لتحقيق التغيير الذي يخدم مصالحها وتطلعاتها الاستراتيجية خدمة الأنترنت للعالم يمثل هدفاً استراتيجياً لتحقيق التغيير الذي يخدم مصالحها وتطلعاتها الاستراتيجية خدمة الأنترنت للعالم يمثل هدفاً استراتيجياً لتحقيق التغيير الذي يخدم مصالحها وتطلعاتها الاستراتيجية

في العديد من مناطق العالم ام انه فقط بغرض التواصل والترفيه وادارة الأعمال.من وجهة نظري ان الغرب بصورة عامة لايتعامل بالشعارات الطنانة والخطب المسهبة وردود الأفعال تحت تأثير المشاعر الملتهبة بل كما هو معروف فهو يتعاطى بالارقام والوثائق البراهين وآليات استراتيجية هادفة بعيدة ومتوسطة وقصيرة المدى ودراسات.

#### ويمكن الاشارة هنا الى الملاحظات التالية $^{(\times)}$ :

اولا: الانترنيت بحد ذاته لا يحوي معلومات وانما هو وسيلة لنقل المعلومات المخزنة في الملفات أو الوثائق في جهاز الحاسوب الآلي إلى جهاز حاسوب آلي آخر. ولذلك من الاخطاء الشائعة القول بان المعلومة وجدت في الانترنيت والصحيح القول بان المعلومة وجدت عن طريق استخدام شبكة الأنترنيت.

ثانيا: هناك ما يسمى بحكومة الانترنت آيكان ICANN هي الهيئة المشرفة دوليا على إصدار عناوين الأنترنت وتتبع بشكل غير مباشر للولايات المتحدة الأمريكية، و هي التي تدير العقد الرئيسية DNS في أكثر دول العالم وبالتالي من المنطقي انها تتطلع وتدرس كم المعلومات الهائلة المتبادلة من خلال الأنترنت وتخرج بنتائج وتقارير تستخدم في أكثر من غرض .

ثالثا: ان العمل الإستخباراتي هو نشاط تقوم به اجهزة استخباراتية تتبع الدول لجمع المعلومات وتحليلها حيث كان في الماضي ولايزال يعتبر عملاً غاية في الخطورة وعالي الكلفة في حين وفر الأنترنت من خلال مستخدميه معلومات مجانية مفتوحه سريعة الوصول والتقييم حول اوضاع البلدان ووجهات نظر شعوبها وردود افعالهم .. وتحول مستخدمو الانترنت في مختلف دول العالم الى مواطنين صحفيين يعملون دون مقابل .

رابعا: نتيجة الحاجة لمزيد من المعلومات التفصيلية التقريرية المجانية أضافت خلال السنوات القليلة الماضية مجموعة من الشركات الغربية عبر الأنترنت خدمات التدوين والفيس بوك والتويتير التي ساهمت بشكل كبير في إشعال ثورة شباب مصر وتونس . ومستخدمو التدوين وغيره يعتبر معظمهم من النخب الأعلامية او الثقافية او الاقتصادية التي تحترف الكتابة وتتعاطى مع المعلومة وبالتالي أضافت الشبكة الى جانب المواطنين مجموعة النخب والخبراء المجانيين في إطار مايسمى بحرية الرأى والتعبير.

خامسا: بعد تحليل كم المعلومات حول منطقة ما في العالم تأتي أهمية وظيفة الحث والتحفيز حيث بدأت منظمات غير حكومية امريكية بعد أحداث سبتمبر تقوم بالتدريب على تعزيز ثقافة المقاومة المدنية السلمية، والعصيان المدني ومنها المركز الدولي للصراعات المدنية السلمية في واشنطن الذي يدرب ويستضيف منذ سنوات ناشطين حقوقيين داخل الولايات المتحدة وخارجها.

#### الاستنتاجات

لاشك ان ماحدث ولايزال يحدث في الوطن العربي من احداث يؤشر ان المنطقة تشهد مقدمات لتغييرات ليس بالضرورة انها ستفضي الى نتائج افضل مما يعيشه الواقع العربي (××)

#### وفي ضوء ما تقدم نستنتج مايلي:

اولا :إن الإعلام الجديد وما يحتويه من شبكات اجتماعية سيصنع فارقاً كبيراً في صناعة الإعلام في المستقبل من خلال سرعة نشر الأخبار ومصداقيتها المدعمة بالصوت والصورة، وزيادة مستوى الوعي ورفع مستوى المعرفة

ثانيا: لقد أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في تأصيل الثورة في تونس ومصر؛ فالجماعات المنضبطة والمنسقة تمتلك ميزة على الجماعات غير المنضبطة؛ فهي تمتلك وقتاً للانخراط في الفعل الجمعي، ولها طريقة في توجيه سلوك أفرادها، والإعلام الجديد هو جزء من الواقع الجديد الذي يجري فيه العمل السياسي

ثالثا: أن دور الإعلام الفضائي هو الأكثر شمولية من الإعلام الاجتماعي الذي يمكن أن يطلَق عليه إعلام اللحظة الرساهنة التي تنقل الصورة والصوت (الحدث) ويبقى دور الفضائيات عموماً أقوى في التأطير بسبب مصداقيتها وكونها جماهيرية تستعين بالخبراء

رابعا: يمكن الجزم تماماً بصحة تلك النظرية؛ فالحرية السياسية ينبغي أن تترافق مع مجتمع متعلم مثقف بما يكفي، ومتصل بكثافة كافية ليناقش القضايا التي تقدّم إلى الجمهور. فالجمهور التونسي متعلم؛ حيث خصص بورقيبة ٣٠٪ ٪ من ميزانية تونس للتعليم، وتونس الأكثر تطوراً عربياً من حيث نسبة التعليم العالي، وهي أول دولة مغاربية تنفتح على الإنجليزية مع الفرنسية، وما ساعد الثورة التونسية – على سبيل المثال – أن عدد مستخدمي فيس بوك في تونس يتجاوز مليونين، وهو أكبر رقم في إفريقيا ومن أعلى النسب في العالم العربي، وأضاف أن: ٧٥٪ من مستخدمي موقع اله (فيس بوك) التونسيين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣٤ سنة. اما في مصر فهناك ما يقرب من ١٦ مليون مستخدم للإنترنت، ومنذ ٢٥ يناير، تحوّل المدوّنون المصريون إلى مصدر للمعلومات، وخاصة بعد التعتيم المفروض على وسائل الإعلام؛ حيث تمتلئ صفحات الإنترنت بمداخلات يومية لناشطين إلكترونيين، وأفلام فيديو حول السيارات التي تدعس المحتشدين بوحشية وحالات القتل من يومية لناشطين الكترونيين، وموقف المحتجين في الشارع من التطورات السياسية المتلاحقة... وغيرها من الأخيار

خامسا: مارس الاعلام الرسمي المصري والتونسي فقد أخذ حظاً وافراً من الهجوم لتجاهله التظاهرات، ولإصراره على إبراز البقع الهادئة اللذين كانا يعجَّان بالاحتجاجات، فضلاً عن إعطاء مساحة من الوقت لأصوات بعض المثقفين والفنانين والسياسيين المطالبين بالتهدئة وتسليط الضوء على المواقف المؤيدة للرئيسين

بن على ومبارك ،فالإعلام الرسمى لم يكن أداؤه مفاجئاً بل كان مستفزاً،

سادسا: لعبت الفضائيات العربية دورا واضحا في التغطية لما حدث في تونس ومصر حيث ظهر تفوق الجزيرة بلا منافس في التغطية المهنية، وأنها حازت قصب السبق منذ البداية حاولت قناة العربية اللحاق بها (رغم ان لنا وجهة نظر وتقييماً مختلفاً لاسباب هذا النوع من التغطية وهو يحتاج الى دراسة خاصة)

سابعا: في الحالتين (التونسية والمصرية) قامت وسائل الإعلام بإثارة وعي الجمهور وتوجيهه نحو سلوكيات معينة بزيادة المعلومات المرسلة، للتأثير على القطاعات المستهدفة من الجمهور؛ وتدعم الرسائل الإعلامية بالاتصالات الشخصية، كذلك الاستمرار في عرض الرسائل في وسائل الاتصال، عندها يصبح الجمهور مهتماً بتكوين صورة نهنية من خلال المعلومات والأفكار، وهنا تسعى الجهة القائمة بالاتصال إلى تكوين صورة نهنية لربط الموضوع بمصالح الجمهور وتطلعاته.

ثامنا: إن تنظيم الاحتجاجات بواسطة اله «فيس بوك»، وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي من أجل إحداث التغيير الاجتماعي من خلال نشاطات قليلة الكلفة؛ ونتيجة لذلك عرَّضت كل تلك الاحتجاجات المشاركين فيها لخطر التهديد بالعنف، وفي بعض الحالات لاستخدامه الفعلي ضدهم. وفي حقيقة الأمر، يبقى استخدام تلك الأدوات طريقة لتنسيق وتوثيق الفعل في العالم؛ بحيث يرجَّح كثيراً أن يكون جزءاً من عمل الحركات السياسية في المستقبل.

تاسعا: إن وسائل التواصل الاجتماعي ساهمت كثيرا في إنجاح ثورة الشباب لانها سهلت من عملية التواصل بين الناس واختصرت المسافات بينهم لكن لم تكن السبب الوحيد لها بل كانت هناك أسباب أخرى أهمها تفشي الظلم في بلداننا العربية والضغط دائما يولد الانفجار. ولكن الشيء المهم الذي يستدعي الكثير من التفكير والتخمين هو ماذا بعد هذه الثورات؟ هل الشباب العربي مؤهل للنهوض بأوطانه الى التقدم والرقي

عاشرا: أن تأثير هذه الوسائل اختلف بين تونس المغلقة نوعاً ما،ويقل فيها استخدام وسائل التكنولوجيا، وبين مصر التي عملت على إيقاف هذه الخدمات، إضافة إلى خدمات شبكات الهاتف المحمول، اضافة الى أن من أشعل ثورة تونس هي حادثة محمد البوعزيزي الذي أحرق نفسه، إضافة إلى الوضع المتراكم منذ ٢٣ سنة، والوضع الاجتماعي الصعب وحالة الجوع والظلم والبطالة، وتمادي حاشية زوجة الرئيس التي جعلت الشعب يغلي، ولم يحتج الوضع في تونس إلا إلى شخص واحد، أما في مصر فلم نر النتيجة الفورية التي شهدتها تونس رغم تكرار سيناريو البوعزيزي.

#### الهوامش والمراجع:

- ١-للتفصيل حول الموضوع انظر:د عبدالرزاق محمد الدليمي، الاعلام الجديد والصحافة الالكترونية،دار وائل عمان الاردن١١٠٢.
- ٢-للتفصيل حول الموضوع انظر:د عبدالرزاق محمد الدليمي، الصحافة الالكترونية والتكنلوجيا الرقمية ،دار الثقافة عمان
  - ٣-للتفصيل حول الموضوع انظر: د عبدالرزاق محمد الدليمي، الصحافة العالمية. دار المسيرة عمان الاردن٢٠١١.
- ٤-للتفصيل حول الموضوع انظر:د عبدالرزاق محمد الدليمي، الاعلام الدولي في القرن الحادي والعشرين دار المسيرة عمان الاردن۲۰۱۱.
- 5-Facebook.com.2009 Time Line. InFacebook:About.Retrieveed Fberuary 28,2009,(online) available:
- 6-http:\\www. Facebook.com\press\info.php? timeline
  - ٧-عبد الفتاح الصحن، تعليم مواقع التصميم ، دار الهدى للمطبوعات، الاسكندرية ٢٠٠٨ .
- ٨-للتفصيل حول موضوع الفيسبوك انظر:د عبدالرزاق محمد الدليمي، الاعلام الجديد والصحافة الالكترونية،دار وائل عمان الاردن۲۰۱۱.
  - ٩-هاشم أحمد عطيه، البرمجيات واللغات المعاصر وتصميم المواقع ، الدر الجامعية، الاسكندريه ٢٠٠٩.
- 10-Rampell, Catherine. What Facebook Knowws That You Don't .The Washington Post. February 23, USA 2008.
- 11-Jones, Harvey and Soltren, Jos Facebook: threats to Privecy. (study), Massachusetts, Institute of Technology, USA 2005.
- 12-Kellym, Spencer. Identity at, risk, on Face book, BBC NEWS.1 May.Uk 2008.
  - ١٣ للتفصيل انظر المصادر التالية:
- Ramssastry, Anita. On Facebook Forever? Why the Net working Site was Right to change its Deletion Polices. FindLaw .Feb .29,UK 2008.

14-http://www.libertytribune.net/index.php?option=com\_content&task=view&id=1806&Itemid =47114

- (\*) http://ar.wikipedia.org/wiki/%D981%%D98%A%D8%B3\_%D8%A8%D988%%D983%
- 5 href=http://http://www.movements.org/>Movements.org,
- 15-http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=420954
- 16-http://www.facebook.com/r.php?r=102
- 17-http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=569473df352d98b318-

http://tahyyes.blogspot.com-

http://www.facebook.com/ElShaheeed

(×)وظفت بتصرف من دراسة منشوره على الموقع

http://www.yemenonline.info/ar/news-1161.html

(××) انظر مقال النوعي للكاتب باسل النيرب – الإعلام الاجتماعي إعلام التغيير المنشور في مجلة البيان في الثاني من نيسان . ۲ . ۱ 1

#### الملاحق:

استغل الثوار فضاءات الفيسبوك التي لا حصر لها في التنظيم والحشد و التخطيط لما سيحدث في أرض الواقع ، فامتلأ الفيسبوك بصفحات النضال الثوري العربي ، وسأستعرض في الآتي أهم هذه الصفحات الثورية

#### شبكة رصد الإخبارية:

تديرها مجموعة من الشباب النشطاء ، وتعد من أهم مصادر استقاء المعلومات في مصر حاليا ، والمرجع الأول في الأخبار المصرية على الفيسبوك، وقد تم إنشاؤها إبان الانتخابات البرلمانية المصرية ٢٠١٠ وذلك لكشف التزوير وفضحه ، وكانت باسم : وحدة الرصد الميداني، وبالفعل ساهمت في إبراز حجم التزوير الرهيب في هذه الانتخابات والذي أجّج مشاعر المصريين جميعا (ما عدا بتوع الحزب الوطني طبعا!).

ولما بدأت أحداث الثورة في ٢٠ يناير ٢٠١١ ، تم إنشاء الصفحة باسمها الحالي لمتابعة أخبار المظاهرات و المواجهات مع الأمن في كافة أنحاء الجمهورية ، وبعد تنحى مبارك ، استمرت الصفحة في بث الأخبار و متابعة اتجاهات الفكر والسياسة في مصر والعالم العربي ، وتجاوز عدد معجبيها الـ ٧٠٠ ألف حتى الآن.

#### صفحة Tunisie





# ثانیا : ثورة مصر : أم الدنیا لما تثور ! صفحة حركة شباب ٦ أبريل :

تجمع شبابي من كافة أنحاء الجمهورية ، بدأ نشاطه المعارض ضد النظام المصري على الانترنت ثم نقله إلى الشارع شيئا فشيئا ، وارتبط اسمهم بالإضراب المشهور وأحداث المحلة التي أعقبته في يوم ٦ أبريل ٢٠٠٨ ، والذي اعتبره البعض « بروفة «للثورة المصرية .





# Wall Share: Post Photo Write something...

كلنا خالد سعيد

#### صفحة كلنا خالد سعيد :

غنية عن التعريف! .. وتعتبر قائدة الصفحات الثورية العربية ، فقد جعلت من قضية الشاب خالد سعيد الذى قتله بعض المخبرين بعد أن عذبوه وأوسعوه ضربا ، قضية رأي عام مصري ، ونظمت نزول الشباب فى وقفات تضامنية كثيرة مع قضية خالد ، ولما «خلع» بن علي من تونس بعد الثورة ، كان أول مقترح بتكرار ثورة تونس فى مصر ، على هذه الصفحة .وتواصل الصفحة حاليا دعم مطالب الثورة المصرية وحث المصريين على النهوض ببلدهم وكذلك متابعة الثورات العربية و مساندتها . وتجاوز عدد معجبيها الـ ١,٢ مليونا.



#### صفحة ائتلاف شباب الثورة:

والذي تم تأسيسه أثناء الثورة في ميدان التحرير ، ويضم شبابا من كافة التوجهات السياسية ممن شاركوا في الدعوة للثورة على الفيسبوك ، ثم في فعالياتها في الأيام الأولى وطوال اعتصام التحرير .. وبعد تنحى المخلوع ، قرروا ان يوسعوا ائتلافهم وأن يجعلوا منه قوة ضاغطة في اتجاه تحقيق مكاسب الثورة.



#### صفحة المجلس الأعلى للقوات المسلحة!:

و التي أنشأها الجيش بعد تنحى مبارك للتواصل مع شباب الثورة و بث بيانات المجلس الأعلى للقوات المسلحة عبرها، ونظرا لكون الجيش المصرى قد ساهم في تحقيق الأهداف الكبرى للثورة ، وإخراجها بأقل قدر من الخسائر ، وكذلك تعهده بحمايتها ورعاية مكتسباتها .. فليس من التجاوز أن أضم صفحته الرائعة - و أعتقد الأولى من نوعها في العالم - إلى

صفحات الثورة العربية.



# الفعل الاتصالي و المشروع النهضوي الديمقراطي العربي

د. فايزة يخلف كلية العلوم السياسية والاعلام-جامعة الجزائر

#### مقدمــة:

إن التأمل المتأني والعميق في واقع المشهد العربي السياسي اليوم يقر بما لعناصر التكنولوجيا والكون الرقمي المذهل من تأثير جلى في رسم أبعاد وملامح التحول الديمقراطي في المنطقة العربية.

وحتى نتبين دور الفعل الاتصالي في تحقيق التقارب الاجتماعي وفي تشكيل الرأي العام الحر، لا بد من الإشارة إلى أن التواصل حاجة إنسانية أولية وليست مضافا عرضيًا يمكن الاستغناء عنه، إنه ليس اختيارًا بل إكراه اجتماعي، يتعلم الفرد من خلاله كيف يتأقلم مع قوانين المجتمع ومقتضياته. فكما لا يمكن الحديث عن الإنسانية إلا من خلال وجود مجتمع - كما يقول أمبرتو إيكو - (۱) فإن الحديث عن المجتمع لا يمكن أن يتم دون الحديث عن نشاط تواصلي يمكن الأفراد والجماعات من إشباع حاجات لا يمكن أن تشبع اعتمادًا على مجهودات الفرد وحده، وربما هو الأمر الذي دفع بالبعض إلى الاعتقاد أن التواصل هو مكون قيمي أساسي في الارتقاء بكل الأنشطة الوجودية التي تختصر السجلات المتباينة للفعل الإنساني في كليته.

لذلك، فالتواصل، شأنه شأن الأخلاق، ليس نشاطًا فرديًا لا يدرك إلا ضمن حاجات الفرد المعزولة، بل هو سيرورة اجتماعية تتكون من عدة انساق تختلف في التحقق من ثقافة إلى أخرى، ولكنها تعد في الجوهر تعبيرًا عن مضامن إنسانية واحدة.

إن النزعة إلى التقارب التي يصفها علماء الاجتماع بأنها تعبر عن حاجة طبيعية بين الأفراد إلى التلاقي في أوضاع متشكلة من عناصر التفاعل والتكامل الحافلين بمعاني الحضور الإنساني، هي نزعة وجدت في تدفق وسائل الإعلام وتنوع مصادرها وغاياتها، وفي وسائط الاتصال الرقمي، مناسبة دائمة لبناء عناصر واضحة للتفاعل الإنساني من أجل تقريب الأفكار وإشاعة التفاهم، وبالتالي تدعيم النزوع الإنساني تحو السلام وتجنب النزاعات، وبشكل خاص تلك الصراعات القائمة على مبدأ إلغاء حرية الآخر، وحق الآخر في الحياة على الطريقة التي يرغبها ويسعى نحوها.

وهكذا كانت العلاقة بين المنظومة الاتصالية ومنظومة القيم الاجتماعية علاقة متداخلة على اعتبار

أن وسائط الاتصال هي الوسائل الناقلة لأنماط التفكير والمعرفة والقيم، وبالتالي تساهم في إيجاد جانب كبير من الثقافة الاجتماعية، وهو ما يعطيها أحقيتها كسلطة إعلامية في إدارة وتوجيه المجتمع وفي الإعداد والتنظيم الدقيق للعبور إلى الديمقراطية.

#### ١- جدلية العلاقة بين الاتصال والحريات الديمقراطية:

إن الممارسة الديمقراطية، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحركة الإعلام، حتى ذهب البعض إلى وصف الإعلام بأنه المحرك الأساسي لترسيخ المفاهيم الديمقراطية وتنميتها، بينما خالف البعض الآخر هذا الرأي وقال أن الديمقراطية هي سبيل نشوء الإعلام وتطور مفاهيمه وإقرار سلطاته المجتمعية (٢).

إن مساءلة راهن الوضع العربي يفضي إلى حقيقة أساسية مفادها أن انغلاق البنى السياسية العربية على نفسها ووضع الإعلام تحت مقصلة الرقابة قد هيأ الطريق لتصاعد المطالب الديمقراطية، حيث فعل هذا الانغلاق فعله المضاد لرغبة الشعوب، وكان من نتائجه نمو ثقافة التفاؤل والتطلع إلى المستقبل وكسر طوق الخوف والرعب والسعي نحو بلوغ أقانيم العدالة الاجتماعية، مثل تأمين حق العمل، والعيش الكريم، وتحقيق التنمية، ورفع مستوى التعليم وتعميمه، وإيجاد نظام صحي عصري، وضمان حق التقاعد اللائق.

إن عجز الإعلام العربي عن أداء دوره في صناعة الرأي وتحليل الأحداث والنقل الفوري والموضوعي للوقائع والمواقف مرده إلى أن هذا الإعلام مازال منقسمًا بين خطابين منعزلين ومتباعدين: الأول خطاب حكومي رسمي نمطي مثقل بهاجس الخوف من الرأي الآخر ومسكون بعقدة التبرير والدفاع عن سياسة الحاكم والحكومة ومكبل بجملة من القوانين والممنوعات الرقابية، والثاني خطاب إعلامي معارض متواضع الإمكانات المادية والتقنية، ولكنه يتسم بقدرة عالية على النقد والاتجاه إلى تصحيح الأوضاع من دون أن يعرض برنامجًا بديلاً ويكسب تأثير وقوة وجماعات الضغط لصالحه، والاستثناءات القليلة في هذا الإطار تكمن في بعض صحف المعارضة في عدد من الدول العربية التي تتمتع بنوع من حرية التعبير، في تناول الشأن الحكومي والحياة البرلمانية والحزبية، ولها دورها المشهود في التصدي للفساد وتراجع الأداء الحكومي ومشكلات الواقع الاقتصادي والاجتماعي والاجتماعي الشورات لتغير إستراتيجيتها وأداءها الوظيفي بعد ذلك.

يتأكد مما سبق أنّ العالم اليوم يواجه، إلى جانب التحدي بالقوة العسكرية، ثم التحدي الاقتصادي بالارتباط بمراكز الهيمنة الاقتصادية العالمية، مثل صندوق النقد الدولي و النظام الرأسمالي و نظام الخصخصة، تحديا حضاريا بوسائل الإعلام، فالدول تتسابق الى التسلح، لكنها في الوقت ذاته تتسابق الى امتلاك السلاح الاعلامي الذي يخولها أن تكون فاعلة في أداء رسالة التنوير و التوجيه و التنمية و البناء.

ومعنى هذا، باختصار شديد، إن الإعلام يمكن أن يكون سلطة مشروعة إذا قبل بالشروط الموضوعية لمشروعية أي سلطة، وهي القبول الشعبي بها، وإفساح المجال للرأي الآخر، واحترام الضوابط التي يضعها المجتمع لتفادى تحول السلطة إلى تسلط (٤٠).

وفي الوقت الذي تتسع فيه القدرة الفنية، وتزداد الإمكانات، من أجل تأمين التغطية الفورية، لمواقع الأحداث، وبشكل خاص بعد الانتشار الواسع لمحطات "البث الموقعي" – Uplink التي تباشر بث الحدث على الهواء مباشرة وتمكين المتلقي من مشاهدة حادثة تبعد عنه آلاف الكيلومترات، فإن معوقات أخرى تقف أمام هذا الإنجاز وميزاته، ذلك أن الكثير من الجهات تعد ذلك إحراجًا لها، بل تعديا على أسرارها وخصوصيتها، ولذلك اتسعت دائرة خرق نطاق وحرمة الحريات الإعلامية بشكل مستمر، حتى وصل الأمر إلى قتل الإعلاميين والمراسلين كما حدث في ليبيا، وإلى جانب ذلك تتم ملاحقة الإعلاميين الذين يمارسون عملهم في إطار تغطية الأحداث موقعيًا، كما يتعرضون للمضايقات أو للمحاكمات والسجن والاعتقالات هذا إذا ما عرفنا أن المنطقة العربية تشهد تصاعدًا في عدد الاحتجاجات والاضطرابات المحلية، وهو ما يفرض زيادة وجود الإعلام في مواقع الحدث، وبالتالي تظهر إلى الواقع أشكال جديدة من القمع والرقابة كاستخدام التشويش ضد وسائل الإعلام مثلما حدث بالنسبة لقناتي "الجزيرة" و"العربية" أثناء تغطيتهما للأحداث الأخيرة في مصر وليبيا (٢٠).

وهذا ما دعا المنظمات الدولية المعنية بالدفاع عن الإعلاميين وحقوقهم، وحتى منظمات حقوق الإنسان، إلى ضرورة توفير الحصانة والحماية اللازمين للإعلاميين خلال ممارستهم مهامهم، والتأكيد على إلزامية احترام حرية الرأي وحق الاتصال وحرية الإعلاميين في الوجود في موقع الأحداث، وتوفير مستلزمات الأداء من دون ضغط أو رقابة مسبقة، وتمكين الإعلاميين من حرية التنقل والتواصل مع مراكزهم الرئيسية لبث رسائلهم الإعلامية.

وقد أوضحت الدراسات التي تناولت موضوع الثورات في الدول العربية من زاوية السوسيولوجيا الوظيفية لوسائل الاتصال<sup>(۷)</sup> أن الوطن العربي قد انكمش جغرافيًا وعمليًا إزاء زحف الثورة الإعلامية قبل زحف الاحتجاجات، وهذا ما يعني أن الاتصال هو قيمة نقدية ذات حمولة إيديولوجية واجتماعية من مهامها تفعيل الحراك الاجتماعي وإحداث التغيير وتحويل النقد من خلال الخطاب الإعلامي إلى حالة جماهيرية يقظة<sup>(۸)</sup>.

وإذا كان موضوع المعايير التي يجب أن يستند إليها النشاط الإعلامي العربي هي السؤال الدائم الحضور، فإن واقع الحال يقودنا إلى التنويه بوجود إعلام مناهض للحقيقة هو الإعلام الرسمي المعبر عن سياسات الحكومات ومصالحها المختلقة، وهو الإعلام الأقوى من حيث الوسائل والإمكانات، حتى تلك النماذج الإعلامية التي برزت عبر توظيف تقنية البث الفضائي في شبكات إخبارية تلفزيونية، وحققت نجاحات مهنية

كبيرة، هي في الواقع ليست بعيدة عن القيود الرسمية، أو حتى ضغوط الممولين السياسية لضمان عدم خروجها عن الخطوط المحددة لأنشطتها (أ)، فنراها في الوقت الذي تحاول إبراز حياديتها وموضوعيتها أنها ولأسباب عديدة تضحى بكل ذلك تنفيذًا لبرامج سياسية مسبقة واستحقاقات ذات طبيعة سيادية أو غيرها.

### ٢- الإعلام العربي... وإشكالية التماهي مع الموضوعية

إن المأزق الحقيقي لوسائل الإعلام العربية، في الوقت الذي تطورت فيه القدرات التقنية وتنوعت، واتسعت عوامل التأثير المتبادل بين المرسل والمتلقي، هو أن تلك الوسائل — وباستثناءات محددة — عادت تخسر يومًا بعد يوم آخر صدقيتها ودورها، ولم تحافظ على وهج الدور الذي رسم لها والذي يتوخى أساسا حمل راية النضال الوطني التحرري وتجسيد إرهاصات بناء الدولة العربية الديمقراطية وتحديد خياراتها في التنمية والتطور.

وليس من مبالغة القول أن أجهزة ومؤسسات الإعلام العربية، حالها كحال السلطة السياسية، قد تم خطفها وتكميمها والمساومة على حريتها<sup>(۱۱)</sup>. ومن المفارقات التي يمكن أن تسجل في هذا السياق، أن مستوى الأداء الإعلامي في الوطن العربي الذي شهد تطورًا واسعًا بعد انتشار البث التلفزيوني المحلي والفضائي، وتنوع شكل التواصل وفوريته، كان يتراجع بخطى واسعة نحو الخلف في إطار التعبير عن حاجيات المواطن العربي للاصلاح و التغيير، بل تعدى ذلك إلى مساهمتها بشكل أو بآخر، في تكريس واقع التشرذم والتفكك وتسويق القيم السلبية في الحياة (۱۱) وانتقل جزء أساسي من البرامج الموجهة ضد المصلحة القومية لتجد لها موقعًا في تلك الوسائل، وانعكس ذلك أيضًا على التعامل مع موضوعة النقد، وعلى ما يمكن أن تحمله وسائل الإعلام من رأي الشارع السياسي، ومن قضايا الشعوب في إطار التنمية والمشاركة السياسية وبناء المجتمع المدنى وتحقيق الديمقراطية (۱۱).

وفي متابعة لما يصدر من تقارير سواء من المنظمات المعنية بالحريات الصحافية والدولية، أو التقارير المختصة بالتنمية البشرية والإنسانية، فإنه يمكن ملاحظة الهوة التي تفصل بين حجم المؤسسات الإعلامية العربية، وبشكل خاص المؤسسات الرسمية الخاصة المعنية بالبث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية، والتأثير الذي تتركه في المتلقى.

وقد أدت أزمة الثقة والخوف من التضليل إلى خلق عوامل تباعد بين المرسل والمتلقي، وهي المسافة التي عززت الشك و الريبة بين الطرفين و أنتجت تبادلاً غير متكافئ بينهما و أضحى الاتصال وكأنه يندفع باتجاه واحد، متوجها نحو الجمع المتلقي، وكأنه حشود فاقدة لحرية النقد ومساءلة الموضوعية (١٣) أو حشود مستسلمة فاقدة لقدرة التمييز والنقد وغير قادرة على مقاومة إغراء مواصلة الانصياع والتلقي السلبي.

إن المسار التحليلي لاختلال العلاقة بين الوسائل الإعلامية والمواطن العربي يدعونا إلى تبين نقاط القصور التي أثرت سلبًا على الأداء الإعلامي العربي والمتمثلة أساسًا في هشاشة المهنية وتردي الاحترافية (١٤) بالإضافة إلى تفشى وباء الامتداد السلطوي إلى كل مرافق الإعلام والسيطرة عليها بمختلف الوسائل.

إن الوقوف على مسألة التماهي مع الموضوعية في الإعلام العربي، خاصة المحلي منه، يؤدي بنا إلى التأكيد على أن جوهر العملية الاتصالية إنما يكمن في حقيقة كونها تمثل شكلاً من أشكال التفاعل الحي والمبدع مع الواقع الموضوعي. كما يتمثل جوهر النشاط الإعلامي في حقيقة كونه يمثل أول تماس مباشر مع معطيات الواقع الموضوعي بما فيه من أحداث وظواهر وتطورات، إنه باختصار "طليعة" الجهد البشري المسكون بمواكبة الوقائع وتشخيص معطياتها وفهمها(۱۰)، ونقل ذلك كله إلى الشرائح المختلفة من الجماهير المستهدفة.

بهذا المعنى، يمكن القول أن العملية الاتصالية التي تتسم بالموضوعية والاحترافية هي أساسًا عملية فكرية محايدة ترسخ الطابع المهني والحرفي للعمل الإعلامي، فهي إذن إيديولوجيا إبداعية بامتياز (٢١) وليست وظيفة بيروقراطية موجهة لخدمة وتدعيم الأنظمة.

إن الإبداع في المجال الإعلامي ليس فعالية منفلتة من عقال الموضوعية، أو نشاطًا ذاتيًا بلا حدود أو ضوابط أو ضفاف، إنه إبداع مقنن يتم في إطار الضرورة الإعلامية، وضمن القوانين والسمات والخصائص التي تحكم العمل الإعلامي وتحدد وجوده ومن مستلزمات هذه الموضوعية نذكر:

الفهم العميق والشامل للواقع الموضوعي، يتضمن ذلك امتلاك الأساس الفكري والنظري والمعرفي الذي يمكن الإعلامي من فهم القوانين الموضوعية العاملة في المجالات المختلفة من حياة المجتمع.

الاستيعاب الكامل لنظرية الأنواع الصحفية، ومعرفة خصائص كل نوع صحفي، وإدراك طبيعة المهام والوظائف التي يستطيع كل نوع صحفي أن يحققها، والموضوعات التي لا يستطيع أن يعالجها.

الدراسة العميقة للجمهور المستهدف، ومعرفة همومه وانشغالاته، والقضايا التي تثير اهتمامه، ومواقفه من الأحداث والتطورات والظواهر.

التخلي عن مفهوم الاتصال ذي الاتجاه الواحد، وتبني مفهوم الاتصال في الاتجاهين: من المؤسسة الإعلامية إلى الجمهور، ومن الجمهور إلى المؤسسة، وتكريس مفهوم التواصل المتبادل القادر على إيجاد المناخ النفسي والاجتماعي لممارسة حوار بناء ومبدع، يستخدم فيه الأفراد أساليبهم في التعبير عن أنفسهم، ويتيح لهم المشاركة الحقيقية في عملية التفاعل واتخاذ القرار، نظرًا لأن الفرد يصبح أكثر اقتناعًا بالقرار الذي أسهم في صنعه (۱۷).

وتحقيقًا للمقولة التي تفيد أن أفضل أسلوب لقياس كفاءة الخدمة الإعلامية ، هو مواكبة المؤسسة الصحفية

للأحداث و بناء الوقائع ، تنافست بعض القنوات الفضائية الإخبارية العربية في مقاربة الثورات بشكل موضوعي وكثيف، الأمر الذي أبان عن إستراتيجية إعلامية جديدة في التغطية قوامها خطاب نقدي يقوم على المقاومة وكشف الحقائق (١٨).

### ٣- الفضائيات العربية الإخبارية وإعلام المقاومة:

إن الهدف المركزي للبث الفضائي الإخباري هو الوصول والتأثير من أجل الإسهام في بناء النسق المعرفي والفكري والقيمي للمتلقي<sup>(١٩)</sup> وهو ما أملى على هذه المؤسسات ضرورة التعامل مع الاحتجاجات والثورات العربية بوصفها حدثا ضخما.

ويتميز الحدث الضخم عن الحدث العابر بأنه حدث مستمر لفترة من الزمن، قد تكون عدة أيام أو عدة أسابيع أو عدة أشهر، كما يتميز بأنه حدث متجدِّد، بمعنى أنه حدث ديناميكي وحيوي، الحدث الضخم مستمر لأن عملية تفاعله مع الواقع الموضوعي تستمر لفترة طويلة ، وذلك بسبب ضخامته وشموليته وعمق تأثيره على الواقع الموضوعي، وهو متجدد نظرًا لأن عملية التفاعل هذه تحمل في طياتها الجديد على مدار الساعة، وهذه الاستمرارية وهذا التجدد يشكلان الأساس الذي تقوم عليه عملية التغطية المستمرة والمكثفة (۲۰).

وتؤكد الممارسة كما يرى الكثير من الباحثين والمشتغلين في مجال الاتصال -بأن تغطية الحدث الضخم- تستوجب الأخذ بالاعتبار بأنه حدث يمتلك جوانب متعددة تمتد حتى إلى خارج المجال الضيق الذي تنتمى إليه - الثورات كاحتجاجات شعبية - لتطال الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

إن شمولية الحدث وامتداداته إلى مجالات متعددة، مسألة معقدة تفرض مهنيًا ضرورة استيعاب الحدث ككل ودون إهمال جزئياته، وهو ما يقتضي النظر إلى الحدث بمنظار موضوعي يتيح قراءته قراءة ولقعية وفق منطقه الذاتى، ويتيح فهمه واستيعابه وبالتالى تغطيته ضمن السياق الذى أنتجه.

وضمن هذا الإطار نوعت الفضائيات العربية الإخبارية من أساليب تغطيتها لأحداث الثورات العربية، لتأتي الأخبار في صدارة المعالجة بالإضافة إلى البرامج التي تقوم على التحليلات والقراءات المتخصصة (۱۱)، الأمر الذي أسهم في تحديد المجرى التفاعلى الذي يجب إيجاده وتعميقه في تغطية هذا الضرب من الأحداث.

إن التغطية الإعلامية الفاعلة للحدث الضخم عبارة عن نشاط غائي لا يكتمل إلا بتلقيه، وهاجسها الأساسي هو الوصول إلى المتلقي والتأثير عليه، وحتى تحقق التغطية هدفها لا بد أن تكون مشحونة بهاجس إيجاد وتعميق مجرى تفاعلي بين المتلقي وبين الحدث موضوع التغطية، ويكون كذلك من خلال توفير وتقديم حجم معرفي عبر تقديم الوقائع الجوهرية والهامة والدالة، التي تمكن المتلقي من أن يتعرف على الحدث في معطياته وجوانبه ومساراته المختلفة (۲۲).

ولأن المتلقي في مثل هذه الأحداث يكون دائمًا في حالة ترقب وتطلع إلى المعلومات الصحيحة والدقيقة التي تستجيب لحاجاته ومتطلباته المعرفية، سعت الفضائيات العربية الإخبارية إلى وضع المشاهد وجهًا لوجه أمام الوقائع والحقائق الجوهرية وهو ما تجلى بشكل واضح في تعزيز التغطية بالأخبار العاجلة والصور الواقعية التي كانت تتخذ بواسطة كاميرات الهواتف النقالة للمحتجين أنفسهم (٢٢)، وهو المنحى الذي يعزز دور و سائل الإعلام في إنتاج إيديولوجيا الفئة الغالبة و يكرس نظرية البناء الاجتماعي للواقع.

إن انتهاج القنوات الفضائية العربية لأسلوب التعبئة، وشحذ الهمم، يعطي الدلالة اللازمة على أن الإعلام يمثل سلطة رقابية وتنموية وتوجيهية للمجتمع، وبأنه يساهم في الحملات الاجتماعية، واضعًا نصب عينيه ضرورة تحقيق المعادلة الصعبة التي تجمع بين النفوذ، التفرد وحيازة السبق الصحفي.

وضمن هذا المنحى اكتست تغطية البث الفضائي للثورات والاحتجاجات، طابعًا شموليًا متوزانًا، حاول تلمس الحقيقة من مختلف مداخلها، فلم تقتصر على المادة الإخبارية الصرف، بل تدعمت بالأنواع الصحفية المختلفة التي تقوم بمهمة تحليل وتفسير وشرح وتوضيح الأبعاد المختلفة للأزمة، وتقرأ وقائعها وفق رؤية نقدية معمقة (<sup>37</sup>)، وهذا ما يبرر استعانة هذه الوسائل الإعلامية بكتاب واختصاصيين ومفكرين من الخارج، علمًا أنّ هذه الإستراتيجية غير محايدة، وإنّما تتم دائمًا في ضوء سياسة الوسيلة ومنطلقاتها (<sup>67</sup>).

إنّ تبني البث الفضائي العربي لـ "فسيفساء إخبارية" في تناول موضوع الاحتجاجات الاجتماعية العربية، يعني أنّ الإعلام سيبقى متبوّئًا للسلطة الرابعة بين السلطات، بل أنه أصبح سيد السلطات، باعتباره صاحب قوة رهيبة تظهر من خلال التباين بين الهيكل التقليدي لأجهزة الدولة، ويمتك القدرة الانسيابية المخترقة للأفكار، التي تسرق الجميع بعفوية وتلقائية في منظومتها، وبالتالي يصبح من غير الممكن الانفلات من نفوذه الذي ليس له تأثير فعلي في مفهوم السلطات الأخرى، التي لا تفرض نفسها إلا من خلال قوة الردع والعقاب والتخويف من العقوبات والإجراءات القانونية، لكنه يستطيع تحويل المشاهد إلى أداة فاعلة مؤثرة، كاسرًا قيود المتابعة السلبية المشاركة في صنع الحدث بالتحريض والتوجيه وإشعال فتيل الثورات السياسية، أو ما يسمى أو بتحريض جهة ضد أخرى، وإسقاط أنظمة بإشعال الفتن من خلال الضغوطات السياسية، أو ما يسمى "الثورات البيضاء" بنفوذ الإعلام الأفقي، الذي لا يمكن أن يؤثر إلا بوجود حرية تكون هي الوقود المحرك

وممّا يؤكد تعدد مسارات أساليب مقاومة البث الفضائي العربي، وتباين ملامح هذه الحرب الإعلامية الموازية، الاعتماد على المجال الديني في وسائل الإعلام، وهي "وثبة كفاحية" متميزة يمكن أن تُسْتَشف من خلال توظيف الخطاب الديني في شكل فتوى أو وعظ.

وتأسيسًا على ما سبق، لا يمكن تصنيف الرسائل الاتصالية التي انطلقت من مواقع الحدث - ميادين

\ \ !\{\}.

الاعتصامات وساحات الاحتجاج — باعتبارها وسائل محايدة بشكل مطلق، إذ أن مجرد وصول الكاميرا إلى موقع الحدث ونقل تفاصيله ومستجداته، وتحليل أبعاده، كل ذلك يُعد نشاطًا إعلاميًا لصالح الثورة الشعبية وضد ادعاءات وطُروحات الإعلام الرسمي، وهذا ما يعزز فكرة أن التحدي الحضاري الذي يواجه العالم اليوم هو تحدِّ بوسائل الإعلام (۲۷)، وأن الإعلام الذي ينشأ بمنأى عن الديمقراطية كما هو الحال لدى الأنظمة الشمولية والاستبدادية لا يمكن أن يكون أداة تنظيم وتعبئة (۲۸).

ولعل الدروس الأغنى التي قدمتها تجارب البث الفضائي لتغطية الثورات العربية، أنها مازالت جنوتها متقدة في مجال تعميم المعرفة والتوعية والتنوير، بل وفي تشكيل الرأي، وتوجيه الرأي العام، والإفصاح عن الحقائق، وخلق القضايا، واستنباط أساليب مبتكرة، لصياغة عمل إعلامي له شكله المتميز وقدرته الفاعلة على النفاذ والتأثير.

وإذا ما سلمنا أن الثورات العربية جاءت نتيجة تراكمات عديدة تمحورت جلها في النقمة على مظالم الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، فإنه يجوز لنا التساؤل عن آليات هذه الثورة، وعن أساليب التنظيم وإدارة الاحتجاجات في المناطق، ثم في العواصم، وعن الجهة أو الجهات المسؤولة على مثل هذا التنسيق... إن التعمق في سير هذه الاحتجاجات المطلبية يؤكد أن هناك آلية جديدة للاتصال ساعدت على رسم معالم هذه التعبئة والتنظيم وأوجدت هذا الشكل غير المعهود للعمل الجماهيري المنظم.

# ٤- المنظومة الإعلامية الإلكترونية... ومفهوم السلطة الخامسة...

لم تعد السلطة الرابعة المتمثلة في وسائل الإعلام التقليدية، قادرة على الصمود أمام اجتياح نفوذ المنظومة الإعلامية الإعلامية المتثلة في مختلف المواقع الإعلامية المنتشرة عبر الشبكة العنكبوتية ك "فيس بوك" و" و" و" و" و" و" والدونات الشخصية.

وقد ساد مفهوم السلطة الرابعة في القرنين التاسع عشر والعشرين بكونه مفهومًا رقابيًا على السلطات الأخرى (٢٠)، لكنه سرعان ما أخذ يتلاشى مع ظهور الانترنيت، وهو ما أجبر وسائل الإعلام الأخرى لإجراء تغييرات هيكلته للبقاء والصمود.

وإذا كانت شبكة الانترنيت قد فتحت مجالاً واسعًا لنقل المعلومات بشتى صورها ومضامينها المتنوعة، فإن تلك الشبكة قد سمحت أيضًا بأن تستخدم الصور الفوتوغرافية والفديوية لأغراض النشر الإلكترونية للمعلومات والمعرفة، وبخاصة الصحافة المكتوبة (٢٠)، وأضحى الانتساب إلى هذه الشبكة والتعامل مع إمكاناتها الواسعة عملاً يسيرًا، إذ يمكن أن يقف المستخدم في أحد أطراف الشبكة ليدخل على منظومتها الواسعة، وليتبادل المعلومات والآراء مع كل من يتعامل مع برامجها، وهكذا بدأ إعلام آخر يرتبط باستخدام

تقنية الانترنيت، وأضحت هذه الوسيلة التواصلية ميدانا مفتوحًا وحرًا لتبادل الآراء والمواقف، بين المشتركين، حتى عادت الرقابة التقليدية على مختلف الوسائل السمعية – البصرية عاجزة نسيبًا على منع تدفق الآراء والمعلومات، ولم يعد بذلك للرقيب الإعلامي (التدخل الحكومي) أية سلطة على حظر نشر مواد الشبكة لتكون في متناول المواطن أينما كان موقعه في العالم (٢١٠).

ومن هنا جاء توظيف كل قوى المعارضة السياسية وغيرها(٢٢) التي لا تستطيع أن تملك وسائلها الإعلامية العلنية أو تحصل على موقع لنشر مواقفها على وسائل الإعلام التقليدية للمكانات شبكة الانترنيت، لتعيد رسم خريطة جديدة للصراع والتنافس السياسي والإعلامي، وهي خريطة شديدة التعقيد، وبالغة السرعة والفورية، وواسعة الانتشار، وغير قابلة للقمع والتكميم، وبذلك، فقد تشكل فضاء إعلامي جديد مازالت إمكاناته في دور التطور، ومازال اللاعبون الأساسيون فيه يعملون من أجل فتح منافذه وتوسيع أطره، وإضافة إلى ما قدمته شبكة الانترنت في إطار تحرر الأداة الاتصالية، وحرية المتلقي في الوصول إلى مصدر المعلومات، فقد أسهمت في تقليص المسافة بين مصدر الرسالة ومستهلكها النهائي، وهو ما سهل عملية تعبئة حشود الاحتجاجات في ميادين الاعتصام.

وتقييمًا لهذا الوضع، يمكن الإقرار بأن الحاضر والمستقبل سيكونان تحت سيطرة السلطة الخامسة عبر المنافذ والمواقع الإلكترونية المختلفة، وهو الوضع الذي أدى إلى تحول ميزان القوة من حارس البوابة في الإعلام التقليدي إلى السلطة الخامسة المتمثلة في المواطنين، حيث اكتسبت شرعيتها من الواقع المعيش، ولم يعد للسلطة الرابعة ذلك الحضور الذي كان يُشهد لها في القرنين الماضيين، وهكذا تحرر المجال الإعلامي بتحرر الوسيلة — الانترنت— التي أصبحت على رأي رئيس وزراء بريطانيا السابق غوردون براون "أكثر صخبًا من أي ثورة اقتصادية أو اجتماعية"(٢١).

وليس من المفارقة أن تسجل منظومة التواصل عبر الشبكة العنكبوتية للانترنيت، ولوجها في دائرة الصراع بين الشعوب والأنظمة، فلقد ساعدت الثورة الإلكترونية بعض التقنيين والمواقع العالمية، في تمكين المحتجين من التواصل بحرية مع المتعاطفين معهم في مختلف أنحاء العالم، ومن خلال معالجة شبكات الإعلام الاجتماعي لقضايا كثيرة، صار "الإعلام الرقمي" أكثر من سلطة خامسة، بل أقوى تأثيرًا من الصحافة نظرًا إلى بساطة الكتابة والصورة والفيديو والصوت التي تحولت كلها إلى عوامل للخروج بسلطة "المواطن الصحافي" وهذه هي تجليات الفعل الاتصالي في إدارة الشأن الديمقراطي.

ونتيجة لكل ما ورد، يمكن الانتهاء إلى أن الـ "فيس بوك" والـ "توتير" والـ "يوتيوب" قد طرحت على الحكومات العربية تحديًا كبيرًا وغير مسبوق، وهو تحدي تطوير إعلامها وتخليصه من أغلال الرقابة التي تطوقه، وإكسابه المزيد من المصداقية والموضوعية وإخضاعه إلى قانون الاحترافية والمهنية الحقة، لأن ثمة

آخر أجيال وسائل الإعلام المعاصرة في عصر الانترنيت، وهو ما يفرض إعادة حسابات الأنظمة في مواجهة هذه الوسيلة التي فتحت نافذة لإعلامها، يصعب على الحكومات السيطرة على تدفق الضوء منها.

#### خاتمـــة:

نستخلص من الدراسة هذه أن العامل الحاسم في نجاح الثورات العربية هو دون شك التواصل بين القيادات الميدانية والفئات المشاركة في الحملة الاحتجاجية، وأن الوسائل الحديثة للتواصل، كالشبكة العنكبوتية والفايس بوك والتويتر، وما يمكن أن يستحدث من أجيال جديدة للتواصل، أدّت وستؤدي دورًا مفصليًا في التعبئة والتنظيم، خاصة في مواجهة مخططات السلطة الرامية إلى التقليل من شأن هذه الثورات أو الإساءة إليها بواسطة التعتيم الذي كان يمارسه الإعلام الرسمي.

إن هذه المساحة من حرية التعبير عن المواقف المتاحة للجميع تقريبًا - باستثناء الفئات التي لا تقرأ ولا تحسن استثمار جهاز الكمبيوتر - تؤكد أننا نعيش عصر الثقافة التواصلية التي تستطيع أن تقوم بالتغيير، فالمرونة في التعامل مع الوقائع الميدانية، مكنتها سرعة التواصل وتنوع آلياتها، وهي ذات الثقافة التواصلية التي أنتجت وحصنت وعززت ثقافة الثقة بالنفس وهي أولى الخطوات اللازمة في مشوار المشروع النهضوي الديمقراطي في الوطن العربي.

#### الهوامش والمراجع:

.1-Umberto Eco: La structure absente, édition Mercure de France, 1972, p12

- ٣- صباح ياسين: الإعلام: حرية في الانهيار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ٢٠١٠، ص ٦٠.
- 4- Dominique Wolton, Sauver la communication, Edition Flammarion, Paris 2005, P13.
- 5- Michel Watin, Débat sur l'information Arabe, Edition Payot, Paris 2007, P27.
- 6- Jean Simonin, Rapport sur l'état de l'information dans l'espace Arabe, Paris 2011, P21.
- 7- Edward Wolff, Émergence d'une communication arabe, Edition Economica, Paris 2009, P74.
- 8- Michel Watin, Débat sur l'information arabe, Op.cit, P31.

11- Jean Simonin, Rapport sur l'état de l'information dans l'espace Arabe, Op.cit, P24.

- 13- Michel Finley, Communication et démocratie, Edition Gallimard, Paris 2009, P71.
- 14- Paul Baudry, Temporalité et la démocratie, Edition Payot, Paris 2006, P76.

- 16- Olivier Galland, La nouvelle communication, Edition Dunod, Paris 2007, P34.
- 17- Massit Folléo et Jean Mouchon, Information et la démocratie, mutation du débat public, ENS éditions, Paris 2009, P61.
- 18- Ibid, P63.
- 19- Pierre Musso, La postérité de l'information dans le monde arabe, Dunod, Paris 2008, P91.
- 20- Serge Proulx, Nouvelles approches de la communication, Edition Dunod, Paris 1997, P103.
- 21- Michel Watin, Débat sur l'information arabe, Op.cit, P99.
- 22- Serge Proulx, Nouvelles approches de la communication, Op.cit, P115.
- 23- Jean Simonin, Rapport sur l'état de l'information dans l'espace Arabe, Op.cit, P31.
- 24- Michel Watin, Débat sur l'information arabe, Op.cit, P103.

٢٥ - كريم مروة، أفكار للنقاش عن السياسة الإعلامية، دار الفارابي، بيروت ١٩٩٨، ص ٢١٥.

٢٦ فاضل محمد البدراني، "المسؤولية الإنسانية لوسائل الإعلام في الحروب: قراءة تفكيكية في مهنية الأداء والضمان القانوني"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٧ (صيف ٢٠١٠)، ص ٧٧.

٢٧- إبراهيم البدري وسمير المقدسي، "تفسير العجز الديمقراطي في الوطن العربي"، المستقبل العربي، السنة ٣٣، العدد ٣٨٤،
 شباط / فبراير، ٢٠١١، ص ٨٥.

٨٢ أمين يسري، "أتجاهات الانفصال وممارسات الديمقراطية في المنطقة العربية"، شؤون عربية، العدد ١٤٥، ربيع ٢٠١٠،
 ٢٠٠٠ ص ٦٣.

٢٩ للمزيد أنظر: جمال الزرن، "تساؤلات عن الإعلام الجديد والانترنيت"، في: أسامة الحربي وآخرون، العرب وثورة المعلومات، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٥، ص ١١١٠.

٣٠ نفس المرجع، ص ١١٣.

٣١ - محسن محمد صالح، الانترنت وثورة المعلومات، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠١١، ص ١٢٠.

٣٢ - ولقد استخدمت شبكة الانترنت أيضًا لنشر المعلومات والمواقف لمنظمات غير سياسية تمثل جمعيات البيئة والدفاع عن حقوق المرأة... الخ.

٣٣ – عمرو الشويكي، الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي (مصر، المغرب، لبنان، البحرين)، المستقبل العربي، ٣٧٤، فبراير ٢٠١١، ص ١١٤.

# الخبر في القنوات العربية بين المتطلبات المهنية والتوجهات السياسية قناة فلسطين نموذجاً

د. راغب جابر كلية الإعلام-الجامعة اللبنانية

من الأسئلة الكبيرة المطروحة على الإعلام، هو سؤال الحقيقة. هل هي موجودة فعلاً في الإعلام، وبأي نسبة؟ والسؤال يفتح على أسئلة كثيرة تتفرع منه، ومنها موضوع بحثنا عن الاخبار في المحطات التلفزيونية العربية بين المتطلبات المهنية والتوجهات السياسة-فضائية فلسطين نموذجاً والذي تم بناء لتكليف من اتحاد الاذاعات العربية عام ٢٠٠٥ للافادة منه في اطار دراسة شاملة على مستوى العالم العربي.

بداية لا بد من الاشارة الى ان مهنة الصحافة والإعلام بشكل عام تتطور بشكل متسارع، وخصوصاً مع الثورة التقنية الاخيرة، ثورة الاتصالات الفضائية والكومبيوتر. وهذا التطور تخطى الوسائل، أي اجهزة البث والاتصال والنشر الى ما هو أعمق بكثير، الى المضمون، الى الرسالة الاعلامية نفسها وطريقة تقديمها.

تقدم لنا التقنيات الحديثة صورة مثيرة، وصوتاً نقياً واضحاً، ومؤثرات وأجواء جذابة وتنقلنا الى عوالم مجهولة وبعيدة في اطار من اليسر والسهولة، لكن هذا ليس الجديد الوحيد في عالم الاعلام والصحافة. ان الشكالاً جديدة تتقدم اليوم الى الواجهة، سواء في الصحافة المكتوبة أم المرئية — المسموعة: التحقيق والتقرير والحوار والنقاش. حتى ان الخبر نفسه بدأ يفقد شيئاً من "قداسته". صحيح انه ما زال عصب الاعلام، منه تتفرع بقية الاشكال، فلا تحقيق لا يستند الى الخبر (المعلومة)، ولا تحليل او تعليق... لكن هذا الخبر بات يخضع اكثر فأكثر لتدخلات وإضافات يفرضها ايضاً تسارع في تغير مقتضيات المهنة. فهناك اولاً المنافسة المتزايدة حدة يوماً بعد يوم بين الوسائل الاعلامية، التلفزيونية خصوصاً، نتيجة تزايد عددها و"تطاحنها" على سوق الجمهور وعلى سوق الاعلان، وهناك ثانياً، والأهم وبالارتباط طبعاً، الرساميل الهائلة المستثمرة في هذا القطاع، وهي رساميل عائدة إما الى دول، وإما الى مؤسسات ضخمة وإما الى قوى اقتصادية وإما الى قوى سياسية متمولة ايضاً، وطبيعي ان تكون هذه القوى "منحازة". وطبيعي اكثر ان يؤدي كل ذلك الى تداخل قوى سياسية متمولة ايضاً، وطبيعي ان تكون هذه القوى "منحازة". وطبيعي اكثر ان يؤدي كل ذلك الى تداخل المهني بالمسلحي بالسياسي وان يؤثر في طبيعة المهنة ذاتها التي تنتقل من ايدي المهنيين الى ايدي اصحاب المسلطة والنفوذ، مباشرة، او غير مباشرة، والنماذج اكثر من ان تحصى وخصوصاً في الفضاء العربي.

من المتعارف عليه في الاعلام ان ليس كل ما يعرف يقال، ولكن ايضاً ان ما يقال ليس بالضرورة المعرفة الحقيقة. المتعارف عليه في التلفزيون تعطي انطباعاً دامغاً بالحقيقة، لكنها ليست في الواقع كذلك دائماً. والحقيقة التي تقدمها الصورة قد تكون مجتزأة، وقد لا تمثل الا جانباً ضئيلاً من الحقيقة الكبرى، ولنا في حرب الخليج الثانية والثالثة نماذج جيدة، وكذلك في حروب اخرى كثيرة حيث الحقيقة هي الضحية الكبرى للحروب.

الخبر عندما يذاع او يبث يصبح ملكاً للجمهور، لكنه قبل ذلك يكون للوسيلة الاعلامية، التي تحدد الاطار الذي ستقدمه فيه. صحيح ان الوسيلة لا تستطيع في ظل المنافسة القائمة ان تتجاهل الخبر، لكنها تستطيع ان تميل به ذات اليمين وذات الشمال، ان تقدمه او تؤخره، ان تختصره او تزيد عليه... وكل ذلك في سياق حافل بالمؤثرات الخارجية والداخلية والضغوط المنظورة وغير المنظورة، وكذلك بمستويات الكفاءة التي يتمتع بها الصحافيون العاملون في المؤسسة.

من البديهي ان المواد الاعلامية، الاخبار تحديداً، في محطة تلفزيونية، ليست سوى انعكاس لنظام الملكية وهوية المالك سواء أكان دولة ام تنظيماً ام مجموعة اقتصادية ام مجموعة دينية... ومن البديهي ايضاً انها تخضع لميول المشرفين والمحررين وأهوائهم. وان الحياد ليس سوى كذبة كبرى في هذا المجال. ولكن هناك اسباباً اخرى لا علاقة لها لا بهوية المالك ولا بميول الصحافي.

ففي مجتمعاتنا العربية تحديداً تمكن الاشارة الى مجموعة كبيرة من المؤثرات الفعلية في عملية الإخبار، وهذه المؤثرات تمارس عبر ضغوط متنوعة منها ضغوط الحكومات عبر السياسة وعبر التلويح باستخدام القانون وحتى باستخدامه لتقليص هامش الحرية، ومنها ضغوط الجماعات الدينية المسكة بتلابيب الشارع، وكذلك ضغوط الجماعات المالية والاقتصادية وضغوط الاحزاب... وحتى الشارع نفسه احياناً. لكن ليس كل ذلك هو العامل الحاسم في عملية اختيار الخبر واطار تقديمه. وهناك ايضاً مسألة التدفق الاعلامي عبر المصادر والوكالات الاجنبية باتجاه العالم اجمع، ومنه عالمنا العربي طبعاً، فحتى اخبارنا المحلية نأخذها احياناً من الوكالات الاجنبية. وننقلها عن محطات التلفزة العالمية ك"سي ان ان" و"فوكس نيوز" وغيرها. وفي هذه الوكالات والمحطات ما فيها من انحياز. وهذا الامر يحيلنا الى جانب مهم وحاسم يمكن صياغته بسؤال عن كفاءة الصحافي العربي او المحطة التلفزيونية العربية. فهل مؤسساتنا الاعلامية هي مؤسسات محترفة فعلياً، مع ما يتطلبه ذلك من امكانات مالية وتجهيزات ومن كادر بشري كفوء ومؤهل؟ وهل تملك القدرة على تصنيع الخبر ذاتياً؟ ثم هل العقلية السائدة هي عقلية احتراف ام عقلية هواية وشتان ما بين الاثنتين. فقلم الهاوي غير قلم المحترف، والكاميرا المحترفة غير الهاوية وعين المحترف غير عين الهاوي.

عندما نتحدث عن التلفزيونات العربية، ارضيها وفضائيها، انما نتحدث عن عالم واسع، او بالأحرى عن عوالم متعددة، متقاربة ومتباعدة في آن. فالتلفزيونات العربية، ومعظمها رسمي، او ممول رسمياً، هي في

الغالب الكاسح صورة لأنظمة الحكم العربية على المستوى الداخلي وعلى مستوى العلاقات العربية، وهي ايضاً صورة لمجتمعاتها الى حد كبير. وفي الشكل العام، وبناء على مجرد الملاحظة العامة يمكن تقسيمها بين تلفزيونات "متحررة" وأخرى "محافظة"، بين "غنية" و"فقيرة"، بين "محترفة" و"هاوية" او "شبه هاوية"، ومن حيث الانتشار هناك المحلية وهناك المفرطة في محليتها. وهناك العربية وهناك "العالمية".

في الفضاء العربي تختلط القنوات الارضية بالفضائية، وتتداخل المفاهيم، حتى اننا نجد احياناً قنوات فضائية ليس لها من اسم الفضائية سوى انها تبث الى الفضاء، وأخرى ارضية ليس لها من الارض سوى الاخبار الرسمية. ولعل الحديث عن التلفزيونات العربية في وقتنا الراهن، يكاد يتجه طبيعياً الى الفضائيات العربية بعدما اكتفت التلفزيونات الارضية بجمهورها المحلي (اذا كان ما زال يتابعها). مع الاشارة هنا الى حالة متميزة هي الحالة اللبنانية، حيث الاعلام المرئي والمسموع هو اعلام خاص بامتياز في ظل شبه غياب للتلفزيون الرسمي، وبالتالي فإن المنافسة على الارضي هي منافسة قاسية في ظل جو من الحرية يبدو غير متوافر في بلدان عربية اخرى.

لقد شكلت الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ميداناً واسعاً للتلفزيونات العربية، الفضائية تحديداً، للتباري، ولاثبات القدرة والكفاءة، وتميزت محطات "الجزيرة" و"أبو ظبي" و"العربية" والـ"ال بي سي" و"المستقبل" و"المنار". وفي حين اعتبر كثر ان الفضائيات العربية اثبتت وجودها وأصبحت مصدراً للخبر ولم تعد تعتمد المصادر الاجنبية (وقبل حرب العراق تجربة "الجزيرة" في أفغانستان) اعتبر البعض الآخر ان ما حصل هو مجرد ايهام بهذا التحول، لأن الخبر الحقيقي كان في مكان آخر. وان ما بثته الفضائيات العربية، هو ما توافر عن الحدث، وليس الحدث فعلاً، والدليل هو ما اكتشفناه لاحقاً من حقائق عن الحرب. يقول الاعلامي المصري الشهير احمد سعيد ان الفضائيات العربية اقتصر دورها على مجرد النقل وانها "لعبت دوراً سلبياً ونجحت في ان تصل بالمشاهد العربي الى حالة من التلبد السياسي الكامل، ووقفت به عند حد الانفعال من دون ان تصل به الى درجة التحرك الايجابي "(۱). طبعاً، يعكس هذا الكلام نظرة الى الاعلام، كان سعيد من روادها ومحركة. ان الاعلام في هذا السياق هو اعلام مرتبط بالمجتمع وبقضايا الامة، ولا مبرر له اذا لم يكن كذلك. وهذا يطرح سؤالاً كبيراً ايضاً: أي اعلام نريد ولأي هدف؟

محاولة الجواب تعيدنا الى السياسة، والى نظرية مضادة لنظرية التحريك. هي الاشباع والرضا، اذ يأخذ المشاهد ما يشبع فضوله وما يرضيه. "وسائل الاعلام تفكر، وكلما تقدم التجريد والتوسط الاعلاميان، ازداد تفكير وسائل الاعلام بالنيابة عنا وأصبحت فكرة وسيلة الاعلام المسيطرة، فكرة مسيطرة في العصر"(۲). هكذا ينظر المفكر الفرنسي ريجيس دوبريه الى الاعلام، ويعطيه قوة كبيرة تتفوق على السياسة اذ

يعتبر ان "الثورة الاعلامية هي ثورة سياسية، والعكس ليس صحيحاً، وبالاختصار لم تعد السياسة في مركز القيادة"(٢).

لعل كلام دوبريه، الموجه اصلاً الى جمهور فرنسي من النخبة الجامعية، يجد مبرراته في المجتمعات الغربية، وتحديداً في المجتمع الفرنسي الذي تطورت علاقته بوسائل الاعلام، وخصوصاً التلفزيون الى حد تأثيره فيها تأثيراً بالغاً، وحيث الحس النقدي مرتفع ووسائل الاطلاع متعددة وتحكمها اصول ومنافسة توسع من هامش الحقيقة.

سؤال السياسة والاعلام كان اثار جدلاً ايضاً في الولايات المتحدة الاميركية، بين معتبر ان السلطة هي للاعلام ومعتبر ان السلطة هي للسياسة. ففي حين يؤكد بعض المعلقين والمراقبين وكبار الموظفين في الادارة الاميركية او وسائل الاعلام انه عندما تسلط الاضواء على نقطة معينة في العالم (البوسنة، الصومال او رواندة مثلاً) تجبر السياسيين على التدخل، او توقعهم في حالة ارباك، ومن الأمثلة المعروفة مقالات جون. ف. برنز مراسل "نيويورك تايمز" حول سراييفو والتي كان لها تأثير كبير في الديبلوماسية الاميركية في البلقان. يؤكد رئيس متحف نيويورك للراديو والتلفزيون روبرت باتشا بشكل قاطع ان ليس على وسائل الاعلام ان تحدد اين تكمن المصلحة الوطنية (أ). طبعاً لا يقتصر الجدل على الاعلاميين، بل هو جدل واسع ما زال مستمراً في اروقة الادارة الاميركية ودور الاذاعة والتلفزيون ومقار كبريات الصحف.

# الفضائية الفلسطينية في بيئها

ما يهمنا من هذا العرض هو وضع الاطار العام لموضوع بحثنا عن معالجة الخبر في التلفزيونات العربية، وتحديداً في الفضائية الفلسطينية كي لا يأتي منعزلاً عن مقدماته النظرية كذلك عن بيئته الاجتماعية والسياسية وتطور الاحداث فيها.

بداية لا بد من التذكير بأن الفضائية الفلسطينية هي فضائية رسمية تابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد أنشأها الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات وكان يشرف مباشرة على توجيهها السياسي.

اذن نحن امام محطة تابعة للسلطة، وهي في هذا السياق لا تشذ عن المشهد العام للاعلام الرسمي العربي لكنها تختلف عنه في التفاصيل نظراً الى الخصوصية الشديدة للواقع الفلسطيني، والتعقيدات السياسية والمهنية والضغوط الهائلة التي تواجهها، انها تكاد تكون النموذج الاصلي للعمل في ظروف غير طبيعية وهو ما سينعكس على ادائها ومستوى تقديماتها وخصوصاً في مجال الاخبار، من دون ان يكون ذلك مبرراً كاملاً للثغرات فعها.

من الملاحظات العامة على الفضائية الفلسطينية اعطاؤها حيزاً واسعاً للنشرات والمواجز الاخبارية، المحلية والعامة والتركيز على الاخبار المحلية، والى حد كبير، ضمن الفهم العربي الرسمي لوظيفة الاعلام باعتباره معبراً عن السلطة المالكة والمشرفة، وكذلك حالة «الفقر» اذا جاز التوصيف.

لا يمكن دراسة الخبر في الفضائية الفلسطينية بمعزل عن الواقع الفلسطيني المعقد في علاقاته الداخلية السياسية والتنظيمية وفي توتراته الامنية الداخلية، وفي حال الصراع مع اسرائيل. وكذلك في علاقاته مع العرب والغرب، وتحديداً الولايات المتحدة الاميركية. وفي كل ذلك هو واقع ضاغط على السياسة وعلى الحياة اليومية وعلى المؤسسات.

ان الواقع الفلسطيني يعيش حال صراع داخلي على السلطة بين مختلف الفصائل وخصوصاً بين الفصيلين الاساسيين، «فتح» التي ما زالت تسيطر على مؤسسات الدولة من خلال سيطرتها على الهيئة المتنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية — الحاكمة، و«حماس» صاحبة الشعبية المتنامية وحاملة لواء العمليات ضد اسرائيل مع منظمة «الجهاد الاسلامي»، والجبهات التقليدية كالشعبية والديموقراطية وغيرهما. كذلك يعيش حال صراع على الاولويات، الحرب ام السلم؟ التفاوض ام العمليات؟ والشعب الفلسطيني يعيش حالاً من القهر تمارسه قوات الاحتلال الاسرائيلي عبر اعتداءاتها اليومية وجرائمها المتكررة التي تستهدفه في الارواح والارزاق. انه يعيش في هاجس البحث عن مصيره الذي يبدو حتى الآن ان القوى الكبرى في العالم لا تريد الافراج عنه، او ربما تريده ان يتخلى عنه بالقوة لمصلحة الدولة اليهودية المسيطرة، ليس في فلسطين فحسب، لل في المنطقة كلها.

في هذا الواقع الصعب والمتشابك، ندرس الخبر في الفضائية الفلسطينية وطريقة التعامل معه واحترامها للقواعد المهنية والتوفيق بينها وبين التوجيهات السياسية، محاولين معالجة اشكالية البحث المتمثلة في غياب الموضوعية والحياد وبالتالي صعوبة معرفة الحقيقة من خلال أخبار الفضائية الفلسطينية، واستنتاجا، من المحطات المماثلة، وفي سيادة السياسة والتوجيه الرسميين ما يجعل المحطة اداة دعائية رسمية لا تحظى بثقة شريحة معتبرة من الجمهور الفلسطيني والعربي، وصولاً الى السؤال: كيف تتم معالجة الخبر في الفضائية الفلسطينية وهل هذه المعالجة تحترم المتطلبات المهنية وقواعد الممارسة الصحافية وكيف يمكنها التوفيق بين هذه المتطلبات والتوجهات السياسية؟. وسنعتمد في هذا البحث، لاثبات مجموعات الفرضيات، او نفيها، المنهج الوصفي التحليلي وتقنية تحليل المضمون الكمي والنوعي. والفرضيات هي: ١ – الفضائية الفلسطينية تحترم المتطلبات المهنية للخبر التلفزيوني بغض النظر عن التوجهات السياسية فعنصرا الاهمية والموضوعية هما العنصران المحددان. ٢ – الفضائية الفلسطينية تهتم اساساً بالخلفية السياسية للخبر بغض النظر عن القواعد المهنية والجمهور المستهدف. ٣ – الفضائية الفلسطينية توفقت في احترام القواعد المهنية للمعالجة الخبرية

واحترام التوجهات السياسية في آن واحد.

وقد اخترنا الفترة بين ٢٤ كانون الثاني / يناير ٢٠٠٥ و٣٠ منه كعينة للبحث.

تقدم الفضائية الفلسطينية مجموعة من المواجز والنشرات تبدأ عند التاسعة صباحاً بموجز ثم بنشرة اخبار الساعة الثانية عشرة وأخرى الساعة الثالثة وثالثة (محلية) الساعة السابعة ورابعة مسائية الساعة التاسعة ليلاً. واخترنا لدراستنا، النشرات العامة الثلاث باعتبار ان النشرة المحلية هي اعادة محلية للنشرات العامة. بعد ذلك قمنا بتسجيل هذه النشرات، واعادة تفريغها بمضمونها كاملاً مع تسجيل الملاحظات على الشكل والمضمون واحتساب مدة الاخبار وترتيبها في النشرة وتكرارها على مدى اكثر من نشرة، وحتى اكثر من يوم.

قبل الدخول في المضمون، لا بد من قراءة في الشكل وبعض تفاصيله بمعانيها ودلالاتها المباشرة والرمزية.

بعد «الجنريك» تبرز صورة المسجد الاقصى وقبة الصخرة، شعار المحطة وتحتها كلمة فلسطين، في الزاوية العليا للشاشة الى اليسار (بالنسبة الى المشاهد). دلالة مباشرة الى الانتماء والدولة والقضية. نحن اذاً نشاهد تلفزيوناً يصر على انتمائه الى دولة هي دولة فلسطين، والى قضية هي قضية الشعب الفلسطيني. والدولة لها قضية، هي قضية القدس وما يعنيه بالنسبة الى جميع المسلمين ورمزها المسجد الاقصى. هنا تدخل الايديولوجيا فوراً. وهذا ما سنكتشفه لاحقاً، فلا مجال الاللقضية، وكل ما عداها ليس هنا مكانه.

هذا الجو الجدي الذي يظهر من اللحظة الاولى يعكسه وجه المذيع، او المذيعة: لا ابتسامات ولا حركات. صورة جامدة في استديو يوحي بالتقشف وإلقاء كلاسيكي بلغة عربية هي اقرب الى السلامة وتقارير كلها بالفصحى. يحتل المذيع مساحة الشاشة، او معظمها بأناقته، او اناقتها، العادية جداً ويتلو نشرته المكتوبة مقلباً الاوراق الواحدة تلو الاخرى بيديه. ما يوحي بأن تقنيات القراءة الحديثة على شاشة مقابلة لم تصل بعد الى المحطة «الفقيرة».

في الشكل العام للنشرة، وبالملاحظة السريعة انها نشرة محلية تختتم ببعض الاخبار العربية، وأحياناً الدولية، فمدة النشرة تتراوح بين ١٥ و٢٥ دقيقة. وقد تزيد او تنقص مدة النشرة دقائق قليلة تبعاً للأحداث. ومن خلال المراقبة تبين ان الاخبار غير المحلية لا تستغرق، في احسن الاحوال اكثر من ٤ دقائق في النشرة المسائية وأقل في النشرةين النهاريتين.

اذن، في الاطار العام لمضمون نشرات الاخبار في قناة فلسطين هناك غلبة طاغية للأخبار المحلية وهي تشمل بشكل اساسي: أخبار الرئيس محمود عباس وتغطية نشاطه، اخبار رئيس الوزراء أحمد قريع ورئيس المجلس الوطني ربحي فتوح، اخبار الاعتداءات الاسرائيلية على القرى والمدن الفلسطينية، المواقف المؤيدة للقضية الفلسطينية وزيارات الوفود الاجنبية. اما الاخبار العربية فتشمل اخبار العراق بشكل يومي ثم الاخبار

السورية المهمة وغيرها، والاخبار الدولية تكاد تكون شبه غائبة الا في ما ندر وكذلك اخبار المتفرقات والرياضة وما شابه.

# الأخبار في الزمن

في التحليل الكمي سنعتمد الوقت المحدد للخبر كوحدة قياس للأهمية اضافة الى موقعه في النشرة علما ان من المعروف ان كل ثانية في نشرة الاخبار توازي كلمتين مطبوعتين . وعليه سنورد عناوين الاخبار ومحتواها العام بحسب تسلسل ورودها في النشرة والوقت الذي استغرقته.

# ۲۶ کانون الثانی (ینایر)

#### × نشرة الساعة ١٢

- ١-نشاطات الرئيس محمود عباس: اتصال تهنئة من الرئيس الاسرائيلي موشيه كتساف –
   تأكيده حصول تقدم في الحوار الفلسطيني الفلسطيني: ٤,٣٠ د.
- ٢-الأمين العام لجامعة الدول العربية يؤكد طرح قضية فلسطين في قمة الجزائر العربية: ١
   دقيقة.
  - ٣-اخبار الاعتداءات الاسرائيلية اعتقالات واقتحامات في قرى ومدن فلسطينية: ٤ د.
    - ٤ استعدادات عند معبر رفح لعودة الحجاج الفلسطينيين: ١ د.
  - ٥-وزير خارجية سورية فاروق الشرع: القوات السورية قد تبقى في لبنان سنتين: ٤٠ ث.
    - ٦-أخبار العراق: أمن وتصريح للسفير الاميركي واستفتاء ياباني: ١د.
      - ٧-تصريح لجون قرنق عن الوضع السوداني: ٣٥ ث.
      - $\Lambda$  الرئيس الأوكراني يوشنكو يؤدي اليمين الدستورية:  $\Upsilon$  ث.

#### × نشرة الساعة ٣

اعادة لخبر اتصال كتساف بعباس ونشاط للأخير الذي زار عدداً من المؤسسات في غزة ومنها فضائية فلسطين والديوان العام واجتماعه مع لجنة تقويم الاعتداءات على الاملاك العامة ثم تأكيده على تقدم الحوار مع الفصائل الفلسطينية: ٦ دقائق.

تأكيد حركة «حماس» تقلص الخلاف مع عباس على لسان احد قيادييها: ١ د.

اعادة لخبر عمرو موسى: ١ د.

اعادة لخبر عودة الحجاج: ١ د.

اعتصام لأهالي المعتقلين امام مقر الصليب الأحمر في غزة: ٥٥ ث.

أخبار أمنية عن اعتقالات وعمليات دهم اسرائيلية جديدة: ٣ د.

الرئيس السوري بشار الأسد يبدأ اليوم زيارة لروسيا ويعلن ان مسألة شراء الصواريخ غير واردة: ٤٥ ث.

اعادة لتصريح الشرع عن الانسحاب من لبنان: ٤٠ ث.

اخبار عراقية أمنية وسياسية (الاستعداد للانتخابات): ٢,٣٠ د.

تصريح جون قرنق: ٣٥ ث.

طهران تحذر واشنطن من عمل عسكري ضد برنامجها النووي: ٣٠ ث.

#### × نشرة الساعة ٩

أخبار محمود عباس بدءاً باجتماعه مع اللجنة المكلفة ازالة الاعتداءات على الاملاك العامة واصدار توجيهاته ثم تفقده عدداً من المؤسسات وتصريح لعضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» عباس زكى يشيد بنجاح عباس، وتلقيه اتصالاً من كتساف: ٦ د.

اعادة لخبر تأكيد «حماس» تقلص الخلافات مع عباس: ١ د.

تشييع مواطن في بئر السبع كان أصيب برصاص اسرائيلي: ١ د.

أخبار أمنية جديد ومعادة: ٣ د.

حنان عشراوي تتقدم بشكوى الى الادارة الاميركية ضد تطبيق اسرائيل قانون املاك الغائبين على املاك المقدسيين في المدينة المقدسة: ١,٣٠ د.

قوات الاحتلال تجرف البساتين في سلفيت لاقامة جدار الفصل العنصري: ٣٠ ث.

اعتصام اهالي المعتقلين امام الصليب الاحمر في غزة: ٥٥ ث.

مسيرة لأهالي المعتقلين في خان يونس: ٥٥ ث.

اجتماع عمرو موسى مع وزير خارجية الجزائر تحضيراً للقمة العربية واعادة لتأكيد موسى ادراج قضية فلسطين: ١ د.

اعادة لخبر الرئيس السورى بشار الاسد: ٥٥ ث.

اعادة لخبر وزير الخارجية السوري فاروق الشرع: ٤٠ ث.

اعادة للأخبار العراقية: ٢,٣٠ د.

اعادة لخبر طهران تحذر: ٣٠ ث.

## ٢٥ كانون الثاني (يناير)

#### × نشرة الساعة ١٢

- ١- اجتماع محمود عباس مع لجنة ازالة التعديات على الاملاك العامة في غزة التي بدأت عملها
   وتصريحات مؤيدة للعملية. وتقرير عن العملية مع اعادة موجزة لجولة عباس في اليوم السابق: ٦ د.
- ٢- وزير الخارجية المصري احمد ابو الغيط يلتقي مندوب فلسطين في الأمم المتحدة ناصر القدوة: ١ د.
  - ٣- تصريحات ضد تطبيق قانون املاك الغائبين في القدس: ٥٥ ث.
    - ٤- ترحيب أردني بالحوار الفلسطيني: ٥٥ ث.
    - ٥- اخبار امنية: اعتقالات واقتحامات وتشييع شهيد: ٢ د.
      - ٦- اعادة لخبر اعتصام اهالي المعتقلين: ٤٥ ثانية.
        - ٧- اعادة لخبر لقاء موسى بلخادم: ١ د.
    - اخبار عراقية أمنية: مقتل قاض عراقي و٦ جنود اميركيين: ٢ د.
  - تصريح لوزير خارجية بريطانيا جاك سترو عن الملف النووي الايراني: ٣٠ ث.
    - ارتفاع حصيلة ضحايا تسونامي الى ٢٨٠ ألف قتيل: ٣٠ ث.

#### × نشرة الساعة ٣

اجتماع محمود عباس ورئيس الوزراء أحمد قريع في شأن الحكومة والتطورات: ٢ د.

اعادة لخبر ازالة التعديات في غزة واجتماع عباس مع اللجنة المشرفة: ٣ د.

دعوة وزير شؤون المفاوضات صائب عريقات المجتمع الدولي الى التدخل لوقف جدار الفصل، ولقاءات عربقات: ١,٢٠ د.

اعلان وزارة الخارجية الاميركية عن وصول مساعد وزير الخارجية الى المنطقة: ١ د.

اعادة للقاء ابو الغيط - القدوة: ١ د.

اعادة تصريحات ضد قانون املاك الغائبين: ٥٥ ث.

اخبار أمنية (اعادة): ٢ د.

اجتماع موسى - بلخادم (اعادة): ١ د.

تصريح للرئيس السورى بشار الاسد في موسكو عن الوضع في المنطقة: ٥٥ ث.

اعادة للأخبار الامنية العراقية: ٢ د.

اعادة لخبر وزير الخارجية البريطاني: ٣٠ ث.

اعادة لخبر تسونامى: ٣٠ ث.

## × نشرة الساعة ٩

اسرائيل تسلم الجانب الفلسطيني جثة شهيد كان استشهد بنيران قوات الاحتلال: ٣٠ ث.

اجتماع عباس - قريع (اعادة): ٢ د.

قريع يستقبل سفير النروج لدى السلطة: ٢٥ ث.

اعادة لخبر عريقات: ١,٣٠ د.

خبر وتقرير عن الانتخابات المحلية في ١٠ دوائر في قطاع غزة مع تصريح لرئيس اللجنة العليا للانتخابات وتقرير ميدانى: ٥ د.

اعادة مختصرة لخبر ازالة التعديات على الاملاك العامة: ١ د.

اعادة للتصريحات ضد قانون املاك الغائبين: ٥٥ ث.

اخبار امنية جديدة ومعادة: ٢ د.

اعادة للقاء ابو الغيط - القدوة: ١ د.

اعادة لخبر زيارة بيرنز: ١ د.

بيان مشترك عن الرئيسين السوري والروسي في ختام زيارة الاولى لموسكو يدعو الى استئناف

مفاوضات السلام في الشرق الاوسط: ٥٥ ث.

اخبار عراقية: ٢,٤٠ ث.

اعادة لخبر كارثة تسونامي: ٣٠ ث.

# ٢٦ كانون الثاني (يناير)

#### × نشرة الساعة ١٢

استشهاد طفلة عمرها ٣ سنوات برصاص اسرائيلي على منازل المواطنين في منطقة البركة دير البلح: ١٥ ث.

أعلنت اذاعة اسرائيل ان رئيس الوزراء آرييل شارون قرر استئناف المفاوضات مع القيادة

الفلسطينية: ٣٠ ث.

اعادة لخبر الانتخابات المحلية مع التقرير الميداني: ٥ د.

وفد من البلديات الفرنسية يزور قناة فلسطين: ٢٠ ث.

اعادة مختصرة لخبر ازالة التعديات: ١ د.

اخبار امنية واعتداءات اسرائيلية: ٢ د.

اجتماع الرئيس المصري حسنى مبارك مع مساعد وزير الخارجية الاميركية وليم بيرنز: ١ د.

الجامعة العربية تستنكر قرار اسرائيل ضم المستوطنات الواقعة ضمن نطاق جدار الفصل: ١

د.

اعادة لخبر الرئيسين السورى والروسى من اليوم السابق: ٥٥ ث.

اخبار عراقية: ٢,٣٠

خبر عن ضحايا التدافع في معبد هندوسي في الهند: ٣٠ ث.

#### × نشرة الساعة ٣

اعادة لخبر استشهاد طفلة في منطقة البركة: ١٥ ث.

عباس يستقبل المبعوث الاوروبي الى عملية السلام مارك اوتى وممثل كندا لدى السلطة: ١,٣٠

د.

أحمد قريع يستقبل المبعوث الاوروبي، ورئيسة البرلمان الكولومبي سليمة حاتم: ١,٣٠.

رئيس المجلس التشريعي روحي فتوح يستقبل رئيسة البرلمان الكولومبي: ١ د.

استأنف الجانبان الفلسطيني والاسرائيلي اتصالاتهما السياسية: ٥٥ ث.

يعقد الجانبان الفلسطيني والاسرائيلي اجتماعاً اليوم لمناقشة انتشار قوات الامن الفلسطينية جنوب غزة: ٣٠ ث.

اعادة خبر ازالة التعديات مع تفاصيل جديدة: ٣٠ ث.

اعادة لخبر استنكار الجامعة العربية ضم اسرائيل المستوطنات: ١ د.

اعادة لخبر اجتماع مبارك - بيرنز: ١ د.

اعادة لخبر الانتخابات مع التقرير: ٥ د.

اعادة للأخبار الامنية والاعتداءات الاسرائيلية مع اخبار جديدة: ١,٣٠.

اعادة لخبر الرئيسين السورى والروسى: ٥٥ ث.

العراق: رئيس الوزراء البريطاني توني بلير يعلن ان قوات الاحتلال ستبدأ تسليم اجراءات الامن للعراقيين بعد الانتخابات – اخبار امنية: ٢ د.

اعادة لخبر التدافع في معبد هندوسي في الهند: ٣٠ ث.

#### × نشرة الساعة ٩

تشييع شهيد في قلقيلية اغتالته اسرائيل واعتقلت رفيقيه واعادة لخبر استشهاد الطفلة برصاص اسرائيلي وآخر بانفجار قنبلة من مخلفات الاحتلال: ١,٣٠٠.

ادانة الرئيس عباس الاعتداءات الاسرائيلية وتحميله اسرائيل المسؤولية: ١ د.

عباس يتسلم تقريراً من اللقاءات مع الاسرائيليين بحضور قريع: ١,٣٠.

عباس يستقبل المبعوث الاوروبي مارك اوتي الذي زار ايضاً قريع وأدلى بتصريحين بعد اللقاءين. واستقبل عباس رئيسة البرلمان الكولومبي سليمة حاتم: ٢ د.

تسلم عباس رسالتي مسعود البرزاني وجرفان البرزاني خلال استقباله رئيس جمعية الصداقة العربية - الكردية: ١ د.

استقبل عباس وفداً من المعوقين: ٣٠ ث.

استقبل قريع رئيسة البرلمان الكولومبي سليمة حاتم: ٣٠ ث.

اعادة لاجتماع روحى فتوح مع حاتم: ٢٥ ث.

اخبار الاعتداءات الاسرائيلية، جديدة ومعادة: ٤ د.

اعادة مختصرة لخبر ازالة التعديات: ١ د.

اعادة لخبر لقاء مبارك - بيرنز: ١ د.

اخبار امنية عراقية: ١,٣٠ د.

خبر توني بلير (اعادة): ٢٥ ث.

# ٢٧ كانون الثاني (يناير)

## × نشرة الساعة ١٢

استشهاد أسير في سجن مجدو في حريق، وآخر امس في انفجار قنبلة من مخلفات الاحتلال: ١ د. عباس يبدأ اليوم زيارة للاردن في جولة تشمل مصر وتركيا وروسيا: ٥٥ ث.

تسلم عباس امس تقريراً عن اللقاءات مع الجانب الاسرائيلي (اعادة): ١,٣٠ د.

اعادة لخبر استقبال عباس ثم قريع المبعوث الاوروبي مارك اوتى: ١,٣٠.

عباس يلقى كلمة في مؤتمر اتحاد المعوقين: ١ د.

خبر عن الانتخابات المحلية اليوم وتقرير: ٣,٣٠ د.

اخبار الاعتداءات الاسرائيلية وتشييع الشهداء: ٢,٣٠ د.

دان الأمين العام المساعد لاتحاد المحامين العرب عمر زين قرار اسرائيل تطبيق قانون املاك الغائب على القدس وتصريح لنقيب المحامين الفلسطينيين في المعنى نفسه: ١ د.

تكتل الجمعيات الاهلية اللبنانية يدين ممارسات الاحتلال: ٥٥ ث.

اعلان النائب العام ان الجميع امام القانون سواء، اثر قيام احدى العائلات بقطع طريق بعد مقتل احد ابنائها في خلاف عائلي في غزة: ١,١٠ ث.

الوضع الامنى في العراق: ٥٥ ث.

#### × نشرة الساعة ٣

عباس يتوجه الى الاردن، وكان استقبل مساعد وزير الخارجية الاميركي وليم بيرنز وشرح له الخطوات التي اتخذها السلطة الفلسطينية لضبط الامن. وأكد بيرنز دعم اميركا للخطوات التي اتخذها عباس. كما استقبل عباس المستشار الخاص لرئيس الوزراء البريطاني سايغل شنوورد: ٣ د.

اجتمع رئيس الوزراء احمد قريع مع بيرنز: ٥٠ ث.

اجتماع مجلس الامن القومي في رام الله برئاسة احمد قريع: ١ د.

استشهاد طفل فلسطيني في رام الله بانفجار جسم مشبوه، واعادة لخبر استشهاد سجين في سجن مجدو واستنكار وزير شؤون الاسرى والمعتقلين تباطؤ قوات الاحتلال في اخماد الحريق: ٢ د.

اعادة لخبر الانتخابات: ٣ د.

تشييع الشهيد ماهر ابو سنينة (اعادة): ٣٠ ث.

اخبار امنية: حصار بلدة صيدا، اقتحام مخيم بيت الماء واعتقال مواطن: ٢ د.

اعادة لخبر الامين العام المساعد لاتحاد المحامين العرب: ٤٥ ثانية.

اعادة لخبر الجمعيات الاهلية اللبنانية: ٥٥ ث.

اعادة لخبر النائب العام: ٥٥ ث.

الوضع الامنى في العراق: ١ د.

#### × نشرة الساعة ٩

استشهاد طفل وسجين (اعادة) واستشهاد مواطن من مخيم البريج برصاص اسرائيلي: ٢ د.

اجتماع الرئيس محمود عباس مع الملك الاردني عبدالله في عمان والبحث في التطورات وخطوات

السلطة الفلسطينية لحفظ الامن والنظام واعلان عبدالله دعم السلطة: ٢ د.

اعادة لخبر استقبال عباس وليم بيرنز: ١,٣٠ د.

اجتماع مجلس الامن القومي في رام الله (اعادة): ١ د.

اعادة لخبر اجتماع قريع - بيرنز: ٥٠ ث.

خبر عن اجراء الانتخابات المحلية في اجواء ديموقراطية وتقرير ميداني: ٥ د.

اخبار الاعتداءات الاسرائيلية: ١ د.

وزارة الأسرى والمحررين تكرم ابناء الاسرى: ٥٥ ث.

تصريح للرئيس السوري بشار الاسد في ختام زيارته لموسكو حذريه من ان ما يجري في الشرق

الاوسط قد يؤدي الى تفكك بعض دول المنطقة: ٥٥ ث.

خبر العراق: ٢,٢٥ د.

# ٢٨ كانون الثاني (يناير)

### × نشرة الساعة ٣

١ - اعادة لخبر اجتماع الرئيس محمود عباس مع الملك عبدالله في الاردن من اليوم السابق: ٢ د.

٢- اعادة لخبر استقبال عباس قبل مغادرته الى الاردن مساعد وزير الخارجية الاميركية وليم
 بيرنز: ١,٣٠.

٣- تلقى عباس في عمان اتصالاً من وزيرة الخارجية الاميركية الجديدة كوندوليزا رايس: ٣٠ ث.

3- انتشار قوات الامن الفلسطينية في جنوب غزة - مع تقرير:  $7,7^{\circ}$  د.

٥- امر رئيس هيئة الاركان الاسرائيلي موشي يعلون بوقف كل العمليات في قطاع غزة بعد انتشار قوى الامن الفلسطينية: ٥٤ ث.

٦- اعلان نتائج الانتخابات المحلية: ٢,٣٠.

٧- اعادة لاجتماع مجلس الامن القومي في رام الله مع اضافة قرار قريع منع السلاح غير
 المرخص: ٥٥ ث.

٨- اعادة لخبر اجتماع قريع مع مساعد وزير الخارجية الاميركي وليام بيرنز: ٣٠ ث.

٩- اعادة للأخبار الامنية من اليوم السابق: ٢ د.

١٠ – اعادة لخبر تكريم ابناء الاسرى: ٥٥ ث.

١١ – اعتبر جون زوكارد المقرر الخاص في الامم المتحدة في مجال حقوق الانسان ان هدم منازل
 الفلسطينيين يشكل جرائم حرب خطيرة: ٣٠ ث.

١٢ – اعادة لخبر الرئيس السوري بشار الاسد في روسيا: ٥٥ ث.

١٣ – الملف العراقي: ٢,١٥ د.

#### × نشرة الساعة ٩

وصول الرئيس محمود عباس الى القاهرة للقاء الرئيس حسني مبارك وتصريح لمندوب فلسطين في القاهرة محمد صبيح حول الزيارة: ٢,٣٠ د.

تصريح للواء الركن ربحي عرفات قائد الارتباط العسكري والقوات الحدودية عن انتشار قوات الامن الفلسطيني في قطاع غزة من اجل حفظ الامن وهيبة السلطة معرباً عن امله في التزام الاسرائيليين تقديم التسهيلات وفتح المعابر. مع اعادة لخبر انتشار قوات الامن وتقرير ميداني عنها: ٤,٣٥ د.

اعلان نتائج الانتخابات المحلية (اعادة): ٢,٣٠ د.

تشييع شهيد في بيت لحم: ٣٥ ث.

استمرار فرض حظر التجول على بلدة صيدا واعتقال شابين: ٥٠ ث.

تظاهرة في سلفيت ضد جدار الفصل العنصري تخللتها اشتباكات مع قوات الاحتلال: ١,٣٠ د. مجموعة نسوية اسرائيلية تحتج على ممارسات قوات الاحتلال عند الحواجز العسكرية: ٤٥ ث.

نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي شيمون بيرنز يعرب عن تفاؤله من دافوس بنتائج الاجتماع المرتقب بين عباس وآرييل شارون. ووزير التجارة ايهودا اولمرت يعلن الاسعداد لتحويل المنطقة الصناعية عند معبر ارتيز منطقة صناعية فلسطينية. واعادة لخبر موشي يعلون عن وقف العمليات العسكرية في قطاع غزة: ١,٤٥ د.

خبر عن بدء العراقيين للانتخابات في الخارج واعادة للأخبار الامنية: ٣ د.

# ٢٩ كانون الثاني (يناير)

× نشرة الساعة ١٢

محادثات بين الرئيس محمود عباس والرئيس المصري حسنى مبارك في القاهرة تتناول آخر

التطورات واجراءات السلطة الفلسطينية لضبط الامن، وكذلك استئناف عملية السلام والدعم المصري للسلطة واعادة لتصريح محمد صبيح: ٣,٣٠ د.

انجاز انتشار ٢٠٠٠ عنصر من قوات الامن في قطاع غزة وتصريح للعميد محمد رجب: ٣ د.

اعادة لخبر اعلان نتائج الانتخابات المحلية: ٣ د.

استشهاد مواطن بالرصاص الاسرائيلي في خان يونس واستمرار الحصار على بلدة صيدا شمال طولكرم: ١,٣٠ د.

تظاهرة احتجاجية على جدار الفصل في سيلفيت (اعادة): ١,٣٠ د.

شخصيات مقدسية تدعو المجتمع الدولي الى وقف الاجراءات الاسرائيلية لتهويد املاك المقدسيين في المدينة المقدسة: ١ د.

دعت الحركة الاسرائيلية ضد هدم المنازل الى فرض عقوبات على اسرائيل: ١,٣٠ د.

اعادة لخبر شيمون بيرز في دافوس: ١,٤٥ د.

خبر عن الانتخابات العراقية والاخبار الامنية: ٣ د.

#### × نشرة الساعة ٣

اعادة لخبر محمود عباس في القاهرة: ٣ د.

رئيس الوزراء احمد قريع يصل الى غزة لاجراء محادثات تتعلق بتشكيل الحكومة الجديدة بعدما اعاد عباس تكليفه. وتصريح لمدير مكتب عباس حسن ابو لبدة عن اللقاء المرتقب بين عباس وآرييل شارون. كذلك تصريح لوزير شؤون المفاوضات صائب عريقات عن لقائه قريباً مستشار شارون: ٢ د.

اعادة لخبر بيريز واولمرت ويعلون: ١,٤٥ د.

جلسة للمجلس التشريعي في غزة ورام الله ومناقشة مجموعة من مشاريع القوانين: ١ د.

اعادة لخبر انتشار قوات الامن في غزة: ٣ د.

تصريح لمثل الهند لدى السلطة الوطنية يدعم فيه الشعب الفلسطيني: ٥٥ ث.

اعادة لخبر استشهاد مواطن في خان يونس وتشييعه: ٣٠ ث.

جيش الاحتلال الاسرائيلي يقتحم محطة الارسال التلفزيوني في بلدة كفرراعي واستمرار حصار صيدا: ١,٣٠ د.

المركز الفلسطيني لحقوق الانسان يشيد بسير الانتخابات: ٥٥ د.

اعادة لخبر الحركة الاسرائيلية ضد هدم المنازل: ١,٣٠ د.

اعادة لخبر شخصيات مقدسية: ١ د.

العراق: خبر عن الانتخابات وأمنيات: ٢,١٥ د.

#### × نشرة الساعة ٩

استشهاد مواطن في خان يونس نتيجة جروح اصيب بها قبل شهر، كما عثر على شهيد آخر عند العابر: ٣٠ ث.

اعادة لخبر محادثات عباس مع الرئيس المصري في القاهرة: ٣ د.

اكد احمد قريع ان المشاورات مستمرة مع الرئيس عباس لتشكيل الحكومة الجديدة. (حديث خاص لقناة فلسطين): ٢,٣٠.

اعلن وزير شؤون المفاوضات صائب عريقات انه سيلتقي هذا الاسبوع مستشار آرييل شارون. واجتمع محمد دحلان مع وزير الدفاع الاسرائيلي شاوول موفاز لبحث الانسحاب الاسرائيلي من مدن الضفة الغربية: ٢,٣٠٠ د.

اعادة لخبر اجتماع المجلس التشريعي في غزة ورام الله: ١ د.

تجتمع غداً في مقر الجامعة العربية في القاهرة الدورة الثالثة والسبعون لمؤتمر المشرفين على شؤون اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية وتصريح لعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية زكريا الآغا عن اعمال الدورة: ١,٣٠ د.

اعادة لخبر ممثل الهند لدى السلطة: ٥٥ ث.

ترحيب رئيس بلدية بيت لحم بنية المنتدى الاقتصادي العالمي عقد اجتماعه في بيت لحم مستقبلاً: ١ د.

خبر تشييع شهيد في خزاعة: ٣٠ ث.

قوات الاحتلال تعتقل ٤ مواطنين في الخليل: ٥٥ ث.

اعادة لخبر اقتحام محطة الارسال التلفزيوني في بلدة كفرراعي واستمرار حصار صيدا: ١,٣٠ د.

اعتصام تضامني مع الاسرى في الخليل: ٥٥ ث.

المواطنون في رفح يرحبون بانتشار قوات الامن: ١,٣٠ د.

اخبار العراق: انتخابات وأمن: ٢,٣٠ د.

# ٣٠ كانون الثاني (يناير)

#### × نشرة الساعة ١٢

تصريح للرئيس محمود عباس للتلفزيون المصري خلال زيارته القاهرة اكد فيه ان الجانب المصري يلعب دوراً كبيراً في احلال السلام بين الفلسطينيين والاسرائيليين. واعادة لخبر محادثات عباس مع الرئيس المصرى حسنى مبارك: ١ د.

زيارة رئيس الوزراء احمد قريع لقناة فلسطين الفضائية في غزة: ٢,٣٠ د.

اكد قريع ان لقاء دحلان – موفاز (أمس) كان ايجابياً: ٢,٣٠ د.

اعادة لخبر قريع عن المشاورات لتشكيل الحكومة الجديدة التي ستشهد تغييرات: ١,٣٠ د.

اعادة لخبر صائب عريقات: ٢,٣٠ د.

اعادة لخبر اجتماع المجلس التشريعي: ١ د.

اجتماع وزير الشؤون الخارجية نبيل شعث مع وزير الخارجية السوري فاروق الشرع في دمشق: ٣٥ ث.

تشييع شهيد في خان يونس وآخر في خزاعة (اعادة): ٤٥ ث.

اقتحام محطة الارسال في كفرراعي: ١,٣٠ د.

المواطنون في رفع يرحبون بانتشار قوات الامن (اعادة): ١ د.

الاخبار العراقية: انتخابات وأمن: ١,٣٠ د.

رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية محمد البرادعي يتحدث عن تعاون ايراني: ١ د.

اول رحلة طيران بين الصين وتايوان منذ ٥٠ عاماً: ٣٠ ث.

وفاة طفلة في فيتنام بأنفلونزا الطيور: ٣٠ ث.

#### × نشرة الساعة ٣

استشهاد مواطن في بلدة الشوكة - رفح برصاص اسرائيلي: ٣٠ ث.

اعادة لخبر محمود عباس في القاهرة: ١ د.

زيارة احمد قريع لوزارة العدل وتأكيده على استمرار الاصلاح الشامل: ١,٣٠ د.

اعادة لزيارة خبر قريع لفضائية فلسطين: ٢,٣٠ د.

خبر مفصل عن اجتماع الجانبين الفلسطيني والاسرائيلي الليلة الفائتة وتصريح لقريع عن نتائج الاجتماع: ٣ د.

اعادة لاجتماع وزير الشؤون الخارجية نبيل شعث مع نظيره السوري فاروق الشرع: ٣٥ ث.

المجلس التشريعي يواصل جلساته وتصريح لرئيسه روحي فتوح: ١ د.

اعادة لخبر الدورة ٧٣ لمؤتمر المشرفين على شؤون اللاجئين: ١,٣٠ د.

ترحيب في رفح بانتشار قوات الامن: وفتح معبر التفاح: ١,٤٥.

اطلاق نار اسرائيلي على المواطنين في جنوب رفح واصابة مواطن واعتقال ٣: ١ د.

انطلاق الانتخابات العراقية وأخبار امنية: ٣ د.

اعادة لخبري البرادعي: ١ د.

اعادة لخبر الصين – تايوان: ٣٠ ث.

#### × نشرة الساعة ٩

اعادة لخبر استشهاد مواطن في بلدة الشوكة برصاص اسرائيلي: ٣٠ ث.

وصول الرئيس محمود عباس الى العاصمة الروسية موسكو في زيارة رسمية: ١ د.

اجتماع رئيس الوزراء احمد قريع مع لجنة المتابعة للقوى الوطنية الاسلامية للبحث في ترتيبات الوضع الداخلي. وتصريح لعباس وآخر لنافذ عزام القيادي في حركة الجهاد الاسلامي: ٣,٣٠ دقائق.

اعادة لخبر زيارة قريع لوزارة العدل وتذكير بزيارته قناة فلسطين: ٣,٣٠ د.

اجتماع للجانبين الفلسطيني والاسرائيلي تحضيراً للقاء عباس – شارون وتصريح عنه لقريع: ١.٣٠ د.

لقاء عباس مع المبعدين المفرج عنهم من اسرائيل وتصريح لوزير شؤون الأسرى حول الموضوع: ١٠٣٠ د.

ارتياح في خان يونس لانتشار قوات الأمن وجولة لرئيس البلدية وتصريح: ١,٤٥ د.

تشییع شهید في خان یونس: ۲۰ ث.

مخطط اسرائيلي للاستيلاء على اراضي قرية الجيب قرب القدس واستيلاء على اراض قرب الخليل واعتقال مواطن جنوب الخليل: ١,٣٠ د.

تشديد الاجراءات الامنية على قرى ومدن الضفة واعتقالات: ١ د.

بدء اعمال مؤتمر المشرفين على شؤون اللاجئين في القاهرة: ١ د.

اعادة لخبر اجتماع شعث - الشرع: ٣٥ ث.

اعادة لخبر اجتماعات المجلس التشريعي: ١ د.

اعادة لخبر اطلاق النار على المواطنين في جنوب رفح: ١ د.

انطلاق الانتخابات العراقية وأخبار امنية: ٣ د.

اعادة لخبر البرادعي: ١ د.

اعادة لخبر الصين - تايوان: ٣٠ د.

## نتائج

لدى التدقيق في توزيع الاخبار على النشرات والوقت المعطى للأخبار نصل الى النتائج الآتية:

الحيز الأكبر من المساحة الزمنية مخصص للأخبار الفلسطينية الداخلية أي ما يوازي أو يزيد على ٨٠ في المئة، بشكل عام، من زمن النشرات الاخبارية، والعشرون في المئة المتبقية مخصصة للاخبار العربية في معظمها، وفي احيان نادرة للأخبار العالمية.

من ضمن الاخبار المحلية، الأولوية هي للأخبار الرسمية، أي اخبار الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس الوزراء احمد قريع، ترتيباً ومدة.

لا يكسر اولوية اخبار الرئيس عباس، والاخبار الرسمية الا اخبار استشهاد المواطنين الفلسطينيين على يد قوات الاحتلال الاسرائيلي.

تفرد النشرات حيزاً واسعاً لأخبار الاعتداءات الاسرائيلية على المدن والبلدات الفلسطينية، وهي الاولوية الثانية.

لا حيز لأخبار الفصائل الفلسطينية الاخرى ك«حماس» و«الجهاد» وغيرهما، الا ما كان على علاقة بالسلطة كالحوار الفلسطيني – الفلسطيني او الانتخابات.

الاخبار العربية هي الخبر العراقي اولاً، تليه الاخبار العربية الاخرى، وهي قليلة، فخلال الاسبوع موضوع الدراسة وردت اخبار زيارة الرئيس السوري بشار الاسد لموسكو وتصريح لوزير خارجيته فاروق الشرع عن الانسحاب من لبنان، وأخبار ذات علاقة بالفلسطينيين مصدرها بيروت، وخبر عن جون قرنق، فيما لم ترد أي اخبار عربية لا عن مصر ولا عن دول المغرب العربي ولا عن دول الخليج... وعلماً ان كثيراً من هذه الدول كان يشهد احداثاً مهمة.

غياب الاخبار الاسرائيلية وتصريحات رئيس الوزراء الاسرائيلي آرييل شارون عن الحوار مع السلطة وعن عباس الا مرة واحدة خلال الاسبوع، وكذلك الحملة الاسرائيلية على سورية، علماً ان هذه الاخبار والمواقف كانت من الاخبار الرئيسية في الصحافة العربية والتلفزيونات العربية والعالمية في الفترة نفسها موضوع الدراسة.

غياب المواقف والتصريحات الاميركية المتعلقة بالسياسة الدولية وبالوضع في العراق وفي لبنان وغيرهما. حتى جورج بوش كان غائباً كلياً عن نشرات الاخبار.

وفي الجانب المهني، يمكن ملاحظة بعض الاختلافات المهنية بين نشرة وأخرى، خصوصاً لجهة توزيع الاخبار على النشرة.

ان مصدر الاخبار المحلية هو التغطية الميدانية لمراسلي المحطة، وهي في غالبيتها اخبار مصورة، خصوصاً اخبار الرسميين، اما الاخبار الخارجية فتعتمد اعتماداً كلياً على الوكالات العالمية الكبرى.

#### التحليل النوعى

في التحليل النوعي لمضمون اخبار قناة فلسطين لا بد من التمييز بداية بين الاخبار المحلية الفلسطينية وبين الاخبار العربية والدولية، ويتبين من خلال قراءة هذه الاخبار ان هناك قواسم مشتركة في صياغة هذه الاخبار، ونقاط اختلاف ايضاً.

الاخبار الخارجية، وهي بمعظمها عربية، منتقاة، كما يبدو، ليس بحسب اهميتها الداخلية للبلد العربي المعني، بل بحسب اهميتها الاقليمية والدولية كأخبار العراق وبعض اخبار سورية وايران والسودان. والملاحظ ابتعاد القناة عن اخبار الصراعات الداخلية في البلدان العربية وحتى عن اخبار الخلافات العربية، ويبدو ان هذا الابتعاد هو سياسة متخذة بقرار سياسي من قيادة السلطة الفلسطينية التي تريد ان تنأى بنفسها عن الصراعات العربية. فاذا اضفنا ذلك الى المدة المحدودة المخصصة للأخبار العربية يمكن الاستنتاج بوضوح ان الخبر الخارجي ليس له اولوية، حتى اننا لم نلحظ أي خبر عربي خلال مرحلة الدراسة في مقدمة النشرة ولا حتى في وسطها. دائماً في نهاية النشرة، الاولوية هي دائماً للخبر المحلي اياً كانت اهميته.

في الجانب المهني تبدو صياغة الخبر العربي او الخارجي محايدة، وعلى الارجح كما تنقلها وكالات الانباء العالمية، ولا تتدخل القناة لا شرحاً ولا اضافة على الخبر، ولا تذكيراً بالخلفيات. فقط تتدخل في الاختصار. ويمكن ملاحظة ذلك خصوصاً في الخبر العراقي الحاضر في كل النشرات على مدى اسبوع الدراسة. وحتى هذا الخبر (العراقي) الحاضر دائماً، حاضر بتفاصيله الامنية بشكل عام، فلا يدخل في التفاصيل العراقية الشيعية والسنية والكردية، ولا مكان لأبي مصعب الزرقاوي فيه ولا لتنظيم «قاعدة الجهاد». هو خبر يعدد العمليات ويحصي القتلى ويقدم التصريحات والمواقف العالمية المتعلقة بالشأن العراقي. كما يقدم (خلال فترة الدراسة) معلومات عامة عن الانتخابات العراقية.

في ما يأتى نماذج حرفية لبعض الاخبار العربية، تؤكد التحليل السابق.

«دعا الرئيسان الروسى فلاديمير بوتين والسورى بشار الاسد في بيان مشترك الى استئناف مفاوضات

السلام في الشرق الاوسط من دون فرض شروط مسبقة على الجانب الفلسطيني والسوري واللبناني. وأكد الطرفان ان استئناف المفاوضات من دون شروط مسبقة يسمح بالمضي قدماً على طريق حل شامل وعادل. وأكد بيان صادر عن الرئيسين بعد لقائهما في موسكو اليوم ان الوصول الى هذه التسوية يحتم على اسرائيل الانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، كما استند البيان الى ما نصت عليه «خريطة الطريق» من الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ واقامة الدولة الفلسطينية» (٢٥ كانون الثاني نشرة الساعة ٩).

«اجتمع الرئيس المصري حسني مبارك في القاهرة اليوم مع السيد وليم بيرنز مساعد وزير الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط. وتركز الاجتماع حول سبل استئناف عملية السلام في الشرق الاوسط اضافة الى عدد من القضايا التي تهم البلدين. وكان بيرنز وصل اليوم الى القاهرة في زيارة لمصر في بداية جولة في دول المنطقة تشمل ايضاً فلسطين واسرائيل» (٢٦ كانون الثاني نشرة الساعة ٢).

«اعلن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ان قوات التحالف ستبدأ تسليم اجراءات الامن في العراق الى السلطات العراقية بعد انتخابات ٣٠ كانون الثاني. وقال في مقابلة صحافية ان الحكومتين الاميركية والبريطانية ستحددان جدولاً لنقل مسؤوليات الامن على الاقل في المناطق الاقل توتراً» (٢٦ كانون الثاني نشرة الساعة ٣).

«في الشأن العراقي قتل سبعة عراقيين وأصيب ثلاثة آخرون اليوم في انفجار وقع في مدينة كركوك شمال العاصمة بغداد. وقال ناطق باسم الشرطة العراقية ان سيارتين مفخختين انفجرتا قرب مركز شرطة في سوق حي الرياض مما ادى الى مقتل سبعة عراقيين وجرح ثلاثة آخرين. وأشار الى انفجار سيارة لدى مرور قافلة اميركية بين كركوك والحويجة ولم تعرف الخسائر. وفي أكبر خسارة مني فيها الجيش الاميركي منذ غزو العراق لقي ثلاثون جندياً اميركياً مصرعهم اثر سقوط مروحيتهم اليوم في غرب العراق. وقالت شبكة CNN انه لم يتضح بعد اذا كان الامر نتيجة حادث او عملية هجومية. كما اعلن جيش الاحتلال الاميركي في بيان له عن مقتل خمسة جنود مارينز في ما سماه عمليات قتالية ضد مجموعات ارهابية في محافظة الانبار. وأعلن بيان عسكري آخر اصابة سبعة جنود اميركيين في انفجار عبوتين مفخختين على طريق مطار بغداد الدولي» (٢٦)

«الى الملف العراقي حيث اعلنت الشرطة العراقية اليوم ان شرطياً عراقياً قتل اليوم في شرق كركوك. وأفاد مصدر في الشرطة ان اربعة اشخاص قتلوا وجرح واحد بانفجار في الدورة. وكان الجيش الاميركي اعلن امس ان جندياً قتل في محافظة ديالي شمال بغداد متأثراً بجروح اصيب بها. وبهذا يصل عدد القتلى الاميركيين في العراق خلال الساعات القليلة الماضية الى ٣٩ قتيلاً. من جهتها اعلنت وزارة الدفاع الاسترالية ان عدداً من الجنود الاستراليين جرحوا في هجوم تعرضوا له امس في بغداد. (٢٨ كانون الثاني الساعة ٩).

«بدأ آلاف العراقيين في الخارج اليوم الاقتراع في ١٤ دولة. وجرت اولى الانتخابات في استراليا» (تقرير) ٢٨ كانون الثاني الساعة ٩).

على هذا المنوال تأتي الاخبار العراقية والعربية والدولية، مترافقة مع صور تبثها وكالات الانباء الدولية. وهي وإن كانت تبدو محايدة الى أبعد الحدود في اسلوب صياغتها والكلمات والتعبيرات المستخدمة، الا انها تسقط عناصر الجدل والخلاف والتوتر، وكأنها تساير واقعاً، او تحاول تجنب الوقوع في مطب التدخل وتحاذر الانحياز.

## نموذجية الإعلام الرسمى

بالانتقال الى الاخبار الفلسطينية المحلية التي تشكل العصب الاساسي للنشرة وتحتل الحيز الاكبر من وقتها نرانا امام صورة نموذجية للاعلام الرسمي العربي ذات خصوصية نابعة من خصوصية الوضع الفلسطيني.

والنشرة بشكل عام توحي بهويتها، فهي نشرة السلطة الفلسطينية، ويظهر ذلك واضحاً من خلال الاخبار المختارة (اخبار اهل السلطة)، ومدتها وتسلسلها في النشرة. واذا كانت النشرة تبتعد عن التحليل والمناقشة والتحليل والتفسير، كما هي حال الاعلام المعاصر، فإنها تلجأ الى استخدام الكلمات والتعابير ذات الدلالة والتقارير الموجهة لمصلحة السلطة الفلسطينية وسياستها واجراءاتها، ويمكن القول ان نشرة اخبار قناة فلسطين هي نشرة اخبار مستقلة — متصلة في آن. مستقلة اذ لا ربط تحريرياً يجمعها فكل خبر مستقل عن الآخر، ومتصلة بكونها جميعها تتناول شأناً واحداً هو الشأن الفلسطيني في واقع معاناته وصراعه السياسي والعسكري في آن.

سبقت الاشارة الى ان اخبار الرئيس محمود عباس تحتل رأس النشرة، الا اذا سبقتها اخبار استشهاد المواطنين الفلسطينيين في الاعتداءات الاسرائيلية. وكمثال في نشرة الساعة التاسعة من يوم ٢٤ كانون الثاني تحتل اخبار عباس مقدمة النشرة، وتتسلسل حسب الترتيب الآتي: ١ – «اجتمع السيد محمود عباس مع اللجنة المكلفة تقويم التعديات على الممتلكات العامة في غزة وأصدر توجيهاته لتنفيذ القرارات بما فيه المصلحة العامة...». (يبدو واضحاً هنا ابراز حرص عباس على المصلحة العامة). ٢ – زيارة عباس لمقر فضائية فلسطين ودعوته الى التطوير والاهتمام باعطاء الفرصة لجميع الفئات للتعبير عن رأيها (ديموقراطية عباس) ويلي الزيارة تقرير يتحدث فيه عضو اللجنة المركزية لـ«فتح» عباس زكي عن ان «نجاح عباس هو نجاح لشعبنا ومؤسساتنا وان مسيرة الاصلاح مستمرة على كل الصعد». ٣ – زيارة عباس لديوان الموظفين وتشديده على ضرورة تطوير ادائه (بعد اصلاحي للزيارة). ٤ – «اكدت حركة «حماس» ان الخلافات تقلصت بينها وبين

الرئيس محمود عباس في خصوص التوصل الى اتفاق هدنة مع الجانب الاسرائيلي وقال مشير المصري الناطق باسم الحركة في غزة ان الخلافات تقلص في موضوع الوضع الداخلي الفلسطيني، مشيراً الى انه اذا نفذت مطالب الفصائل ستتعاطى بايجابية. وقال نافذ عزام (الجهاد الاسلامي): «لن تكون هناك تهدئة من طرف واحد».

بينما نجد في رأس نشرة الساعة التاسعة من يوم ٢٥ كانون الثاني خبر تسليم اسرائيل جثة شهيد فلسطيني، وكذلك في رأس نشرة الساعة ١٢ من ٢٦ كانون الثاني خبر استشهاد طفلة برصاص اسرائيلي. ان اللغة المستخدمة في صياغة نشرة الاخبار تشي بموقف، ويعطي استخدام ضمير المتكلم بصيغة الجمع مؤشراً الى انتماء الى وطن وقضية. «شيعت جماهير شعبنا المواطن ياسر الجبارين الذي استشهد في مستشفى... في بئر السبع متأثراً بجروح اصابته بها قوات الاحتلال قبل شهر. وندد المواطنون بجرائم الاحتلال وطالبوا المجتمع الدولي بالضغط على اسرائيل لوقف جرائمها». ( ٢٤ كانون الثاني الساعة ٩) ويتكرر في الخبر توصيف افعال اسرائيل بالجرائم مرتين دلالة ايضاً الى تبنى قضية فيها ظالم ومظلوم.

ومن الافعال ذات الدلالات المستخدمة بشكل متكرر فعل اقتحم لبدء اخبار الاعتداءات الاسرائيلية على القرى والمخيمات الفلسطينية «اقتحمت قوات الاحتلال صباح اليوم بلدة صيدا شمال طولكرم ودهمت عدداً من المنازل وقامت بتفتيشها والعبث بمحتوياتها، وسيطرت على عدد من المنازل وحولتها نقاط المراقبة» (٢٠ كانون الثاني الساعة ١٢) وكذلك تستخدم النشرة فعل اجتاح لوصف عمليات التوغل الاسرائيلية «اجتاحت قوات الاحتلال صباح اليوم عدة احياء في مدينة نابلس. واقتحمت راس العين وشارع الباشا وغيرهما وسط اطلاق نار كثيف بين الحين والآخر، واقتحمت قوات الاحتلال مخيم بلاطة وسط اطلاق نار وقنابل صوتية. وفرضت قوات الاحتلال خطر التجول على قرية صيدا شمال طولكرم، وقد اجتاحت قوات الاحتلال القرية وسط اطلاق قنابل صوتية مما اشاع اجواء من التوتر والقلق والذعر. وقال شهود عيان ان آليات الاحتلال جابت الشوارع واتخذت مواقع قبل ان يشرع الجنود بمداهمة منازل القرية وتفتيشها، وعبثوا بمحتويات بعضها وحولوها نقاطاً للمراقبة...» (٢٦ كانون الثاني الساعة ١٢).

وإضافة الى وصف العمليات الاسرائيلية بالجرائم تستخدم النشرة توصيف العدوان «أدان الرئيس محمود عباس العدوان الاسرائيلي الجديد وقال ان على اسرائيل ان تتوقف عن هذه الاعمال...» (٢٦ كانون الثانى الساعة ٩).

وواضح في كل الاخبار المحلية وصف القوات الاسرائيلية بقوات الاحتلال. ولمرة واحدة خلال اسبوع أي ٢٦ نشرة استهلت النشرة بالبسملة (٢٩ كانون الثاني الساعة ٩).

ومن اللافت ايضاً انه في الاخبار السياسية المتعلقة بالحوار بين الاسرائيليين والفلسطينيين يوصف

الاسرائيليون بـ«الجانب الاسرائيلي» من دون استخدام أي عبارات تعبوية او مناهضة «تسلم الرئيس محمود عباس امس تقريراً مفصلاً حول نتائج اللقاءات مع الجانب الاسرائيلي وشرح الوفد للرئيس عباس بحضور السيد احمد قريع رئيس الوزراء ما تم بحثه في اللقاء الذي عقد مع الجانب الاسرائيلي. وأوضح انه تم بحث عدد من المسائل السياسية والامنية، واتفق الجانبان على استكمال اللقاءات الاسبوع القادم، وذلك لاستكمال التحضير للقمة المرتقبة بين القيادتين... (٢٧ كانون الثاني الساعة ١٢).

ويبدو ان استخدام الألقاب يختلف من نشرة الى اخرى بحسب المحرر، فعباس هو تارة السيد الرئيس وتارة فغامة الرئيس وتارة الرئيس.

واذا كان التعاطي مع اسرائيل خالياً من أي هجوم، او حتى انتقاد قاس لها، اللهم ما يذكر عن ممارساتها العدوانية ضد القرى والمخيمات، فإن الاخبار المحلية الاخرى هي في خدمة السلطة وسياستها. فخبر الانتخابات مثلاً يبرز الاجواء الديموقراطية والنزاهة والحياد «في جو ديموقراطي، وفي حضور حشد من المراقبين الدوليين والمحليين يتوجه اليوم اكثر من ٩٠ ألف ناخب الى صناديق الانتخابات للادلاء بأصواتهم لاختيار ١١٨ عضواً في المجالس البلدية في عشر دوائر في غزة... مع تقرير يشيد بالانتخابات وأهميتها...» (٢٧ كانون الثاني الساعة ١٢)، لكن خبر اذاعة نتائج الانتخابات، التي فازت بغالبيتها حركة «حماس» يواصل الاشادة بالنزاهة والديموقراطية من دون أي اشارة الى فوز «حماس»، ولا حتى اذاعة اسماء الفائزين (٢٨ كانون الثاني الساعة ٣).

في الجانب المهني ايضاً تعتمد النشرة على التقارير الاخبارية لتدعيم الاخبار، وحتى هذه التقارير تبدو «مشغولة» لتخدم سياسة السلطة الفلسطينية سواء من خلال نص المراسل أم كلام الاشخاص الموجهة اليهم الاسئلة حول قضية ما كقضية الانتخابات مثلاً حيث لم يرد في التقرير أي ذكر لحركة «حماس» او غيرها من الفصائل المشاركة في هذه الانتخابات. ولا تعتمد النشرة مقدمة عامة شاملة لربط الاخبار المتصلة ببعضها بعضاً. فكل خبر قائم بذاته. ولا يتدخل جهاز التحرير لا شرحاً ولا تفسيراً، كما ان طريقة الصياغة معطوفة على طريقة التلاوة الجامدة والخالية من أي تفاعل بين المذيع والخبر لا تعطي الاخبار الاهمية التي تستحقها، فخبر استشهاد مواطن يتلى كخبر لقاء رئيس السلطة رئيس دولة اخرى وكخبر الاعتداء على قرية وكخبر العراق او تسونامي. كما يغيب ربط النشرات المتتالية ببعضها بعضاً وتحديداً في الاخبار المستمرة او المتكررة. ولهذه الاسباب مجتمعة قد تبقى بعض القضايا غامضة الى حد ما، كموضوع الحوار الفلسطيني – الفلسطيني، والحوار الفلسطيني الاسرائيلي.

إذن، لا يمكن إدراج قناة فلسطين في إطار الفضائيات العربية المفتوحة كـ «الجزيرة» و«العربية» و«الفضائية اللبنانية» و«قناة أبو ظبى» وغيرها من الفضائيات ذات الانتشار الواسع والأفق المفتوح (؟).

وبالتالي لا يمكن «محاسبتها» أو مناقشة مضمونها ومقدار مهنيتها بالطريقة نفسها. فالواضح انها تعاني في نشراتها الاخبارية، نقصاً مهنياً واضحاً يتمثل في ضعف الالتزام بالمعايير الواجب توافرها والتي يمكن اختصارها بعناصر الجدة والأهمية والموضوعية والبحث عن الحقيقة وبثها من دون تحيز... فقناة فلسطين، وعلى رغم كونها فضائية، تبدو مغرقة في محليتها، وربما تحجب من الأخبار أكثر مما تعرض، سياسية كانت أو اجتماعية ومنوعة. وهنا يطرح السؤال عن مساحة الحرية الفعلية التي تتيحها المحطة. وكيفية التوفيق بين التوجهات السياسية والضرورات المهنية.

الإجابة ليست سهلة بالطبع، ففي العالم العربي السياسة متطلبة كثيراً، فكيف إذا كانت هي المولة والمالكة. وفي حال محطة مثل قناة فلسطين يصعب الفصل بين التوجيهات السياسية والضرورات المهنية. وبالتالي يصعب التوفيق. فالتوجيهات السياسية تأتى على حساب الضرورات المهنية.

ويبدو من المنصف القول إن قناة فلسطين، من منطلق التزامها، تتميز بدرجة عالية من الحس الوطني في نشراتها الإخبارية وتنقل معاناة الفلسطينيين الى العالم العربي. وعلى المستوى المهني يبدو هناك جهد واضح في التغطيات المحلية والتقارير الميدانية المحلية.

في ضوء كل ما ورد، تبدو قناة فلسطين، وغيرها الكثير من المحطات العربية، بحاجة الى مجموعة من الخطوات والتدابير، التي لا تتخطى المنطق الى المثاليات. فالواقع العربي يجب أن يؤخذ بالاعتبار عند وضع أي اقتراحات أو توصيات لتطوير الأداء الإعلامي للفضائيات. ومن التوصيات الضرورية:

توظيف العناصر الكفوءة والمؤهلة تأهيلاً كافياً لقيادة العمل الإعلامي، والتطوير الدائم للكفاءات الموجودة عبر البعثات والدورات التدريبية.

التجهيز المستمر بأحدث التقنيات المعتمدة في القطاع الإعلامي.

توفير الإمكانات المادية اللازمة للبحث عن الخبر والمعلومات الجديدة والمفيدة.

اعتماد الاشكال المتطورة في الانتاج التلفزيوني والتركيز على التحقيقات التي تذهب الى العمق في البحث عن الحقيقة وعدم الاكتفاء بعرض التقارير الاخبارية السريعة.

استخدام طرائق البحث العلمي لتحديد انتظارات الجمهور والتفاعل معه.

توسيع فسحة الحرية والتخفيف التدريجي من سيطرة السياسيين وآرائهم على المحطة للوصول بالمعايير المهنية الى أقصى حد ممكن.

#### خلاصات

في المحصلة، يمكن الاستنتاج ان فضائية فلسطين لا تتبع بشكل دائم مبدأ تقديم عنصري الاهمية والموضوعية في أخبارها، بل قد يتقدمها في احيان كثيرة مبدأ التسلسل البروتوكولي للأخبار تبعاً لأهمية

الشخصيات المعنية بالخبر. والملاحظة الجديرة بالذكر هنا هي ان نشرة قناة فلسطين تبدو كنشرة محلية موجهة الى جمهور فلسطيني في الشتات والى جمهور عربي لا يزال مهتماً بالشأن الفلسطيني. ولذلك لا يتقدم الخبر الخارجي مهما كانت اهميته الى مقدمة النشرة، والى وسطها حتى. فمثلاً خبر زيارة الرئيس السوري بشار الاسد الى موسكو والضجة التي اثارتها قضية شراء صواريخ روسية والتصريحات الاسرائيلية في هذا المجال لم تأخذ حيزاً يتناسب مع اهميتها، كذلك مقتل ٢٩ أميركياً دفعة واحدة في العراق مرّ كخبر عادي في نهاية النشرة.

واذا كان الخبر الفلسطيني يبدو، غالباً، ومن خلال الاسلوب واللغة المستخدمين وكأنه خبر محايد الا ان التدخل في سياقه يأتي غالباً من خلال الحذف واسقاط بعض العناصر. وهكذا فالخبر يقوم بوظيفة سياسية اولاً، وهذه الوظيفة تحتل مكاناً متقدماً في خلفية القناة. وليس بالضرورة ان تكون هذه الوظيفة دعائية مباشرة للسلطة الفلسطينية، بل هي وظيفة ذات هدف: الترويج لسياسة التهدئة التي ينادي بها الرئيس الفلسطيني الجديد (آنذاك) محمود عباس. فحتى طريقة الالقاء توحى بذلك.

ولا تشذ قناة فلسطين عن الاتجاه الغالب في المحطات التلفزيونية الحكومية العربية، والمفهوم الوظيفي الذي يحكمها، فالقناة جزء من اجهزة السلطة، وبالتالي، حتى الحرفية المهنية يجب ان تدخل في خدمة الهدف الوظيفي. وكلما ارتفع مستوى التدخل الرسمي، من الطبيعي ان يخسر الجانب المهني.

الا ان القناة توحي وكأنها تستمد شرعية توجهها وتغطي طغيان الخلفية السياسية على الجانب المهني من خلال خصوصيتها كقناة ذات مضمون نضالي بحت، ولذلك تسقط من اخبارها الشؤون الاجتماعية والثقافية والترفيهية والرياضية.

هكذا، تبدو قناة فلسطين، نموذجاً خاصاً بين القنوات الفضائية العربية، وحتى الحكومية. وهي حالة قائمة بذاتها كجزء من قضية تعيش ظروفاً صعبة على المستوى الداخلي وعلى المستوى الخارجي، ومن الطبيعي بالتالي ان ينعكس الوضع السياسي والامني على إخبارها ارتباكاً... وحتى تسطيحاً وغموضاً في احيان كثيرة. والسؤال، هل ان اعلاماً كهذا يخدم قضية او يجعلها تنتصر في عصر تخوض فيه القوى العالمية حروبها الاعلامية قبل حروبها العسكرية والسياسية والاقتصادية؟

## الهوامش:

- ١ سعيد احمد ، حريدة الشرق الاوسط، ٢٤ نيسان ٢٠٠٣، ص ١٧.
- ٢ دوبریه ریجیس ، محاضرات في علم الاعلام العام المیدیولوجیا ترجمة فؤاد شاهین وجورجیت الحداد، دار الطلیعة،
   بیروت ۱۹۹۲، ص ۱۹۹۲.
  - ٣ دوبريه، مرجع سابق. ص ١٩٣.
  - ٤ داغر كارول، رجال وسلام، ترجمة جبور الدويهي، FMA، بيروت ١٩٩٤، ص ١٩.

### المراجع:

- ١ الحديثي عبد الجبار، العولمة الاعلامية والامن القومي العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٢.
- ٢ الفضاء العربي الفضائيات والانترنت والاعلان والنشر مجموعة من المؤلفين، ترجمة فردريك معتوق، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، من دون تاريخ.
  - ٣ عبدالملك احمد، فضائيات، مجدلاوي، الطبعة الاولى،عمان ٢٠٠٠.
- ٤ دوبریه ریجیس ، محاضرات في علم الاعلام العام المیدیولوجیا- ترجمة فؤاد شاهین وجورجیت الحداد، دار الطلیعة،
   بیروت ۱۹۹۲.
  - ٥ داغر كارول ، رجال وسلام، ترجمة جبور الدويهي، FMA، بيروت ١٩٩٤.
- ٦ طلال محمد، واقع التكوين الاعلامي في مجالات الاتصال الاذاعي والتلفزيوني الواقع وآفاق المستقبل، مجلة الاذاعات العربية، العدد؛ الكويت ٢٠٠٤.
  - ٧ العرب والاعلام الفضائي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٤.
- 8 -Lorence Bordin, l'analyse de contenu ,PUF ,Paris 1977 .
- 9 Patrick Charadeau , Le discours d'information médiatique La construction du miroir social,
   Nathan ,Paris.1997
- 10 Philippe Viallon, l'analyse de discours de la télévision, PUF, Paris 1996 (Que sais-je).
- 11 Marie Christine D'UNRUG,l'analyse du contenu et acte de parole ,Editions universitaires, Paris.1974
- 12 -WOLTON Dominique ,les journalistes entre l'opinion publique et les hommes politiques, Hermes,no4 , Paris .1991

# الحركة التشكيلية في لبنان واشكالية الهوية

د. عادل قديحكلية الفنون-الجامعة اللبنانية

#### مدخـل

شغلت مسألة الهوية الجماعات البشرية التي شكلت الشعب اللبناني على امتداد تاريخ لبنان الحديث والمعاصر، ولم تزل. وتقع هذه المسألة في عمق التكوين الجماعي، الطائفي والمذهبي والديني الذي يسم هذا الشعب، وخلافا لكل كلام آخر عن أن الثقافة التشكيلية لم تأبه لعنوان الهوية، فاننا نعتقد بأن الفنانين اللبنانيين مثلهم مثل كافة المثقفين والنخبة في لبنان قد سكنتهم هذه المعضلة: إلى من ننتمي؟ ما هي حدود هويتنا؟ ماذا يقول تاريخنا؟ هل نحن جزء من المدى العربي وننتمي إلى هذه القومية؟ هل نحن نشكل امتدادًا للثقافة الغربية، الفرنسية تحديدًا؟ هل نحن جزء من المثل الثقافة الإسلامية؟ هل نحن فنيقيون؟ إلخ...

ولا ينبغي أن نشك بانسحاب هذه الأسئلة على الثقافة اللبنانية بعامة وملامستها للثقافة التشكيلية بنسبة معبنة وهذا ما نحن بصدد تبيانة في هذه العجالة.

## ١ - نبذة تاريخية

شكل موقع لبنان الجغرافي، كنقطة تقاطع بين الشرق والغرب، عاملاً حاسمًا في تكوين ثقافته الحديثة والمعاصرة، بالإضافة إلى بنية شعبه بتنوعها الثقافي. والتقاطع ليس ببعده الجغرافي فقط من حيث موقع لبنان على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط واتصاله بالعمق العربي بل لأنه نقطة تتيح التجاذب والاتصال بين الحضارات الشرقية والغربية.

ويشكل القرن ١٩، ركيزة أساسية من ركائز بنيان تاريخ لبنان الحديث، حيث شهد تصارعات مختلفة أثرت على تكوينه أو ارتدت عليه، منها الصراع على تقاسم تركة «الرجل المريض» اي الأمبراطورية العثمانية المترهلة آنذاك، ما جعل لبنان يتعرض إلى تدخلات غربية وشرقية من وراء البحار. مثلا على ذلك بدأت الثقافة الغربية بأبعادها المختلفة تدخل إلى البلد في هذه الحقبة، وراحت كل مجموعة من المجموعات الطائفية تقيم صلات ذات طبيعة سياسية واقتصادية وثقافية مع دول على رأسها: فرنسا وانكلترا وروسيا...

هكذا دخلت الإرساليات الأجنبية إلى لبنان، وبدأت الجمعيات المنبثقة عنها أو المتعاونة معها تقيم لها موطئًا، ولأن التصارع الداخلي بين الطوائف المختلفة، أخذ بعدًا عنيفًا أحيانًا، فقد انفتح الصراع على رغبة مجموعات لبنانية بالتخلص من النير العثماني...

ثم تتابعت التطورات نحو نفوذ ثقافي وتربوي، من خلال المدارس والجمعيات التربوية التي فتحت مدارس لها، وأقامت أول مطبعة في الشرق في لبنان، وعمل المسيحيون على صيانة اللغة العربية من التتريك، وراحت تبث الروح القومية على غرار ما كان يحصل في أوروبا، ونادى المسيحيون بالاستقلال عن العثمانيين، وتمنع بعض المسلمين عن السير بهذه الدعوة لاعتبارات عقيدية تتعلق بوحدة الأمة الإسلامية، ثم أسهم فريق اسلامي آخر في النضال ضد التتريك وراح ينادي بالقومية العربية واعتبار لبنان جزءاً من «الأمة العربية». فعندما رزح لبنان تحت الانتداب الفرنسي كانت الطبقة البرجوازية الصاعدة المعتاشة من التجارة وقطاع الخدمات قد تركزت في الوسطين الماروني والسني، قد تركزت مصالحها على تركيب سلطة سياسية متحالفة مع الاحتلال الفرنسي / أثناء الانتداب ومتحالفة مع بعضها لتركيب استقلال مبني على التخلي مؤقتًا عن الالتصاق بالغرب من جهة والتخلي عن فكرة الوحدة العربية من جهة أخرى. لكن ذلك دفع إلى اعتناق فكرة «الأمة اللبنانية» عند لفيف من النخبويين الموارنة. لكن التطورات اللاحقة أظهرت أن الفريقين لم يتخليا عن قواعدهما الفكرية.

وقد انسحب هذا الانقسام بشكل أو بآخر على الساحة التشكيلية، فعلى الرغم من أن التصوير في لبنان، «لم يظهر بشكله الدنيوي الا في منتصف القرن التاسع عشر تقريبًا،» الا أنه «بدأ بعد ذلك شيئًا فشيئًا فشيئًا المتعانية معًا كانوا يستلهمون الأساليب المعروفة في العاصمة اسطنبول مع أنهم كانوا يستعيرون من الفن العثمانية معًا كانوا يستلهمون الأساليب المعروفة في العاصمة اسطنبول مع أنهم كانوا يستعيرون من الفن الغربي بعض ملامحه، لكن دخول الفن الدنيوي ممثلاً بفن البورتريه إلى لبنان كان موازيًا لدخوله إلى السلطنة العثمانية. فحتى الخلفاء العثمانيون انخرطوا في هذه العملية لغايات السمو والرفعة والموقع. ولم يلبث هذا التباعد بين تياريين فنيين أن ضاق حيث استطاعت الرؤيا الغربية أن تسود في مجال صياغة العمل الفني وفق الأسلوب الغربي المستند إلى التزاوج بين الانطباعية والكلاسيكية وبعض الرومانسية. ولم تلبث هذه الظاهرة أن تصاعدت بعد الاستقلال حيث نمت في لبنان منذ الأربعينات ثقافة فنية فعلية على الطريقة الفرنسية مع عودة اللبنانيين الذين تكونوا فنيًا في فرنسا إلى لبنان. وعلى الرغم من أن البعض يعتقد بان التراث المحلي أو المناطقي لم يكن له الأثر في لبنان إلا في مطالع السبعينات وتحت تأثير التيار التراثي المتميز في العالم العربي قاطبة حيث بدأنا نسمع عن تجريدية شرقية وألوان شرقية أو ضوء شرقي، أو روح شرقية الخ...

# ٢ - الانطباعيون اللبنانيون ومسألة الهوية

في ثلاثينات القرن الماضي نشأ في لبنان فن تصوير يشتمل على أنواع مختلفة، على يد جيل مصطفى فروخ، قيصر الجميل، عمر الأنسي، رشيد وهبي وصليبا الدويهي، وهم الذين أسهموا بفعالية في ادخال الفن الغربي إلى لبنان وبخاصة المدرسة الانطباعية. سافر معظم هؤلاء إلى فرنسا وايطاليا واسبانيا لكي يتعلموا

الفن، لكن ذلك لم يمنعهم من التعبير عن بعض التاريخ اللبناني الذي يستند إلى تباينات في مسألة الهوية. فقد رسم قيصر الجميل جدارية بعنوان «معركة عنجر» والتي تمثل انتصار فخر الدين المعنى الثاني على العثمانيين في منطقة عنجر الواقعة في سهل البقاع اللبناني عام ١٦٢٣. وهذا العمل رسم من وحي فكرة النهوض الوطني اللبناني ضد الاحتلال العثماني، من دون أن يشكل موقفًا من الاحتلال الفرنسي. ففي الفترة التي عاش ضمنها الفنان في النصف الأول من القرن العشرين، بدأت الحركات الوطنية والتحررية بالظهور والنشوء في المنطقة العربية ومنها لبنان. أما الفنان مصطفى فروخ وهو فنان لبناني مسلم فقد رسم عدة لوحات منها: معاوية يدشن الاسطول، عقبة بن نافع، النهضة... وتعبر هذه اللوحات عن تفجر الحالة القومية عند المسلمين بعلاقتهم بالمجال العربي وارتباطهم به، حيث اعتبروا بأن لبنان هو جزء من الأمة العربية، لذلك استحضر الفنان بعض التاريخ الاسلامي المجيد فرسم مشاهد تاريخية حربية لإيجاد الصلة التاريخية والتراثية مع الحالة القومية العربية. وفي سياق الرفض الجماعي للأساليب الحديثة الوافدة من الغرب يقول مصطفى فروخ: «من كان مثلى يعيش في جو ضيق بعيد عن الفن (يقصد على الطريقة الغربية) وممارسته بعدنا عن المريخ، ثم لم يسمع بالفن ولم يكن أمامه ولا حوله من أسباب التشويق والاندماج الفنى قليل ولا كثير، بل العكس هو الصحيح، اذ كل ما حوله متبطات فقط». كما يقول رشيد وهبي في نفس السياق «المشاكل لا تعد ولا تحصى في بيئة جاحدة لأي نوع من أنواع العمل الفنى وبأى شكل من الأشكال...» فان الثابت بان الفنانين المسلمين الذين اعتنقوا المذاهب الغربية في صياغة العمل الفني واجهوا رفضًا من محيطهم حيث تربت الأذواق على رفض المشابهة والعرى وجزئيًا الرسم الشخصي، فقد اعتاد هؤلاء على مشاهدة الفن البحرى العثماني، والزخرفة التي تزدان بها الجوامع والمنارات والأماكن الدينية، بالإضافة إلى الخط العربي، وعلى كل حال فقد بدأ فروخ ذاته بالرسوم البحرية والتاريخية كما أسلفنا حيث اندمج في تصوير المراكب والأشرعة وهدأة الأمواج والأحلام، وحاول استخراج الماضي التليد من جدران غرناطة وقصر الحمراء. ولم ينس العديد من الفنانين الانطباعيين الآخرين استذكار بعض التراث اللبناني متمثلاً بالأزياء اللبنانية وبخاصة منهم قيصر الجميل ورشيد وهبي. كما رسم عمر الانسى بيوت لبنان القديمة وفلكلوره وتراثه وعاداته وتقاليده مسجلاً بأمانه لمرحلة عايشها لبنان وتمين بها وفقًا للفنان.

# ٣ - التجريد اللبناني والتفتيش عن الهوية

# ١ - ٣ صليبا الدويهي يكتشف التراث

إن ما يطبع المرحلة الأولى لفن الدويهي – المسيحي من زغرتا – نجده في رسومه الكنسية والدينية. لكن الدويهي راح يفتش في حياته وفنه الكنسي عن ما يميز الفن في منطقته عن غيرها، لذلك انحاز الدويهي عن الأكاديمية والكلاسيكية الغربيتين وراح يستجلي الفن المسيحي الشرقي وخاصة البيزنطي، هكذا بدأ يرسم أعماله الدينية

على الطريقة البيزنطية وهي طريقة تعتمد التسطح والاسلبة، متخليًا بذلك عن بداياته الانطباعية. لذلك فقد ألبس شخصيات الإنجيل لباسًا عربيًا حيث يقول: «كنت أول من رسم المسيح وأتباعه بلباس عربي واستعملت الخط العربي فيها» كما يورد أسعد عرابي. لقد حول الأشكال والوجوه من هيئة أوروبية وطابع غربي، إلى وجوه وطابع عربي لا بل لبناني. وفي كلامه عن انجاز أعماله الدينية في كاتدرائية مار يوحنا في زغرتا يقول: «أنا عملت شي غير شكل، رجعت إلى الأصول إلى الجذور الموجودة في بلادي»...

وفي سياق كلامه عن اعتناقه التجريدية يقول»...انتقلت إلى الهندسة إذ أدركت انها صفة جيدة في الفن العربي الإسلامي» كما زين الفنان كنيسة زغرتا «بالرموز القديمة التي تفردت بها المدرسة الانطاكية السريانية دون سواها في القرن الخامس وما بعد،» حيث يعتبر هذه التحولات في فنه بانها «...عصارة فكري الذي صهرته في بوتقه لبنانيتي بعامة وبمشرقية بيزنطية –عربية – أسيوية بخاصة» كما يعترف في مناسبة أخرى بان رسمه الدينوي يتسم بسمة صوفية وبنوع من «روحانية شرقية». ألا يدل ذلك على انصراف الفن نحو التفتيش عن هويته الثقافية وهوية منطقته وبلده؟.

# ٢ - ٣ سلوى روضة شقير: التراث الإسلامي

«... انحرفت بشدة عن المدرسة الواقعية،...» هذا ما تعترف به سلوى روضة شقير بعد ان تعرفت إلى الأعمال اللاواقعية لبيكاسو وميرو وكاندنسكي وبول كلي وكالدر وعزي وبراك في بيروت، عندما شاهدتها عند عالم الآثار هنري سيريك، كما اطلعت على موقف لأحد أهم المدافعين عن اللاموضوعية، الكاتب أتيان سوريو والمتمثل في الفن الإسلامي والذي يضعه في مصافات شديدة الأهمية. لكن أكثر ما لفتها وأثر في تحولاتها الفنية القادمة كان سفرها إلى مصر ومشاهدتها الفرعونية الإسلامية، حيث انجذبت إلى طريقة التوليف والتزيين والهندسة وإدخال عناصر زخرفية وخطية على البناء الإسلامي تجعلها جزءًا عضويًا من عملية البناء نفسه. وفي باريس تعرفت إلى الفنان التكعيبي فرنان ليجيه وعملت في محترفه مدة ثلاثة أشهر كما قامت باجراء بحث مقارن بين العمارة الإسلامية والعوالية والرومانية ثم انخرطت في «محترف الفن التجريدي في الغراند شوميير، الندى كان هدفه تشجيع المناقشة حول الفن التجريدي» حصل كل ذلك بين السنتين ١٩٤٩ و ١٩٥٠.

لماذا انجذبت الفنانة الى هذه الطريقة في توليف أعمالها النحتية والتصويرية؟ إنها ابنة بيروت وهي تنتمي إلى ثقافة شرقية إسلامية، وقد حاولت جاهدة منذ بدايات تفتحها الثقافي مرورًا بتحصيلها العلمي والفني في الجامعة الاميركية في بيروت أن تفتش عن موقع ثقافتها في النقاش والتبدل والتصارع حول هوية الاتجاهات الفنية والتي اجتاحت العالم كله في هذه الفترة من التاريخ، كما كانت المنطقة تموج بأحداث سياسية هائلة، وديموغرافية في تلك الفترة، من اغتصاب لفلسطين وولادة الكيان الصهيوني، إلى استقلال لبنان والنقاش الذي صاحبه حول ماهيته إلى ثورة الجزائر، إلى صعود جمال عبد الناصر السياسي واندلاع ثورة الجزائر،

والثورات الأخرى في أكثر من منطقة عربية وخاصة العراق، ما أدى إلى نشوء حركات فكرية وسياسية تدعو إلى التحرر الوطني من الاستعمارين الفرنسي والانكليزي في المنطقة، أكثرها أهمية الحركات القومية ومنها: الحزب القومي الاجتماعي الذي يدعو إلى وحدة الهلال الخصيب، حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب اللذان يدعوان إلى وحدة الأمة العربية من المحيط إلى الخليج مستذكرين بذلك مجد الامبراطورية الاسلامية المترامية الأطراف، مركزين على الثقافات ذات البعد القومي وعلى رأسها الثقافة التي تولدت عن الحضارة الاسلامية، كما ركز العديد من المثقفين والمفكرين والمنضوين في اتجاهات السياسة القومية على فعل الحضارات المسيحية الشرقية في اعلان شأن الأمة بالإضافة إلى الفنون التي تركتها الحضارات السابقة على الميلاد، كالحضارة الفرعونية والسومرية والبابلية والفينيقية... الخ. وقد انسحب كل ذلك على المجال اللبناني فحصل تصارعات جديدة –قديمة حول هوية لبنان وانتمائه الفكري والسياسي والحضاري: بين انتمائه إلى الأمة العربية، أم الأمة اللبنانية!

لكن ذلك الوضع لم يكن ليؤثر على الأبعاد التشكيلية لو لم يكن هناك تبدلٌ في الصياغة والتوليف التشكيليين. لقد بنيت الحداثة الغربية، والفرنسية منها خاصة، على استلهام الفنون الشرقية حيث بدأ الانحياز نحو التبسيط والتحوير والاسلبة والتي بدأها غوغان وسيزان وفان غوغ، وانغمس فيها ماتيس وبيكاسو وبراك، في اتجاههما التكعيبي، ثم نشوء التجريدية الغربية متمثلة برائدها كاندسكي وتبدل ركائز البنية الفنية والتشكيلية التي أطلقتها مدرسة الباوهاوس. اكتشف الغرب الفكر التبسيطي والتجريدي والفلسفة التي قادتها من خلال انخراط المفكرين والفنانين في الحضارات الشرقية واستكشاف بنيان الفنون القديمة والانفتاح على فنون الأطفال... اكتشف الغرب أهمية هذه الحضارات وتفاعل معها، و«صدر» اكتشافاته إلى الشرق، استفاق المفكرون العرب على حضاراتهم إثر ذلك، فأتاحت لهم هذه الانحيازات في الغرب، أن يستغرقوا من جديد في تراثهم ويستجلوه. لكن الفنانين الغربيين بنوا فنهم وتجاربهم على قاعدة مختلفة، بينما شدت التبدلات السياسية والفكرية والثقافية من عضد المفكرين العرب وجزء من اللبنانيين، فتحولت حالياتهم هذه إلى ما يشبه العقيدة. هذه القاعدة وما تلاها من تطورات أسهمت بشكل فعال في انتاجات سلوى روضة شقير حيث انتجت أعمالاً نحتية وزيتية وغواش وأعمالاً حرفية كالبسط والفخاريات ومجسمات من الحديد والزجاج وأعمال من المينا على النحاس ومجوهرات أرجعتها كلها إلى مرجعيات تراثية تنتمي إلى التراث الإسلامي.

# ٣- ٣ شفيق عبود وأشكالية الضوء الشرقي

لم يكن لدى الفنان شفيق عبود أي حرج في اعلان انتمائه إلى عالمية الفن، بتطوره وتبدلاته الغربية، لكنه هو ذاته انحرف عن التجريد الهندسي نحو التجريد الغنائي فاحتفى دائمًا بالطبيعة بمنحى عاطفي، وهو يعترف «بتورانية» عمله الفنى، لكنه يرجع مبدأ تفتيشه عن الضوء إلى طفولته التى قضاها في ضيعته «المحيدثة حيث

يقول»... الضوء الذي أتكلم عنه موجود في جبل لبنان وفي طفولتي...»

وبينما تورد سيلفيا نايف بانه: «ليس للوحات شفيق عبود أية خصوصيه لبنانية أو عربية، لا في الشكل ولا في اللون...» يذكر جيل بلازي بان لوحات عبود تذكر بمشهديتها أو بدلالاتها بتأثره «بالدين الارثوذكسي الذي يقدس الصورة من خلال الأيقونات، وهو المولود في تلك الثقافة العربية، التي تمجد الكلمة أكثر من الصورة وتجعلها في مكان أرفع وأرقى».

في نفس الاطار تؤكد هيلين الخال بان عبود «...لا يحتفظ من السمات الواسمة للفن العربي اللبناني الا بما لا يمكن البرهنة عليه».

بينما يؤكد أسعد عرابي بأن «البحث الدائم عن النور عند عبود، هو حالة من التفتيش الروحاني...» هو حاله من الترصيع الفردوسي التي «تستحضر جنان فنون الشرق... جدران الفسيفساء والسيراميك والتماعات الزجاج المعشق والمصدفات...»

## ٤ – باحثون وإشكالية الهوية

يذكر بعض الباحثين موقفًا مجتزءًا من مسألة الصراع حول الهوية في لبنان بالقياس إلى الدول العربية الأخرى، خاصة مصر والعراق ويرجعون ذلك إلى «...كون التيارات الفكرية التي سادت لبنان، لم تكن هي نفسها التي سادت معظم الدول العربية في تلك الفترة، فتيار العروبة القومي الذي واكبه بحث حثيث عن الهوية، كان ضعيفًا نسبيًا...» وتستند سيلفيا نايف في استنتاجها من اعتبار صليبا الدويهي «حالة خاصة» حيث نحا نحو«... التصوير التجريدي الذي يجزم بأنه استوحاه من أصول الفنون الشرقية ومبادئها...» متناسية تجربة سلوى روضة شقير، مرتكزة في رأيها بطريقة استنسابية على اعتماد نماذج من الفنانين هم «الانطباعيون الأوائل، وصعيد عقل وجوليانا ساروفيم وحسن الجوني وعارف الريس ومجموعة العشرة في طرابلس وكاتب المقال بالإضافة إلى أثر الحرب اللبنانية ذات البعد السياسي الواضح والتي من أسباب اندلاعها الخلاف حول هوية للبنان، والتصاقه بالقضية الفلسطينية ونشوء الكيان الصهيوني الذي يهدد، وفقًا لجماعات لبنانية كثيرة، الكيان اللبناني نفسه أو يجعله في أحسن الحالات يدور في الفلك الاسرائيلي، كما تتناسى أثر المحيط العربي والثقافة القومية على عدد من الانجازات التشكيلية. ويدير الباحثون الآخرون الظهر للآثار السياسية المضطربة على العمل التشكيلي في لبنان لم يكن ملتصقًا بالايديولوجيا ولكن استقراء على العمل التشكيلي في لبنان لم يكن ملتصقًا بالايديولوجيا ولكن استقراء التجارب الفنية بشيء من الشمول يثبت بان البعد السياسي لم يكن غائبًا في مجال التعبير التشكيلي في لبنان.

# ه - يستلهمون التبسيط والأدب القديم

## ١ - ٥ ابراهيم مرزوق: يحور ويبسط

«ابراهيم مرزوق هو فنان لبناني آخر، جذبته البساطة والتبسيط والتحوير والذاتية في توضيع ألوانه، لم يهتم برسم تفاصيل المفردة في عمله، رسم الحركة والوضعية وكذلك تفاصيل المفردة، كما فعل من قبله سيزان وغوغان وفان غوغ ببساطة وخصوصية ذاتية» وبعض هؤلاء يعلن جهارًا تأثره بالفنون الشرقية، كالفن الفرعوني، والرافدي، والمنمات الاسلامية. لذا لا يجد حرجًا باعتماد التحريف والتبسيط بل التشويه في مراحل أعماله الأخيرة وصولاً إلى التشويه الذي لم يعد يلتفت إلى دقة الرسم ونسبه وأبعاده الأكاديمية.

# ٢ - ٥ بول غيراغوسيان: المسكون بأزمات الشرق

منذ بداياته...، اكتشف فنون الشرق الأوسط القديم والفن الإسلامي كما أنه تربى على الطريقتين الأرثوذوكسية والبيزنطية في صياغة أعماله الفنية.

لكن غيراغوسيان المسكون بهذا التنوع الثقافي هو ذاته الذي عايش الحروب ومآسيها والهجرات المعاصرة والسابقة، بدءاً بالمجازر التي خضع لها الشعب الأرمني في بدايات القرن الماضي من خلال والدته، مرورًا بمأساة الشعب الفلسطيني والهجرة القسرية التي خضع لها من القدس إلى بيروت إثر المجازر التي ارتكبتها الميليشيات الصهيونية بحق الفلسطينيين.

ان انحياز الفنان نحو الفكر اليساري بمداه اللبناني تبطّن انحيازًا نحو التفتيش عن هوية قومية عربية، وهي بمنحاها الثقافي، إنحياز باتجاه ما يمكن الاستعانة به من الثقافة الشرقية والمناطقية وخاصة العربية والإسلامية والمسيحية الشرقية.

هذا ما انسحب على عمله الفني لجهة اعتماد الرموز: كالمرأة والطفل والرجل بمنحى تبسيطي ايقوني. وفي هذا الإطار محا الفنان تفاصيل الوجه، واختصر الكثير من تفاصيل الجسد وجعل عمله مسطحًا، ولونه دسمًا.

هكذا استحضر غيراغوسيان في وضعيات أجساده، كل الحركات الإنسانية، الدالة على الحياة النابضة وتعبيراتها مستعملاً مبدأ التكرار المأخوذ من تجليات الايقاع الشرقي، مستندًا إلى التسطيح التشكيلي الذي اعتمدته فنون الشرق الإسلامية والمسيحية.

بول غيراغوسيان استطاع بقدراته الإبداعية أن يزاوج بين فكره السياسي والأبعاد الثقافية المختلفة ليولد فنًا له أبعاد عالمية ولكنه يختزن ثقافة شرقية ومزيجًا حضاريًا فيه بعد عربى واضح.

# ٣ - ٥ أمين الباشا: يكتشف شرقياته من منهل غربي

أمين الباشا فنان آخر ينحاز إلى مشرقيته بعد هزيمة ١٩٦٧ هو في بعض أعماله يمجد الطبيعة، لكنه رسمها بطريقة خاصة تنطلق من مبدأ التبسيط والتسطيح والتجريد متأثرًا بذلك بالفنون القديمة، المصرية والرافدية التي اعتمدت طريقة تقسيم العمل إلى مسطحات أو مجالات شبه مستقلة أو إلى ما يسمى بالحقول، ثم بالطريقة الإسلامية التي نراها في رسوم الكتب (المنمنمات) والتزاويق.

أنتج الفنان لوحته بالحجم الجداري: «تحية إلى زرياب» الموسيقي العربي التراثي المشهور. ويستحضر الفنان في عمله هذا التراث الأندلسي. هكذا راح الفنان يفتش عن ذاته وانتمائه في رحلاته المتكررة إلى روما والأندلس، حيث اكتشف بان الفنانين الغربيين استندوا من دون أية عقدة مسبقة إلى الفنون الشرقية للانخراط في اتجاهاتهم الحديثة. في اسبانيا رسم الفنان قصر الحمراء وجنائنه ومحيطه وساحاته حيث يقول: «احسست هناك بانتمائي إلى الفن الإسباني الذي يتميز برونقه الإسلامي، ذلك الفن الذي علم الغرب حب الحياة والجمال، من خلال الهندسة، القصور والحدائق... تعرفت هناك على الحديقة العربية التي تتميز بالوحشية...» كما تأثر الباشا بالموزاييك والسيراميك والرقوش العربية، التي كانت تزين جدران القصور والبيوت العربية ظهر هذا جليًا في بعض أعماله التي استخدمت في بعض تفاصيلها وتكاوينها الأشكال الزخرفية الهندسية».

# ٤ - ٥ جوليانا ساروفيم: سوريالية مشرقية

يعرّف عفيف بهنسي «السوريالية العربية» بأنها المدرسة التي نشأت من مبدأ أساسي هو مخالفة الواقع، فصورت الإنسان متصلاً بالطير، والحيوان بالنبات، رغبة منها في تصوير عالم مختلف ومستقل عن عالم الواقع، عالم غرائبي نجده في كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة... بينما تذهب السوريالية الغربية نحو عالم الأحلام والهلوسة والأمراض العقلية، فجاءت أكثر الأعمال مفعمة بالخيال المستند إلى النشوة والفجيعة، والأرواح المريضة والمنحرفة. ولأن حاول آدم حنين في مصر الاستناد إلى الفن المصري القديم في تصوير سوريالياته، فقد عملت جوليانا ساروفيم على الاستغراق في الأدب العربي القديم وخاصة حكايات ألف ليلة وليلة، عايشت من خلال أعمالها الحلم الشرقي المفعم بالحمامات الشرقية، و«الحريم»، وبلاط هارون الرشيد، وحكايات الأمراء والطرب... لقد زاوجت ساروفيم بين الرسم الواقعي ومفردات الهندسة المعمارية الإسلامية والزخارف العربية الهندسية منها والنباتية والحروفية أحيانًا. بل انها ذهبت إلى اعتماد المرأة الغرائبية الرامزة إلى «الأنوثة» و«النسوية» وهي تتوالد من الزهر والورود والوشم والزخرفة والطلاسم والسحر.

### ٥ - ٥ رفيق شرف المسكون بالثقافة العربية

تبدل الفنان رفيق شرف في طريقة تعبيره الفني، وفي كل أسلوب اعتمده كان يبحث عن هويته الثقافية والفنية. هو ابن بعلبك ولم يتوان مرة عن اعلان انتمائه العروبي، وعلى الرغم من تخصصه في اسبانيا فانه انحاز مبكرًا إلى الثقافة الإسلامية. هذا ما تشي به أعماله الأولى التي اعتمدت الرمزية، فالطائر بالنسبة له هو رمز للهجرة، واللون الرمادي لون الحيرة والضبابية، وهو استوحى في مجموعته «الحروفية» من الطلاسم والوشم البدوي، كما أنه أعلن انحيازه للطريقة الإسلامية في رسم مجموعته «عنتر وعبلة» حيث بسط وأسلب في رسوماته عناصره البشرية، كما أدخل الزخارف والتزاويق على أعماله مستوحيًا بذلك طريقة المنمنات العربية التي تسربت إلى الفن الشعبي المتمثل بأعمال الفنان الشعبي السوري صبحي التيناوي» أما في مجموعته «الايقونية» فقد استوحى الأيقونات الشرقية والبيزنطية بشكل خاص.

## ٦ - الحروفية: تعبير عن الانتماء

### ١ - ٦ حسين ماضى والتراث الإسلامي

ينخرط حسين ماضي عميقًا في تخطيط لوحته وفقًا لبناها التراثية الإسلامية من دون أن يستغرق في «السلفية الفنية». فغالبًا ما «أخذ ماضي من الفن الإسلامي خصائص متعددة: كالوحدة والتكرار والتسطيح والاختزال فلوحته لا تعرف من أين تبدأ وأين تنتهي»، ويستعين ماضي أحيانًا بالحروف العربية كما هي في عمله «الأبجدية العربية». وأحيانًا يستوحي بنى الخط العربي مستعملاً أشكالاً تشخيصية في توليفة كتابية وهذه استعملت في تشكيلات واسعة من تشكيلات الخط العربي نفسه؟. وفي أعمال أخرى يعمل حسين ماضي على استخدام الحقول الفنية التي استخدمت في الزخرفة الهندسية العربية، وهي المتأثرة بدورها بالفن المصري القديم والفنون السومرية.

## ٢ - ٦ اتيل عدنان والنص الشعري

بالعودة إلى الدفاتر التي انتجتها الفنانة اتيل عدنان والتي استوحت منها أعمالاً تشكيلية كتبت نصوصًا شعرية لبدر شاكر السياب وأدونيس ومحمود درويش وآخرين، فهي عودة نوستالجية إلى التراث العربي من باب الشعر العربي نفسه، الذي كان يعتبر أبا الفنون العربية باعتباره سابقًا بتطوره وقيمه وأبعاده التصويرية على كل أنواع الفنون العربية الأخرى في عمق التاريخ. هكذا فان اتيل عدنان أدخلت النصوصية إلى اللوحة التشكيلية الحديثة، فهي استطاعت أن تصهر بنيتها الغربية باعتبارها لم تكن تعرف اللغة العربية، بتراثها وأن تنغمس بالتيار الذي ساد المنطقة العربية برمتها: التيار الحروفي.

### ٣ - ٦ وجيه نحلة: بن التراث والتجديد

منذ بداياته بدأ الفنان وجيه نحلة يأخذ من الخط العربي والزخرفة المصاحبة بعضًا من تأليفاته، وفي المرحلة الأولى عمل على تعلم أولي للخط بطريقة أصولية، ثم بدأ يأخذ بعض التأليفات القرآنية الكوفية كما هي وولفها بتقنية معاصرة. استعمل نحلة الطريقة النافرة والغائرة كمن يحضر على سطح خشبي أو معدني أو حجري، ثم لونها بطريقة الرش والرقش والتلطيخ ليحصل على مزيج لوني يحاكي التراث أو التعتيق، وتوحي الأعمال غالبًا بالتسطيح على الرغم من نفور عناصر الخط أحيانًا. «ثم طور عمله مستعينًا بتيار الحروفية الغربية مثل ماثيو وسولاج وبعض توليفات بول كلي «وانتهى فيما بعد، إلى أسلوب حديث، أخذه عن الرسام الفرنسي الألماني الأصل هانس هارتونغ وجعل الحرف العربي شكلاً أساسيًا فيه».

### ٤ – ٦ سعيد عقل: حروفية مجردة

تعرف إلى الخط والكتابة العربيين وفقًا لطريقته الخاصة. أعاد صياغة المفردات انطلاقًا من عشقه للتجريد معتبرًا «أن توليف الخط صلاة» ومن أجل ذلك راح يصوغ الحروف بتجريدية شاملة، أراد أن يخلصه من بعض أبعاده» الصورية، حوله أحيانًا إلى ما يشبه الحبال التي تحتشد عموديًا وتتقاطع أفقيًا وكأنها أحجية عليه فكها. الخط بالنسبة له كالحبر المنساب في مسارب هابطة عمودية، أو كخيط معقود أو محلول، وذلك ما يذكرنا بالعقدة المتواجدة في الخط الكوفي، في أعمال سعيد عقل لا نجد حروفًا أو نصًا. «ولكن يوجد... وجهة تصل الداخل بالخارج لدى الفنان نفسه وكذلك لدى المشاهد». أطلق الفنان يده حرة في صياغة أعماله، وهو العارف ببنية الكتابة العربية ومختزن لبنائية الخط وأبعاده الهندسية والتأليفية، حرية اختزنت حركية التراث الخطي ولكنها انسابت على هواها وبألوان نادرًا مُزجت على الملونة، بل انسابت من الأنابيب مباشرة، لكنها ألوان متحررة أيضًا من قيود أو تأطيرات مسبقة، حيث يجد الرائي نزوعًا نحو الألوان الشرقية.

## ٥ - ٦ عادل الصغير: حروفية لينة

أعلن الفنان عادل الصغير جهارًا انتماءه إلى حروفية تنتسب إلى الحداثة ولكنها ترتبط بالتراث ارتباطًا عضويًا. هكذا فان انسابية حركياته التي تختزن تشكيلات خطية، تذكر بليونة الديواني، وزخارفه المتضمنة لهذه الأجسام الخطية. تذكر بالديواني الجلي، كل ذلك في إيقاعات وهارمونيا ملفتة، عادل الصغير أعلن شرقيته الفنية انطلاقًا من الفن الإسلامي.

## ٦ - ٦ الجيل اللاحق يلتحق بالحروفية

لم يتخل عدنان المصري يومًا عن حروفيته، بل عن هندسية خطوطه وهو الذي أنجز جدرانية الدبلوم

انطلاقًا من هذه المنحى، ففي حين عالج حروفيون الكتابة والخط انطلاقًا من الرؤى الواقعية أو اوحت إلى مسحة تصويرية، فان المصري أصر على هندسية للخط، بدت له للمشاهد كأنها زخرفة على جدارات واسعة. في حين أعلنت حروفيات عدنان خوجة سياقًا بصريًا يذكر بالمرئيات، بل بالحركات البشرية المحتشدة والتي باحتشادها انحدرت من أفكار الفنان ذات البعد الاجتماعي، كانه لم ينس أن اللغة والكتابة والرسم ذات صلة بالصيرورة الحياتية وفقًا لمنحاها السلوكي.

أما الفنان الياس ديب فلم تستثن مراحله انتماءً حروفيًا، له تجربة في التمزيق والالصاق، في سياق الأسود، كأنه احتراق يلفظ أشكالاً حروفية، تبرز أشكاله الخط إلى البصر مباشرة فتخال أنك ترى أجسامًا تتطاير في فضاء ممزق، لكنه رغم ذلك يحيا وفق حلم الفنان.

### ٧ - التعبيرية وموقعها من مسألة الهوية

ان تتابع الحالات العنفية التي عصفت بلبنان كانت نتاج التصارعات الطائفية بأبعادها السياسية. فالموارنة كأقلية في الشرق كان ينتابهم الهاجس الدائم من هيمنة المحيط المسلم عليهم والذي يجد صداه في الداخل اللبناني، بينما اخذت الصراعات المذهبية تأخذ أبعادًا سياسية حادة، حيث برزت صراعات بين الشيعة والسنة. فالشيعة كانوا أيضًا من الأقليات الذين يخافون من الثقل السني المتمثل بالمحيط العربي، كما أنهم كانوا مهمشين في الداخل اللبناني نتيجة التحالف بين البرجوازيتين السنية والمارونية واستلامهما مقاليد السلطة، مستبعدين بذلك الطائفة الشيعية بشكل نسبي واضح، ما دفع المثقفين الشيعة إلى الانخراط في التنظيمات اليسارية التي تدعو إلى التغيير واعتناق افكار القومية العربية والاشتراكية والشيوعية، ومن ثم فقد انخرطوا في البدء في التنظيمات الفلسطينية، حيث تقاطعت أهدافهم في مقاومة اسرائيل. هذا الواقع سيجد صداه بشكل مؤكد في المجال الثقافي، وما اندلاع الحرب الأهلية سنة ١٩٧٥ سوى تعبير سافر عن هذه التناقضات ومن أسبابها مسألة الهوية اللبنانية».

ويثبت التاريخ بان الفن التشكيلي رافق دائمًا، بأشكال وتعبيرات مختلفة، النشاط الإنساني، فالصراعات على تعبيراتها الحرب، هي شكل من أشكال هذا النشاط.

## ١ - ٧ عارف الريس الحرب والهوية السياسية

يعتبر الفنان عارف الريس من أوائل الفنانين المحدثين الذين تناولوا الموضوع السياسي في الفن التشكيلي، خاصة التصوير.

أول معرض أقامه عارف الريس عام ١٩٦٧ كان تحت عنوان «دماء وحرية» حيث كانت اللوحات مغطاة بالدماء والتعبيرات تدل على الفاجعة بعد هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ العربية أمام الاجتياح الإسرائيلي لكل من مصر وسوريا والأردن.

وقد رسم قبل ذلك سنة ١٩٤٧ دراستين بالفحم «Fusin» اسماهما: «أمومة هيروشيما» و «وجه هيروشيما» وفي بداية الستينات أنجز عملاً أسماه «تحية إلى الثورة الجزائرية» وهي محفوظة حاليًا في المتحف الوطنى الجزائري.

عشية اندلاع الحرب الأهلية كان الفنان قد خاض تجاربه التعبيرية والتقنية التي تعبر عن الحرب. لكن واقع الحرب الأهلية ونتائجها كان أكثر إيلامًا للفنان، لذلك انخرط بعملية تعبيرية شديدة الدلالة في مجال صرخة الفنان ضد الواقع المؤلم.

أنتج الفنان كتابًا أسماه «طريق السلم» خلال ما سمى بحرب السنتين ١٩٧٠–١٩٧٦.

يحتوي كتاب «طريق السلم رسومًا سريعة الإنجاز، كأنها دراسات أولية لما سينجز لاحقًا من أعمال. وقد أنجز معظمها بالأسود والأبيض بمواد الفحم وقلم الرصاص والحبر الصيني. وصور مجزرة «الكرنتينا» وهي ضاحية أخرى من ضواحي بيروت الشرقية قطنتها غالبية من المسلمين الشيعة الذين نزحوا من البقاع اللبناني والجنوب هربًا من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة عليهم وسكنوا في بيوت كثيرة التواضع والفقر، غالبيتها من التنك و«الإترنيت»، وهي منطقة أنتفت فيها كل وسائل الحياة الطبيعية من بنى تحتية وطرقات وخلافه.

وفي لوحته «النبعة» رسم الفنان من وحي أحد الأحياء في بيروت الشرقية التي قطنها أغلبية شيعية، حى فقير يتصف ببنائه المتواضع وبيوته الدالة على الفقر الشديد.

وفي لوحة «النزوح» رسم الفنان امرأة تلبس المنديل الأبيض وهو الرمز الإسلامي للمرأة، تعابيرها مليئة بالغضب والعنفوان والصبر في نفس الوقت.

### ٢ - ٧ حسن الجوني: جدلية الاقامة والهجرة

ان نظرة عميقة لمسار الفنان وإنجازاته العديدة تثبت ان أعماله في أكثر محطاتها وتنويعاتها تعكس لنا علاقة فنه بمراحل طفولته ومحيطه الاجتماعي في بيروت، وارتباطه الأكيد ببلدته «رومين»، وهي بلدة تقع على هضبة جنوبية تبتعد مسافة بسيطة عن مدينة النبطية، وهذه المنطقة التي يقطنها اغلبية شيعية مع أقلية مسيحية، تعتبر في قلب الأحداث العصيبة التي عصفت بلبنان وبجنوبه بشكل خاص جراء اغتصاب أرض فلسطين.

اثقلت الحروب المتعددة كاهل الفنان وأعماله وتركيبته النفسية، لكنها دفعت تجربته إلى التمظهر والبروز متجلية بانفعال وحيوية، وهو كذلك عبر بتعبيريته عن حالة إنسانية عميقة من دون أن يصور خرابًا وقتلاً ودما. صور قلقًا وأسى وحيرة تبرز على وجوه أشخاصه ومن خلال انصهار العنصر الإنساني بالطبيعة والبناء. يقول الفنان «أن اشاهد على شاشات التلفزة من قتل ودمر ومجازر يقوم بها العدو الإسرائيلي ضد

الشعب الفلسطيني. أراقب «بكل أسف وحسرة، بكل حزن وانكسار واعتزاز، أراقب وقائع موت «محمد الدرة» والمقاومة العظيمة التي بدأها الفلسطيني في الدفاع عن ترابه وكرامته وتاريخه... فألف متحف تشكيلي لا تساوي لحظة قضى محمد الدرة بين ذراعي والده قتلاً برصاص إسرائيلي...».

ان لوحة زينب وهي المرأة التي تمثل وجع الجنوب اللبناني والتي تمثل رمزًا له، هذه المرأة، لا تختصر وحدها تعبيرات الفنان، على اهميتها، فالمرأة هنا تعني الأرض المعطاءة والصبورة والغنية، ولا شك بأن الفنان قد استعار هذا الرمز من حضارات المنطقة الغابرة فالأرض والمرأة رمزان للخصوبة. لكن المرأة عند الجنوبي التي تلتف بالمنديل وفي نظراتها إلى الأفق البعيد والحنق والصبر والتطلع نحو المجهول، هي رمز للصمود والتشبث بالأرض ورمز للحرية وللتصدي للعدوان الدائم على هذه الأرض، يقف الرجل إلى جانبها يدافع عن مقدساته ويصمد ويتجذر هو أيضًا بهذه الأرض.

تراوحت أعمال حسن الجوني منذ العام ١٩٧٩ بين أعمال سجلت تعبيرات الفلاحين الجنوبيين المذعورين والبائسين بفعلين: تعب الحياة اليومية وتحصيل القوت، والقلق الناتج عن احتمالات الاعتداءات الإسرائيلية الدائمة، وفي العام ١٩٨٠ رسم ثلاثية: «الإنسان والأرض» حيث اعتمد الفنان رمزية الأرض كأنه «بوحل الألوان الأرضية».

وفي العام ١٩٨٣ أقام معرضه: «قصائد من ضوء» رسم فيها مناظر جنوبية، مركّزًا على الضوء والظلال الخفيفة، لكن بيوته وجباله وأشجاره، وعناصر الطبيعة تمتلئ كلها: بالغموض والحريف. هنا اعتمد الفنان أيضًا أن يؤنسن منظره الطبيعي. هنا أيضًا رسم القلق ممتزجًا بعناصر الطبيعة.

لم يلتزم حسن الجوني بالمعنى السياسي للكلمة، ولا انتمى إلى مدرسة تستند إلى موقف مسبق وإطار اجتماعي مبرمح. الإلتزام بالنسبة له كان تأكيدًا لهويته،: الأرض والإنسان، في الجنوب اللبناني، المتعاطف مع قضايا وطنه في التحرر والحرية الرافضة للظلم والاستبداد، وفقًا لمعتقده الذّاتي، هذا ما قدّمه معرض «رماديّات ٨٦».

هكذا فإن الفنان نحا في هذه المجموعة باتجاه «سيمفونية التّرحال والأسى، بين ماضي الفنان وحاضره، بين رؤى من أحبّ وهيئة من كره، لكنها شكلت مفصلاً.

أما في العام ١٩٨٧ فقد عرض الفنان زيتيات ذات أحجام كبيرة، كلوحة «الشاهد» وهي تعبر بشكل مفجع عن الحروب الأهلية، «حواء وتفاحة الأفق» وقريتي تلبس الخريف.

تحسس الفنان بمشاهداته ومعايشاته مسألة التنقّل الدائم التي تفرضها الحروب، وبخاصة الأهلية منها. حيث لا مكان؟ فالإنسان المطمئن ينتمي إلى زمان هادئ ومكان آمن. لكن الحروب تدخل القلق في أعماق الذات الإنسانية من خلال خوفه وتنقله وتفتيشه الدائم عن مكان أقل خطورة. هكذا تحول الإنسان الجنوبي إلى مهاجر دائم، من الريف إلى المدينة، من البلدة إلى القرية، من السّهل والسفح إلى أعالي الجبال من الوطن إلى خارجه...

تعبيريّات أخرى: أسماها الهجرة، كم رسم سيارات محملة بأمتعة وثياب وناس، وبأناس يحملون أمتعة على رؤوسهم وهم يغادرون بل يهربون، وكم صوّر حركات دائرية للناس، كأن الجنوبيين يدورون في اللامكان وفي حركة لا تؤدى إلى قرار، كأنهم يدورون في الفراغ.

### ٣ - ٧ جميل ملاعب والحرب

أنتج الفنان جميل ملاعب ثلاثة كتب تحوي رسومًا تأثرت مباشرة بالحرب:

- ١ دفتر الحرب الأهلية.
  - ٢ قريبًا من الوطن.
- ٣ آخر الظلام، أو الفجر.

لقد حقق الفنان أعماله هذه بالأسود والأبيض، اللون الأسود يقول: يجعلني استطيع التعبير عن كل المشاعر التي اختزنها، واختزن أسى وحزنًا، وهذا الأسود قادر على تفجير كل الأوجاع.

في «دفتر الحرب الأهلية» نجد مجموعة من الأعمال التي تعبر عن انفعالات وردود أفعال مختلفة تستدعينا إلى استكشاف موقف الفنان من الحرب. حيث نجده قد تناول موضوعاته بكثير من الدهشة والتساؤل، لكن هذه المشاعر لم تخف موقفه المستنكر للحرب وآثارها الجسدية والبيئية والإنسانية، فهو لم يخف انفعالاته وأحزانه ومخاوفه، ولم يسيطر عليها.

لقد أذت الفنان بشكل مباشر وعانى من ضرباتها الموجعة أثر الفاجعة التي ألمت به وبعائلته أثر مقتل أخيه في هذه الحرب، فلا غرو إذاً أن تبرز انفعالاته العصبية، في توتر الخطوط وتشنجها، والمعبرة عن توتره الداخلى وشحنه بالألم والغضب.

ثم ينتقل ملاعب إلى تصوير مواضيع الموت، التي صنعتها الحرب، ففي لوحة «عدلون»، يطرح الفنان مقولة بأن الحرب هي نتاج الاختناق والتصادم الإنساني الناتج من تصارع الحضارات وخاصة في زمن الحرب. فالعنف الناتج عن الحرب، ليس هدفه القتل فقط، بل يهدف إلى سيطرة حضارة على أخرى وثقافة على أخرى أو محو حضارات وثقافات. «مجزرة عدلون» هي إحدى مجازر الهجمة الإسرائيلية على لبنان أثر الاجتياح الذي قام به الجيش الإسرائيلي على الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ حيث داست دبابة سيارة مأهولة بركابها وقتلتهم جميعًا. الناس كانوا يحاولون الهرب من خطر الهجوم ففاجأهم الجيش وقتلهم جميعا؟ وقد تكررت هذه المأساة في الهجمات الشرسة للجيش الإسرائيلي على الجنوب الأعوام المتتالية حتى العام ٢٠٠٨.

## ٤ - ٧ عادل قديح بين الهم السياسي والانتماء الثقافي

أقام الفنان عادل قديح سنة ١٩٧٩، معرضًا تحت تسمية: «تأملات في سياق الجريح». لقد أثرت الأحداث المتعاقبة بشكل سلبي على حياة اللبنانيين ما أدى إلى اندلاع الحرب الأهلية سنة ١٩٧٥. هكذا عاش الفنان بين حربين: خارجية من قبل إسرائيل، وداخلية بين فئات الشعب اللبناني، مسلمين من جهة ومسيحيين من جهة أخرى. أثرت هذه الأحداث على الفنان وهو الملتزم بقضية «العروبة» و«العلمانية» لذلك كأن تأثير هذا الواقع أكثر إيلامًا عليه من غيره. . ضم المعرض ٢٩ عملاً أنجزت بمادتي الغواش والأكواريل. وهي تعبر بمجملها عن الانطباعات التي أحدثتها الحرب في نفس الفنان. لم يرسم الفنان الأحداث بطريقة مباشرة، حيث لا تجد قتلاً أو دمارًا أو حرائق أو رهائن... بل جسد الفنان، بمزيج من التعبيرية والسوريالية انفعالاته المشحونة بالغضب والاضطراب واليأس وبالرفض طبعًا لكل ما يدور حوله من أهوال ومآس وتهجير... «رسم لحظات التوتر، كثف الألوان والأشكال واللمسات حتى تذوب معالم الأشياء وتتلاحم».

كما استلهم الفنان في أعماله التراث العربي وبخاصة منه الخط العربي ظنًا منه أن تأكيد الهوية مناقض للعنف الكريه الذى اجتاح المنطقة.

يقول: «الدخول إلى عمق الخط العربي بحركتيه وتفصيلاته الدقيقة قد نال اهتماماً كبيراً لدى الفنان، «فحسب تقديري يمكن لهذه الحركية... أن تكون حالة تعبير عن الحركات الحاصلة بين الذات والمجتمع، حركة الشد والتقاطع والتنافر والالتقاء والابتعاد الخ...

#### ه – ٧ الذاكرة المفتوحة

في العام ١٩٩٥ تداعى ستة فنانين منهم عادل قديح والياس ديب ويوسف غزاوي ومحمد عوالي وصونيا الرضي وفوزي بعلبكي لانجاز جدارية «الذاكرة المفتوحة» في الذكرى السابعة عشرة لأول اجتياح إسرائيلي لجنوب لبنان والبقاع الغربي، «هذه الذكرى تشكل رمزًا للألم المحفور في نفوسنا منذ الولادة، ينبغي العمل على ايقاعه بغية توليد ثقافة مقاومة، تستدعي حماية منظورنا الثقافي وتقف في وجه محاولات طمسها والغائها».

كما أنجز الفنان عبد الحميد بعلبكي جدارية الحرب الأهلية، «وهي الجدارية التي اختارت قول الفاجعة بعناصر رمزية خرافية من حكايات الشرق». وقد دمرت اللوحة في احدى الغارات الإسرائيلية في اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ والتي أسفرت عن احتلال بيروت.

وفي نفس السياق رسم الفنان نزار ضاهر جدارية «مأساة لبنان» والتي مثلت التهجير في بيروت وواقع الدمار. كما رسم «معتقل انصار» الإسرائيلي والذي اقيم على أرض الجنوب اللبنانية، بالإضافة إلى «رسالة من الجبهة» و«بيروت ٨٢» و»غارة» و»بعد الغارة»... وكل ذلك في إطار رفضه للهجومات الإسرائيلية على لبنان وتعبيرًا عن سخطه عليها.

#### $\Lambda$ – استنتاج

هل صحيح على ضوء ما تقدم بان الجيل الأول الذي صور المواضيع التي تطبع الريف اللبناني، هو الذي صاغ انتماءً ما أكثر من غيره؟ لماذا انصرف هؤلاء عن المدينة، بشكل عام، نحو الريف؟ المدينة التي كانت شاهدًا على صياغة جديدة للعلاقات الاجتماعية والبصريات؟

من الثابت بان الفن التشكيلي في لبنان انخرط، هو أيضًا في مسألة الهوية. ففي حين تعلن كل من هيلين الخال وأوديل مظلوم بان الفن يؤدي دور الجسر بين الشرق والغرب وان عدم الرجوع إلى التراث هو أمر ايجابي، أو أن الأساليب العربية – الإسلامية كانت ثقلاً ينبغي التخلص منه، وذلك حرصًا على عالمية الصياغة التشكيلية في لبنان، فان هذا الفيض من النتاجات التي تحاول استلهام التراث، ليست محاولات تمر مرور الكرام أو محاولات في خضم هائل من التغريب. أنها هي الخضم الذي يؤكد على ما يلى:

حاول الفنانون اللبنانيون منذ البدء العودة إلى تراث المنطقة من فن إسلامي بفروعه الثلاثة: الخط والزخرفة والمنمنات، لذلك فهم انخرطوا بالتراثية الحروفية

استخدم الفنانون التعبيرية في مجال السخط على الحروب والتفجرات التي يعلن أكثر من واحد بأن أسبابها العدو الإسرائيلي، وبعضهم استخدم اللغة السياسية في أعماله للتعبير عن انتمائه، وقد رسم جزء كبير منهم وفقًا للطريقة الشرقية أي كما يصيغ الفن المصري القديم والفنون الرافدية عناصر العمل الفني، صحيح بأنه اكتشف شرقيته من تحصيله الفني في الغرب، لكن الصحيح بان الحداثة أتاحت له اليسر في طريقة صياغاته، لذلك نجده يستند إلى تعبيرية شرقية تتواجد أيضًا في منمنمات الواسطي.

ظل رفيف واسع من الفنانين، يعتمد الطريقة الغربية ويعلن من دون لبس «عالمية» لوحته، حرصًا منه على الانحياز إلى هوية ثقافية سائدة ومسيطرة.

لم ينخرط الفنانون اللبنانيون، كغيرهم من الفنانين العرب في مصر والعراق وسوريا مثلاً، في تجمعات فنية تعلن الهوية القومية والانتماء الثقافي، تبحث جماعيًا وتفتش عن خصوصية تشكيلية يمكنها الانسحاب على الحداثة التشكيلية، لكن مسألتي الانتماء والهوية لم تكونا ضعيفتين لديهم كما يحلو للبعض أن يعلن. انها محاولات فردية، ولكنها متكاثرة، إنها إرتداد لحركة عربية، لكنها تقع في عمق مشكلات البلد وتأزماته ونقاشاته.

#### المراجع العربية

- ١ أبو رزق جوزف وآخرون، الفن التشكيلي في لبنان، الأونيسكو، بيروت ٢٠٠٤.
- ٢ الانطوني، يوحنا حبيب صادر، صليبا الدويهي يكتب سيرته، منارات لبنان، بيروت٢٠٠٤.
  - ٣ القيسي عمران وعارف الريس، مؤسسة المحترف، بيروت. ب.ت.
  - ٤ بهنسى عفيف، الفن الحديث في البلاد العربية، دار الجنوب، الأونيسكو، تونس ١٩٨٠.
  - ٥ جرداق حليم، صورة ذاتية، دار الفنون الجميلة للاستشارات والنشر، بيروت ب.ت.
- ٦ فاخوري رياض، حديقة ضيوف، الفن الانطباعي اللبناني، غاليري بخعازي، بيروت١٩٩٣.
  - ٧ فروخ مصطفى، طريقى إلى الفن، بيروت ١٩٨٦.
  - ٨ نايف سيلفيا، بحثا عن حداثة عربية، أجيال، بيروت، ب.ت.
  - ٩ نمور سيزار، أمام اللوحة، دار الفنون الجميلة، بيروت ٢٠٠٢.

#### المراجع الأجنبية

- 1 Marie Simone Beaulieu, Visages des peintres Libanais Echelles, Mars 1963.
- 2 Gilles Plasy, Chafic Abboud, Ciamaise, NO 165, Juillet Aout-Sept, Paris 1983.
- 3 Joseph Tarrab, Paul Guiragossian, Emmagos, Beyrouth 1982.

#### صحف ومجلات

- ١ هيلين الخال، الفن في لبنان، الملتقى العربي، الحمامات، تونس ١٩٧٢.
- ٢ أحمد بزون، حسن الجوني فنان الألوان القلقة، مجلة العربي، العدد ٣٢.
- ٣ ستيتية صلاح، فنان في لباس من نور، في مجلة مواقف، عدد ٥٣، باريس ١٩٨٨.
  - ٤ سلطان فيصل، حول تجارب أمن الباشا، جريدة السفير، ١٩٩٠.
- ٥ سلطان فيصل، حوار مع جميل ملاعب، جريدة السفير، بيروت ١١ / ٨ / ١٩٨٣.
- ٦ سلطان مهي، ابراهيم مرزوق مشاهد المقاهي والأحياء، جريدة الحياة بيروت ٢٤ / ٨ / ١٩٩٦.
  - ٧ شرارة وضاح، عادل قديح لا يقرأون من عنوانه، جريدة النهار ١٩ / ٧ / بيروت ١٩٩٩.
  - ٨ شيبوب ادفيك، مع الفنانة سلوى روضة شقير، مجلة صوت المرأة، مجلد ٧، بيروت١٩٥٢.

٩ - عرابي أسعد، الدويهي والتحول من المنظر العيني إلى المشاهد القبلية، في مجلة مواقف، بيروت عدد ٦١ -٦٢.

- ١٠ عرابي أسعد: شفيق عبود وتناسخ الأمكنة، في مجلة مواقف، دار الساقي، العدد ٥٢، باريس ١٩٩٧.
  - ۱۱ قديح عادل، جوليانا ساروفيم ١٩٣٤ ٢٠٠٥، المجلة التربوية CRDP، بيروت ٢٠٠٥.
  - ١٢ قديح عادل، حول البنية الجمالية للخط العربي، في مجلة الوحدة، العدد ٧٠-٧١، الرباط ١٩٩٠.
    - ١٣ قديح عادل، حوارية الذاكرة المفتوحة، مجلة النقطة، العدد٢٥ ت١ ت٢ بيروت ١٩٩٥.

#### رسائل جامعية

منتهى برجاوي، أثر الحرب الأهلية على فن التصوير اللبناني، رسالة دبلوم، معهد الفنون الجميلة، الفرع الأول ١٩٩٨. شيرين الخرسا، حسين ماضي ومساره الفنى، رسالة دبلوم معهد الفنون الجميلة، الفرع الأول، ٢٠٠٥.

3 – Adel Koudaih , La dimension plastique de la calligraphie arabe Thèse de Doctorat, Paris VIII 1988.

## « Web révolution : Origines et conséquences »

Dr. Mustapha Guenaou CRASC-Oran

#### Introduction

Le monde arabe connait, depuis les débuts de l'année 2011, une vague de protestations populaires que certains journalistes qualifient de « printemps arabe ». Alors, ces protestations ont leurs propres origines.

A cet effet, notre contribution portera, essentiellement, sur ce phénomène de la protestation populaire qui prend, de plus en plus, de l'importance pour atteindre, ces derniers mois, une autre tournure. Il est à noter que dans certains pays arabes le pouvoir exerçait, des années durant, une politique et assurait des compromis avec une forme nouvelle que nous qualifions de « forme exceptionnelle de la politique de la démocratie. »

L'histoire et la mémoire nous rappellent le passé de chacun des pays, touchés par cette « révolution populaire » d'ordre sociopolitique.

Les événements de la Tunisie, de l'Egypte, en premier lieu, de la Lybie, du Yemen et de la Syrie, en deuxième lieu, sont des cas pratiques qui méritent tant d'attentions pour une meilleure compréhension de ce qui se passe dans les deux types de pays. D'ailleurs, il est nécessaire de rappeler qu'une troisième catégorie de pays est touchée, dans la même vague, par le phénomène « printemps arabe ». Il s'agit du royaume du Maroc, Sultanat Oman et l'Emirat du Bahrein.

A partir de quelques éléments, résultats de quelques lectures purement socio anthropologiques, nous proposons une analyse du phénomène sociopolitique de revendications, avec sa formule nouvelle dite « printemps arabe », liée aux Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication.

Sur la base de ce constat, nous proposons une approche qui permettra de poser la problématique suivante :

Quel est le principal responsable de la chute des pouvoirs en Tunisie et en Egypte?

### Les hypothèses suggérées sont :

- 1- Le mouvement populaire des jeunes.
- 2- Les Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication.
- 3- La mondialisation de la politique démocratique.
- 4- La perte/ ou l'absence de la politique de la qawmiya.

### I- Rappel pour l'histoire et la mémoire des arabes:

Les médias ont joué, pleinement, leur rôle dans l'information. Ils prirent de la bouche de quelqu'un, peut être une personne ignorant l'importance de l'usage de certains mots, l'expression « printemps arabe », devenue très populaire après l'avoir utilisé à la Une de leur organe de presse. D'ailleurs, il serait intéressant de le rappeler que les prémices de la « révolution du jasmin » remonte au mois de décembre 2010, avant le premier jour de l'hiver.

Il s'agit du 17 décembre 2010, la journée de l'immolation de Mohammed Bouzizi à Sidi Bousaid (Tunisie), à la suite d'une gifle qu'une femme-policier lui aurait infligée en public. Devant cette « h-shûma », il ne trouva aucun moyen pour exprimer sa colère face à la « hogra » au sens du mépris d'un homme par une femme. La dignité de l'arabe oblige!

Bien que la religion musulmane interdise la mort volontaire, il se précipita à cet acte de suicide pour attirer l'attention des « Autres ». D'ailleurs, d'autres citoyens arabes le suivirent, dans certaines villes maghrébines.

Cette revendication prit une nouvelle tournure : la manifestation du quartier que la presse avait médiatisée. Puis, le relais a été pris par un petit groupe de jeunes, des internautes d'origine tunisienne et admirateurs de facebook.

Sous forme de revendications sociales, les manifestations se sont multipliées à travers les villes de la Tunisie. Le facebook, un réseau social de communication, est devenu le moyen le plus facile et le plus efficace pour la constitution d'un réseau, visant essentiellement un grand rassemblement populaire pour rendre hommage à l'immolé, devenu plus tard le martyr et le symbole de la « révolution du jasmin ».

Cette manifestation sociale prit de l'ampleur et devint une revendication politique, avec divers slogans dont quelques uns réclamaient le départ du premier magistrat du pays.

Les relations peuple – gouvernement se dégradèrent et la révolution populaire prit une nouvelle allure, dans un temps court. Dégénérée, cette situation entraina la sortie de la police, d'une manière interventionniste. Tels sont les prémices de la « révolution du jasmin ».

Les égyptiens, pourtant un peuple d'une grande civilisation, voyant la réussite de la « révolution du jasmin », suivit la même démarche. Il réussit et fit la « révolution de la place Tahrir » pour répondre aux conditions de la préparation de la fin du régime, ayant dépassé le quart du siècle pour atteindre la troisième décennie.

Plusieurs jeunes d'autres pays arabes tentèrent de faire la même expérience; mais en vain. L'expérience de la « révolution du jasmin » et de la « révolution de la place Tahrir » servit de bonne leçon à plusieurs chefs d'Etat, rois et princes.

Au lieu d'adopter la politique de « Zine El Haribine » ou du « retrait à Sharam Esh Sheikh », ils choisirent une nouvelle stratégie : celle de la contre -révolution populaire. C'est le cas de la Libye, du Yemen et de la Syrie. Les autres pays, ceux de la monarchie, prirent l'initiative politique de répondre à la demande du peuple, organisée en revendications populaires.

Bien que les slogans rappelaient « Er-hal! » ( la langue des mû-'âalagats ) ( dans la langue de Victor Hugo), certains présidents parlent la ou « Dégage! » langue de « çûmûd ».

#### II-Les experts et le fruit de leurs analyses politiques:

Nombreux sont les experts politiques qui, dans le monde et surtout en Europe, pensaient que cette série de protestations populaires allait toucher tous les pays arabes et que 2011 serait l'année de la chute de leurs gouvernements.

Certains parlent de protestations dans le monde arabe, d'autres insistent sur le terme révolutions populaires arabes. Les plus ingénieux rappellent, pour l'histoire et la mémoire, le nom de l'événement du « printemps berbères » et d'attribuer le titre de « printemps arabe » aux revendications populaires, organisées par les mouvements de jeunes arabes et non pas au « printemps des peuples » [1] qui nous renvoie à 1848. Dans ce cas, ils auraient pu reprendre l'idée pour dire le « printemps des peuples arabes ». Ils voulaient, sans nul doute, parler d'un réveil sociopolitique dans les pays arabes.

### III- Les sources principales des difficultés socio économiques:

#### - La transition démographique

Par la transition démographique, il faut entendre cette variation, celle qui peut exister entre la natalité et la mortalité. Elle est due à une évolution démographique, enregistrée dans les pays et plus particulièrement ceux qui sont touchés par ces mouvements de jeunes, les animateurs de ces révolutions populaires de contestation et de protestation.

Soutenue par une théorie dite de transition démographique, cette évolution permet aux observateurs de mieux saisir l'opportunité pour faire un constat : il s'agit d'un passage d'un taux de natalité et de mortalité à un autre. Il s'agit d'une croissance du taux de natalité et une décroissance du taux de mortalité. Cette situation est due à un ensemble de moyens et de techniques médicales mis à la disposition de la médecine pour une modernisation et une spécialisation afin de diminuer la mort d'un nombre important d'individus : enfants , jeunes et adultes [2].

Dans cet ordre d'idée, Henri Leridon parle des « trois régimes de Landry » [ 3] qui rappellent :

- « Nuptialité et natalité sans frein.(...)
- Contrôle de la fécondité par la nuptialité (célibat et mariage tardif).(...)
- Contrôle des naissances dans le mariage mortalité en baisse : contrôle pour des motifs économiques et autres. (...)»[4]

## - Le développement des services de la médecine

Le développement des services de la médecine s'explique par l'importance du taux de fécondité dans les pays arabes. A cet effet, la population se rajeunit et se présente au marché de travail qu'elle trouve saturé par le manque de postes à pourvoir. Ce déficit en matière de travail se répercute sur le pouvoir d'achat qui, généralement, est fonction du budget familial.

Devenu important dans les pays arabes, ce facteur peut jouer, selon le degré de chômage de chaque pays arabe, un rôle déterminant dans les prémices des mouvements revendicateurs qui se prolongent par des grèves , des protestations et des contestations , avant d'atteindre son apogée et devenir un problème sociopolitique : au niveau du groupe familial puis à un haut niveau du

pouvoir de discussion et de décision politique.

#### La crise économique

La crise économique mondiale a pour conséquences des répercussions sur l'économie mondiale et sur l'économie de chaque pays arabe, malgré leurs sources naturelles. Celles-ci sont la cause principale des conflits, difficiles à gérer socialement, économiquement et politiquement.

Ces répercussions peuvent, sans nul doute, remettre en cause certaines politiques, adoptées par les chefs d'état arabes. La mésentente populaire prend naissance à partir du moment où apparait un système dit d'inégalité sociale.

#### IV-Les causes des revendications:

Quelques facteurs ont encouragé la propagation de ces révolutions populaires, sous l'hospice des revendications sociales devenues politiques par la force des choses.

A cet effet, les causes sociopolitiques de ces revendications populaires sont classées comme suit :

### L'absence (manque) de la liberté individuelle.

Les spécialistes du monde arabe insistent sur l'idée que les pays arabes sont dirigés par un régime dit à caractère autoritaire. Ce régime serait la cause principale de l'absence (manque) de la liberté publique.

## Le chômage chez les jeunes.

Les pays arabes touchés par ces révolutions populaires sont ceux qui ont un taux de chômage important. Celui-ci peut jouer un rôle très influent dans ces mouvements de revendications sociales avant de devenir politiques.

## La misère générale.

La misère peut provenir d'un fléau qui touche un nombre de pays arabes : les détournements des deniers publics et l'importance de la corruption. Ceux- ci rongent l'économie du pays et mènent la population vers la misère partielle puis générale.

## La cherté de la vie de la population.

La hausse des prix des produits alimentaires a touché toutes les couches sociales dont celles qui sont pauvres. Toute forme de hausse de prix se répercute, essentiellement, sur le revenu des individus en le limitant d'une part et réduisant son pouvoir d'achat d'autre part.

Cette situation a pour effet l'inaccessibilité de certains produits qui pourront aller jusqu'à rendre impossible leur acquisition. C'est le cas du logement, devenu dans les pays arabes une priorité pour réduire le taux du célibat chez les jeunes. Cette forte demande de logement est une conséquence du fort taux de fécondité. Le problème du célibat rejoint les frustrations qui s'accumulent chez les jeunes.

#### Le besoin de la démocratie.

Ces mouvements de jeunes ont eu recours à cette forme de revendications dite populaires. Les contestations sociales sont les principales causes des révolutions populaires dans le monde arabe. Il s'agit d'une méthode sans violence pour pouvoir atteindre les objectifs, liés à l'amélioration des conditions sociale, économique et politique.

Mais, le pouvoir n'ayant pu résister à ces manifestations répétitives sur les places publiques, devenues, pour les sociologues et les anthropologues, historiques à la suite des rassemblements qui ont pu donné leur fruits : la fuite du président de la république tunisienne et le retrait de la scène politique du président de la république égyptienne.

Certains pays arabes présentaient des indices d'une transmission du pouvoir, devenue héréditaire. Alors, tous les régimes de ces pays, touchés ces révolutions populaires, sont de type républicain.

#### $\mathbf{V}_{-}$ Les Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication:

#### Α-L'importance de la communication

Ces mouvements de jeunes utilisèrent, pour leurs revendications sociales devenues politiques, les Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication à savoir le téléphone mobile (le multimédia) et l'internet (la communication virtuelle).

Cette nouvelle technologie se complète avec la télévision satellitaire. D'ailleurs, celle-ci joua, pleinement, son rôle dans la transmission des images

vivantes relatives aux événements qui ont secoué plusieurs pays arabes. Les protestations se multiplièrent et la participation des jeunes et des femmes est devenue conséquente.

Pour pouvoir comprendre l'importance de la communication, il est nécessaire de saisir l'occasion de mettre en avant l'usage du support, alors constitué de l'ensemble des outils et des moyens de la téléphonie, de la télévision satellitaire et de l'internet.

A cet effet, le pouvoir, malgré lui, pensa à une forme de dérangement pour mettre fin à cette foule qui provoqua un désordre dans le pays. Il utilisa ses propres moyens dont le bruitage des communications téléphoniques, le brouillage des images et la coupure des réseaux sociaux utilisant l'internet et la téléphonie.

D'autres agents de l'information et de la communication connurent beaucoup de problèmes dans le cadre de leur mission d'informer l'opinion internationale de tout ce qui se passait sur les places publiques, devenues les tribunes populaires de revendications sociale puis politique.

#### B-Le droit à l'information

Devant ce « printemps arabe », les personnes ont droit à l'information. Plusieurs entreprises proposent les offres, liées au développement de la Technologie de l'Information et de la Communication dans le monde.

A cet effet, une journée d'étude fut organisée, en juillet 2010, pour proposer un thème, intitulé « Innovation web 2.0 et données publiques » [5]. Cette rencontre visait, essentiellement, la démonstration du rôle que peut jouer les professionnels de l'information, en fonction de l'évolution des Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication.

#### C-L'importance et le rôle des Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication

En vue de nous intéresser à l'avenir des Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication et de comprendre l'importance du virtuel dans la vie sociale et politique, nous insisterons sur la communication par internet pour mieux saisir les dimensions de la révolution populaire arabe qui visent, principalement, la chute des théories anciennes des chefs d'Etat pour une nouvelle ère de la démocratie dans les pays arabes.

S'agit –il d'un nouvel ordre géopolitique dans les pays arabes où les mandats des présidents allaient devenir à vie ?

Le plus important à rappeler est de chercher les points communs de ces révolutions populaires qui ont ébranlé quelques pays arabes dont certains connurent une chute vertigineuse de leur régime respectif.

Les médias et les Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication sont les éléments fondamentaux de la réussite des révolutions populaires, et surtout celles de la Tunisie et de l'Egypte. Ils ont joué un rôle important.

Si nous prenons le cas des médias (les chaines et la télévision satellitaire) et des N.T.I.C. (la téléphonie mobile et les réseaux sociaux dont Facebook), nous avançons l'usage d'un terme qui regroupe tous les moyens mis à la disposition et au service de ces mouvements de revendication et de protestation. Nous le désignons par l'expression « web- révolution ». Alors que d'autres termes[6] furent utilisés pour désigner cette nouvelle formule de révolution populaire dans les pays arabes.

La web-révolution est une révolution via internet qui aurait facilité la tâche aux internautes en vue de pouvoir communiquer sans gêne ni difficultés ; et ceci grâce au développement des Technologies de l'Information et de la Communication.

Facilitant la communication, cette technologie permet et continue de permettre une grande circulation de l'information via internet sans être soumise aux dictats du temps, du lieu et de l'espace.

Toute information, texte ou image, connut une fluidité, extrêmement importante dans la circulation, la transmission et de la communication. Dans un temps recors, les réseaux sociaux se sont développés dans le cadre de la forte augmentation des utilisateurs, connus sous le nom d'internautes du XXI° siècle.

« Le monde est désormais entré dans la période du web 2.0 , et les nouvelles applications qui en découlent concernent principalement les réseaux sociaux : interface permettant aux internautes ayant peu de connaissances techniques de s'approprier les nouvelles fonctionnalités du web et d'interagir facilement entre eux et sur le contenu. Outils non professionnels, les réseaux sociaux concernent tous les publics. » [7]

Présenté par Elisabeth Gayon et coordonné par Louis Seguin, un dossier sur les réseaux sociaux est mis à la disposition des chercheurs : « Pragmatique et illustré,..., il traite à la fois des usages, des outils et des méthodes. (Le chercheur

pourra, sans nul doute, trouver ) de nombreuses informations pratiques ( qui permettront ) de mieux comprendre les applications et les potentialités des réseaux sociaux. » [8]

A cet effet, les réseaux sociaux sont considérés comme outil simplifié de la gestion des connaissances humaines pour être une des plateformes de collaboration. Améliorés, ils sont en étroite relation avec la culture qui touche directement l'information.

Dans la même optique, ces réseaux nous permirent de noter l'amélioration des services et la diversification des cultures qui en découlent :

- L'intelligence informationnelle.
- La culture de l'information [9].
- La culture informationnelle.
- La formation des usagers de ce type de réseaux.
- La maîtrise de l'information.
- La maîtrise de l'informatique. [10]

Bien que développés, ces réseaux connurent quelques perturbations telles que la censure, le bruitage, le brouillage dont leurs auteurs sont les contrôleurs du flux de la communication virtuelle.

S'alimentant de toutes les formes d'information, il suscite une dynamique collaborative dans toutes les sociétés, déjà touchées par la mondialisation de l'usage informatique et informationnel. L'alimentation et la contribution se complètent pour pouvoir servir l'usager de ces Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication[11].

Ces réseaux sociaux sont les créateurs pour l'usage de :

- L'interface.
- La collaboration.
- La création des synergies entre les usagers.
- L'engagement de la conversation virtuelle.

- La gestion des connaissances et de l'information.
- La circulation de l'information.

Par ailleurs, ils ont une diversité de fonctions [12] telles que :

- Les fonctions sociales.
- Les fonctions communicationnelles.
- Les fonctions conversationnelles.
- Les fonctions du partage des idées et des avis.
- Les fonctions relationnelles.
- Les fonctions de transmission des avis. [13]

Il est à noter que ce « printemps arabe » a formé des acteurs spécialisés dans les réseaux sociaux, et surtout ceux qui ont contribué à la chute de certains régimes politiques dans les pays arabes.

Ces réseaux jouèrent pleinement leur rôle dans :

- La transmission de l'information.
- La communication des documents et archives.
- La vulgarisation de couverture médiatique.
- La structuration des mouvements revendicateurs.
- La structuration des mouvements des jeunes internautes.
- La structuration des mouvements de protestation.
- La structuration des groupes contestateurs.
- La structuration du mouvement de déstabilisation politique des stratégies de lutte contre les révolutions.
- La structuration du mouvement contre les tentatives de contre -révolution populaire.

La structuration d'un mouvement contre la politique de la dictature et du contrôle [14] des réseaux sociaux.

#### Conséquences et répercussions du web -révolution VI-

Les conséquences socio politiques

Kamal Hamdan, auteur d'une analyse intitulée « Enjeux politiques et économiques du printemps arabe : une première lecture » [15], mit en avant quelques éléments d'analyse permettant de dire que les arabes sont comme les européens et les américains. Ils peuvent connaître un réveil pour pouvoir se soulever contre leur régime respectif. Il s'agit donc d'un soulèvement contre la « hogra », la corruption, l'oppression et surtout la dictature dans toutes ses formes.

Nous pouvons, à cet effet, parler de la mondialisation de la démocratie ou plutôt de la politique démocratique.

Régis par les mouvements des jeunes favorables au changement, ces soulèvements populaires dans les pays arabes, sont poursuivis par des mouvements de protestation et de contestation sociale, devenus politiques revendiquant le départ des dirigeants.

Directeur exécutif de la « Consultation and Research Institute » [16], Kamel Hamdan parle de démantèlement d'un nombre de mythes politiques. « Ces mythes, dit-il, portaient essentiellement sur l'incapacité des peuples arabes, leur passivité, leur immobilisme et leur inaptitude à la démocratie. » [17]

Les répercussions sociale, économique et politique.

Comme le « printemps arabe » a des causes, il laisse des séquelles, qu'elles soient à court terme ou à long terme. Nous les avons associés aux conséquences sociale, économique et politiques [18].

Ces conséquences ont des répercussions, principalement, dans la société que nous retrouvons à divers niveaux :

- -des crises sociales.
- -des crises politiques.
- -des crises économiques.

### La nouvelle carte géopolitique du monde arabe.

Sachant que le monde connait un réveil associé à la Nahda, définie comme « mouvement de renaissance culturel et politique particulièrement riche que le monde arabe a connu vers la fin du 19 °(XIX°) siècle. » [19]

Depuis la fin des années cinquante, nombreuses sont les perspectives annoncées. Elles touchaient de près les pays arabes et plus particulièrement le Moyen- Orient:

- -L'éclatement des pays arabes.
- -Le projet de remodelage du Proche Orient.
- -L'initiative du Grand Moyen Orient.
- -La décomposition ou morcellement du Liban.

Etc. [20]

### La régulation du conflit israélo- palestinien.

Ces révolutions populaires dans les pays arabes se poursuivront jusqu'à atteindre le Moyen -Orient pour pouvoir rediscuter le problème qui oppose les arabes de la Palestine aux israéliens [21].

## Les conséquences sur les avoirs des présidents

Depuis leur chute, certains régimes connurent des surprises : les comptes bancaires personnels de leurs chefs d'état respectif sont bloqués à l'étranger [ 22].

Il est à noter que, depuis les prémices des révolutions dite « le printemps arabe », certains décideurs de banques étrangères avaient songé à la récupération des capitaux mal acquis des chefs d'Etat, associés à « des capitaux volés des dictateurs ».D'ailleurs, la loi sur la restitution des avoirs illicites est entrée en vigueur, en date du premier février 2011 [23].

## Les conséquences socioéconomiques

Les départs des chefs d'Etat sont alors considérés comme chute respective des régimes. A cet effet, les deux pays changent de dirigeants [24].

Si la fuite du président de la République Tunisienne vers l'Arabie Saoudite est

enregistrée, la direction du pays entama une nouvelle ère vers la démocratie, marquée par une procédure de changement de constitution.

Pour l'Egypte, le présent de République démissionna pour se retirer du pouvoir, mais il transmit le pouvoir à une nouvelle direction : le pouvoir du pays passe à un conseil suprême des forces armées.

Depuis les événements dans les deux pays, concernés par notre analyse des conséquences économiques, le taux de croissance économique connut une chute, comme celle de leur régime respectif. A cet effet, cette croissance économique est devenue plus faible qu'avant. Devant cette situation très alarmante, la croissance économique n'arrive pas à fournir des emplois sur le marché du travail. Les familles connaissent, depuis la chute de leur régime, des difficultés financières pour subvenir à leurs besoins familiaux et plus particulièrement l'achat des produits de première nécessité.

Pour les deux pays, les recettes financières, en provenance du secteur porteur à savoir le tourisme, ont vraiment chuté jusqu'à penser aux incitations à un retour des touristes. Il est à noter que les pertes sont enregistrées dans le secteur de l'hôtellerie et la restauration.

Nombreux sont les commerces qui ont baissé leur rideau par manque de touristes et de nouveaux acquéreurs puisque les deux pays sont classés parmi les pays à haut risque. L'instabilité politique s'est répercutée sur les secteurs porteurs pour les placer dans une situation en veilleuse économiquement.

Cette instabilité politique et économique est venue augmenter les pertes en recettes pour leur pays respectif et aggraver les conséquences de la crise économique mondiale.

L'impossibilité de faire face à cette crise locale, voire mondiale, entraina les deux pays vers un précipice d'ordre économique, commercial, financier, sociale. La perte du pouvoir d'achat s'est aggravée pour tous les citoyens, à tous les niveaux des couches sociales.

Par ailleurs, les investissements étrangers connurent, dans chacun des deux pays, un effondrement dont les conséquences sont évaluées et considérées comme lourdes. La peur des investisseurs est fortement ressentie devant une telle situation, celle de la chute d'un régime qui aurait été soutenu par d'autres pays européens [25].

Sachant bien que la Tunisie est un pays ayant une forte communauté émigrée en Europe et dans les pays arabe. Des égyptiennes sont nombreuses dans les pays du Golfe. Ces communautés à l'étranger ont une tradition : l'envoi de la devise au pays d'origine. Cette instabilité poussa les émigrés à réduire la somme d'argent à envoyer au pays.

A cet effet, une forte diminution des entrées financières, pour chaque pays, a été enregistrée, depuis les prémices de la vague des contestations et des protestations populaires.

### Les conséquences sociales

La crise économique a des répercussions sur la société, touchée par la révolution populaire et par les mouvements de contestation et de protestation du peuple arabe:

- la perte du pouvoir d'achat.
- bla perte de l'emploi.
- la pauvreté. c-

Ces trois répercussions peuvent être, dans la grande majorité des couches sociales, la source principale de la « harga », l'émigration clandestine vers les pays de l'Europe, « l'Eldorado des arabes ». Devenue un grand fléau, cette émigration non désirée ou indésirable pèse lourdement sur l'économie des pays du bassin méditerranéen et plus particulièrement ceux de l'Europe.

Ce phénomène social est devenu, aux yeux des spécialistes des harraga, un handicap, politiquement ressenti par les milieux de l'émigration. D'ailleurs, il est associé à ce que nous pourrons appeler « la forme de prise en charge de la misère des autres ».

Il est à noter qu'au lendemain des prémices de chaque mouvement de protestation, plusieurs « botés » [26] furent interceptés par les services de gardecôte des pays touchés par cette forte émigration clandestine. Le flux de l'émigration clandestine est devenu plus important. Il exigea, d'une part, la prise de conscience des pays ciblés par les émigrés clandestins et, d'autre part, la mise en forme d'une politique ou plutôt d'une stratégie de stabilisation sociale et politique des pays concernés par le « printemps arabe ».

D'ailleurs, ces flux d'émigration clandestine ont suscité de nombreux débats entre les gouvernements dans le but de faire appel à une solidarité des pays de l'Europe et plus particulièrement ceux du Bassin méditerranéen.

#### VII- Situation du panarabisme dans le monde arabe

Le panarabisme n'est que la « qawmiya », concept utilisé dans la littérature politique et les discours politiques du monde arabe. D'ailleurs, cette « qawmiya » est un mouvement sociopolitique, culturel. Basé sur une idéologie, ce mouvement exclut le principe de la ségrégation par la confession : la religion des individus n'est pas prise en compte dans les principes idéologiques du panarabisme. Ce nationalisme arabe insiste sur les principes de la sauvegarde de l'idéologie arabe. Les objectifs de ce mouvement nationaliste arabe sont :

- L'union des pays arabes.
- L'unification des peuples arabes.
- La défense de l'identité arabe.
- La faveur du destin commun des arabes.

Fondatrice de ce nationalisme, la « gawmiya » insiste sur un mouvement de la « Nahda arabe » ( la renaissance arabe)

VIII- Exode du pays de la Umma 'arabiya vers celui de la communauté européenne : espaces utopiques

Depuis les débuts du « printemps arabe », les pays arabes en crise ou en révolution connaissent un phénomène délicat qui, d'ailleurs, rongera les pays de l'Europe puisque leurs gouvernements ne cessent d'encourager la révolution populaire sans se rendre compte des lourdes conséquences à subir dans l'avenir.

Les européens et les américains sont en compétition dans les pays arabes. Chaque pays dit « fort »cherche à convaincre la population pour une forme de mondialisation de la démocratie dans le monde arabe. Certains gouvernements reconnaissent l'autorité du « conseil de la transition démocratique » pour se donner le titre de la « paternité » de cette démocratie dans le monde arabe.

Les tunisiens et les arabes du Moyen Orient retrouvent à ces espaces utopiques « l'eldorado », en particulier la France, le pays le plus accueillant de l'Europe.

Quelques uns, arabes et africains étrangers au pays en révolution populaire, pour ne pas dire en soulèvement contre leurs principaux dirigeants, ont rejoint leur pays d'origine. Quant aux nationaux, ils quittent leur pays pour une nouvelle destination : les pays de l'Europe.

Cet exode est assimilé à une migration atypique puisque celle-ci présente des caractéristiques non similaires aux habituelles. Il s'agit d'une migration clandestine qui doit peser lourdement sur l'économie des pays de l'Europe. Ce phénomène migratoire devient, quantitativement, reconnu et attesté.

Depuis longtemps, le pont entre les deux rives devient important et facile puisque l'usage du « boté » est devenu une chose simplement réalisable.

L'initiative est associée à un engagement et une volonté d'émigrer clandestinement vers les pays de l'Europe. La mer a ouvert la voie à une migration clandestine sous le signe de l'exil, par la peur de mourir dans son pays en révolution. Cette mobilité s'identifie, tout en déclinant la portée de cette forme de phénomène migratoire forcé.

Aucune distinction n'est faite entre un enfant et un adulte, entre un individu de sexe masculin et un être humain de sexe opposé : toutes les classes sociales et tous les âges sont concernés. Ce phénomène est appelé « harga », celle que nous connaissons tous : ses origines, ses portées et ses conséquences.

Pour des raisons sécuritaires, ces migrants clandestins parlent de départ du pays d'origine. La décision est individuelle avant de lui donner le cachet de collective.

Par ailleurs, nous parlons d'une migration intra monde arabe : celle-ci permet aux individus de donner un sens à cette volonté de rejoindre un pays arabe et musulman et surtout pour lui assurer l'attribution du nom de la « hidjra ». Le phénomène se développe et la crise dégénère pour assurer une continuité de la migration dans les pays d'accueil, avec ses problèmes et ses conséquences.

#### **Conclusion**

Entré dans la littérature sociopolitique, le concept « printemps arabe » n'a pas lieu d'exister puisque les premiers utilisateurs du vocable sont arrivés à confondre les débuts des saisons ou ils avaient l'intention de mettre en avant un mot pour pouvoir l'introduire dans les dictionnaires sociopolitiques. Peut être, l'un d'eux pensait être devenir le père de ce mot, devenu usuel dans les médias.

Si les contestations, les protestations et les revendications se poursuivent, elle atteindra le Proche Orient. A ce moment, les palestiniens emprunteront une issue pour pouvoir parler de leur territoire et le revendiquer et ils se feront entendre à travers les Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication, en utilisant la téléphonie, l'internet et d'autres outils qui permettront l'organisation de nouvelle forme de web-révolution qui viendra dynamiser « El Intifada ».

L'internet joua un rôle important dans ces révolutions populaires et devint incontrôlable, malgré la dictature effectuée par le pouvoir en place dans certains pays.

Le mouvement de protestation prit le rôle du mouvement de contestation et de revendication, grâce à la réussite due à l'internet pour devenir une révolution populaire des jeunes internautes et non internautes. C'est l'une des raisons qui nous pousse à attribuer la paternité de ces révolutions populaires à l'internet. Considéré comme facteur principal de ces mouvements, il permit un changement dans certains pays arabes puisqu'il serait, sans nul doute, l'élément déclencheur des premières manifestations, les prémices de ces révolutions populaires.

Si le « printemps arabe » est assimilé au réveil des arabes, la révolution populaire dans les pays concernés persiste et entraine une crise qui se prolonge, des mois durant, puisque le processus de la transition vers une démocratie nécessitera plusieurs réformes. Alors que ces dernières risquent d'exiger un temps plus long pour une meilleure prise en charge de la période transitoire.

La période transitoire de la démocratisation du régime en place touchera de près tous les domaines. Ils seront pris en charge et ils traiteront toutes les questions économiques, financières, commerciales, politiques et sociales [27] pour une amélioration de la situation des citoyens.

Si le « web -révolution » a réussi à rassembler, dans un temps record, un nombre important de citoyens, entre internautes et autres, la crise économique persistera dans le bon sens c'est- à- dire assurer l'instauration de la démocratie dans les pays arabes dont le régime est dictateur.

Donc, la réussite de la transmission des idées démocratiques serait, effectivement, celle de la transition démocratique.

Pour la relance de l'économie des deux pays, issus du « printemps arabe », il est nécessaire de faire appel aux plans de relance de certains activités économiques pour pouvoir stimuler les demandes « en suspens », celle qui pourront, du jour au lendemain, entrainer une nouvelle vague de contestation et de revendications. Il s'agit, en particuliers, des programmes d'aide et d'assistance pour pouvoir sortir de cette crise sans séquelles économiques et sociales. A ces programmes peuvent s'ajouter l'encouragement des investissements étrangers avec une garantie, au moins décennale, pour une prise en charge de la continuité des activités des secteurs ciblés.

Peut être, le « printemps arabe » sera la cause principale de lourdes conséquences sur les accords, portant sur l'Espace Schengen.

Les réseaux sociaux sont des animateurs de communauté [28]. Mais il est à noter l'existence des limites et des dangers des réseaux sociaux [29] dans toute forme d'utilisation au sein d'une société ou d'une communauté quelconque.

Si les utilisateurs se sont diversifiés pour occuper l'espace virtuel, les réseaux sociaux sont devenus de plus en plus des moyens et des outils incontournables chez les jeunes du monde arabe comme tous les jeunes des autres pays. D'ailleurs, l'internet connait de plus en plus de l'importance pour la communication et la transmission de l'information [30].

« dans ces conditions, écrit Charles saint-Prot ( janvier – février 2009), on ne peut qu'approuver le président sarkozy (...).Il est grand temps. » [ 31]

Alors, celui-ci avait déclaré: « il faut en quelque sorte profiter de cette crise pour remettre sur la table l'idée d'une grande conférence qui permettrait de poser les bases d'une paix durable ( dans le monde). » [ 32]

#### **Notes**

[1] Il s'agit de plusieurs révolutions dans les pays de l'Europe :

- La révolution allemande
- La révolution autrichienne
- La révolution française
- La révolution hongroise
- La révolution italienne
- La révolution polonaise
- La révolution roumaine.

[2] Cf. infra.

- [3] Nous insistons sur ces trois régimes de Landry. Cf. Leridon(Henry) , « La transition démographique : théorie ou processus ? », Collège de France, 2009, p.3 www.college-de-france.fr/.../UPL34940\_La\_transition\_d\_mographique.pdf
- [4] Cf. Leridon(Henry), « La transition démographique : théorie ou processus ? », Collège de France, 2009, un document de 38 p.
- [5] Cf. Marion Taillefer, « Innovation web 2.0 et données publiques », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 1-20

[6]Les termes recensés pour désigner ces révolutions sont :

- La révolution virtuelle.
- La révolution Facebook.
- La révolution Twitter
- La révolution 2.0
- La révolution internet.
- [7] Elisabeth Gayon, « Réseaux sociaux : quelle place pour les professionnels de l'information », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, p1.
- [8] id.
- [9] Olivier Le Deuff, La culture de l'information et l'héritage documentaire, in D.S.I, 2010, vol 47,n° 3, pp 4-11
- [ 10] Elisabeth Gayon, « Réseaux sociaux : quelle place pour les professionnels de l'information », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, p1
- [11] Bruno Louis Seguin et Olivier Roumieux, «Les organizations découvrent le (réseau) social », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, p 5-24
- [12] Nous insistons sur les nuances qui peuvent exister entre les différentes fonctions énumérées.
- [13] Thomas Poinsot, «Les réseaux sociaux d'entreprises: repère pour un nouveau monde collaboratif », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 26-30
- [14] Le contrôle du flux de la communication virtuelle.
- [ 15] L'analyse porte sur les deux révolutions :
  - La révolution du jasmin (Tunisie)
  - La révolution de la place Tahrir (Egypte).
- [16] A Beyrouth (Liban)
- [ 17] Kamel Hamdan, « Enjeux politiques et économiques du printemps arabe : une première lecture », un document de 15 p in www.contemporania.org/.../HAMDAN

[ 18] cf. supra

- [19] Kamel Hamdan, «Enjeux politiques et économiques du printemps arabe : une première lecture », un document de 15 p.www.contemporania.org/.../HAMDAN
- [20] Charles saint -Prot, « la nouvelle carte américaine du Proche Orient» (octobre 2006)

http://www.etudes-geopolitiques.com/editorial\_contents5.asp

[21] Charles saint -Prot, » la centralité de la crise palestinienne » ( janvier- février 2009)

http://www.etudes-geopolitiques.com/editorial crisepal.asp

- [ 22] Les chefs d'état concernés par cette mesure de comptes bloqués sont :
  - Zine El Abbidine Ben Ali: cinq jours après sa fuite par les banques suisses (19 janvier 2011).
  - Hosni Moubarek : le jour de sa démission par les banques suisses (11 février 2011).
  - Mouammar El Kaddhadi :quatorze jours après l'éclatement des contestations par les banques américaines (25 février 2011)
- [23] Steven Phillpsohn et Anthony Riem, « récupérons les capitaux volés des dictateurs », in Temps, 23 fevrier 2011, p16
- [24] La Syrie connut uniquement le changement du Premier Ministre, comme ce fut le cas de la Jordanie.
- [25] Le cas de la Tunisie dont le régime était soutenu par certains pays de l'Europe
- [26] Un emprunt devenu un néologisme pour designer la barque ou le canot transportant les clandestins vers les rives des pays de l'Europe: L'espagne, la France, l'Italie, la Sicile, la Sardaigne, etc.
- [27] Le traitement se fait suivant cet ordre.
- [28] « le web 2.0 frappe fort». Cf. Duport (François), «Animateur de communauté: un profil à géométrie variable», in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 32-3

[29]Sylvain Champloix, « limites et dangers des réseaux sociaux ouverts ouverts dans le cadre d'une utilisation professionnelle», in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 5-34

[30] Emilie Ogez, les usages des RSE se diversifient dans les organisations, in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 38-41

[31] Charles saint -Prot, » la centralité de la crise palestinienne » in http://www.etudesgeopolitiques.com/editorial\_crisepal.asp

[32]id.

## **Bibliographie**

- Philippe Breton et Serge Prolux, L'explosion de la communication ,Casbah éditions, Alger, 2000.
- CAPOT -REY ,« La politique française et le Maghreb Méditerranéen (1643-1685). Bibliographie », In Revue Africaine 1934, Alger, pp47-61, pp175-217, pp426-90 et 1935, pp 97-163
- Jean-Paul Charnay 1-Frustrations arabes. Entre thawra et géosociologie II, Editions Al Bouraq, Beyrouth, 1993.2-La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du XX° siècle , Quadrige/PUF, Paris, 1991.
- Ali El kenz, « Les sciences humaines et sociales(SHS) dans les pays arabes de la Méditerranée », Insaniyat n° 27 (Janvier-Mars 2005), pp.19-28, Oran
- Zahir Haddaden, Histoire de la presse indigène en Algérie. Des origines jusqu'en 1930 , ENAL., Alger, 1983.
- Gilles Kreamer, La presse francophone en Méditerranée, Maisonneuve et Larose, Servidit, Paris, 2001
- Judith Lazar, La science de la Communication, Edition Dahlab, Alger, 1992
- André Martinet, Eléments de linguistique générale, Armand Colin, Paris, (sd)
- Guy Rocher, Introduction à la sociologie, 1-L'action sociale, Le seuil, Paris, 2003, 2-L'organisation sociale, Le seuil, Paris, 2001, 3-Le changement social, Le seuil, Paris.
- TAMA'S(GM), Les idoles de la tribu. L'essence morale du sentiment national, Arcanthère, Paris, 1991.
- WINKIN (Yves), Anthropologie de la communication. De la théorie au terrain, Editions De Boeck & Larcier S.A. Éditions du Seuil, Paris, 2001.

#### Conferences inédites

Mustapha Guenaou,1-« Histoire et mémoire de la presse indépendante :Information locale et expérience personnelle » (Participation au colloque national « information de proximité et culture locale », organisé les 3 & 4 mai 2010 par la faculté des Sciences Sociales de l'Université Abdelhamid Ibn Badis-Mostaganem.), 2-« Harraga et la presse algérienne: Pour un meilleur discours médiatique » (Colloque national, organisé les 12 & 13 mai 2010, par le département des Sciences de l'Information et de la Communication, Université Abdelhamid Ibn Badis, Mostaganem).

## Webographie

Burgat (François) et Camberlin (Marie), « Révolution : mode d'emploi », Chroniques yéménites [En ligne], 9 | 2001, mis en ligne le 07 septembre 2007. URL: http://cy.revues. org/68

Champloix (Sylvain), « limites et dangers des réseaux sociaux ouverts ouverts dans le cadre d'une utilisation professionnelle», in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 5-34

«Animateur de communauté: un profil à géométrie variable», in Duport (François), D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 3-32

Gayon (Elisabeth), « Réseaux sociaux : quelle place pour les professionnels de l'information », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, p1Gildas (Simon), « le système migratoire européen et la mondialisation », in revue européenne de migrations internationales, vol 12 n°02, dixième anniversaire, pp 261273, URL: www.persee.fr

Hamdan (Kamel), « Enjeux politiques et économiques du printemps arabe : une première lecture », un document de 15 p. URL:www.contemporania.org/.../HAMDAN,

Le Deuff(Olivier), La culture de l'information et l'héritage documentaire, in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 4-11.

Leridon (Henry), « La transition démographique : théorie ou processus ? », Collège de France, 2009, un document de 38 p

Ogez (Emilie), les usages des RSE se diversifient dans les organisations, in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 38-41.

Phillpsohn (Steven) et Riem (Anthony), « récupérons les capitaux volés des dictateurs », in Temps, 23 février 2011, p16.

Poinsot (Thomas), « Les réseaux sociaux d'entreprises: repère pour un nouveau monde collaboratif », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 26-30

Razy (Elodie), « Les sens contraires de la migration », Journal des africanistes [En ligne],

しまして

77-2 | 2007, mis en ligne le 15 décembre 2010. URL : http://africanistes.revues.org/2143

Saint –Prot (Charles), 1-« la nouvelle carte américaine du Proche Orient» (octobre 2006)

URL: http://www.etudes-geopolitiques.com/editorial\_contents5.asp

2-« la centralité de la crise palestinienne » ( janvier- février 2009),URL : http://www.etudes-geopolitiques.com/editorial\_crisepal.asp

Seguin (Bruno Louis) et Roumieux (Olivier), «Les organizations découvrent le (réseau) social », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3 , p5 - 24

Thiollet (Hélène), « Aux marges du monde arabe », Chroniques yéménites [En ligne], 12 | 2004, mis en ligne le 10 septembre 2007. URL: http://cy.revues.org/190 Taillefer (Marion), « Innovation web 2.0 et données publiques », in D.S.I,2010, vol 47,n° 3, pp 1-20

## Archives de presse (consultation)

La collection du Quotidien d'Oran (2011) La collection du quotidien El watan (2011) La collection du quotidien Ouest Tribune (2011)

# متغيرات المشهد الإجتماعي الشرق أوسطي والأدوار الإقليمية

د. عدنان خوجـــة

من الصومال الى ليبيا، مروراً بالقاهرة وتونس واحة الربيع العربي الاولى، يتنقّل الرئيس رجب طيب اردوغان بحماس يفوق التصور. فهو يقدم المساعدات في الصومال لينتشل البؤس من قاع الصمت العربي المريب، ويضعه على شاشة الحدث اليومي كحالة نافرة في المشهد العربي الراهن، من جهة اخرى يشد على أيدي الثوار في القاهرة وتونس وليبيا مشجعاً ومباركاً بالنصر حيث يجب، ويتوقف متأملاً الوضع العربي المستجد في مقاربة مباشرة ليوميات الحدث.

وكشاهد على العصر العربي الجديد يعتلي الرئيس أردوغان المنابر، ويقدم الدروس والإغراءات، ليدفع بالمشهد العربي الى سلوك درب الحرية والديمقراطية والعلمانية، التي اختبرها هو وحقق من خلالها نصراً مؤزراً خرج من رحم العلمانية الأتاتوركية وليس من فضاء الاصولية والجهادية والعصب القبلي الكامن خلف مختلف أشكال التحديث.

وهو في جولته العربية يخرج عن إطار إستراتيجيته المعلنة في "تصفيرالمشاكل مع المحيط" والتي شكلت عماد حراكه الدبلوماسي في السنوات الخمس الماضية، وعنوان السياسة الخارجية التركية وقنديلها الذهبي. ليدخل طرفاً أساسياً في مجريات الحدث العربي الأهم في التاريخ الحديث، مسهماً بين كر وفر، رافعاً الصوت في وجه الإستبداد، محرضاً الشعوب المقهورة على مواصلة الكفاح "لإن عصر الإستبداد قد انتهى "طارحاً النموذج التركي كدرس تاريخي في تجارب الديمقراطيات الحديثة قابل للإستلهام بعد أن عانت المنطقة من جور الإستبداد السياسي والفكري والديني طيلة العقود الماضية.

فهل تستطيع المنطقة حرق المراحل تلبية للشاهد التركي، والخروج من الظل الى النور دفعة واحدة؟ وهل ثقافة الديمقراطية والحرية يمكن لها أن تنمو في تربة قاحلة سلبها الإستبداد حيوية الإستنبات؟

قد تأخذنا الإجابة بنعم الى منزلقات خطرة ومتسرعة في آن معاً، خصوصاً في ظل ما يجري في القاهرة وتونس من صراعات خفية ومعلنة على السلطة، وما يتبعها من تباينات في وجهات النظر حول السبيل او السبل الواجب إعتمادها لبناء الدولة الحديثة على أنقاض دولة الإستبداد. وفي ظل الخلافات المنهجية بين الأفرقاء حول الرؤيئ المطروحة لمستقبل الدولة وعلمانيتها وطبيعة العلاقة بينها وبين القيم الدينية.

في الجانب الآخر لا يمنح المجلس الإنتقالي في ليبيا المراقب الثقة الكاملة بأن مسار الثورة، رغم كل أشكال الدعم العربي والدولي المتيسرة له، يسير في الإتجاه الصحيح. فالخلافات التي تظهر على السطح قد تكون أشد خطراً من الحروب الدائرة هنالك، والدخول في مشروع الدولة الواحدة الموحدة دونه أهوال حاكتها البيئة التاريخية ونفخ في نارها الإستبداد.

وتبدو الجبهتان اليمنية والسورية أكثر حرارة ومأسوية في التعاطي مع طموحات التغيير حيث يتجلى العنف في أقصى أشكاله في مواجهة دعوات الثورة "السلمية" في أبلغ تعبيراتها المعمدة بالدم، وفي ظل استعمال مفرط للآلة العسكرية على اوسع مساحة من الأرض، وفي تغييب متعمد للعقيدة القتالية والدور الوطنى للجيش العربى السوري واستباحة مفرطة لمنظومة القيم الإجتماعية والإنسانية.

من هذا الموقع يبدو الدور التركي في الشرق الأوسط وفي مداه العربي في حالة تأرجح وعدم وضوح في الرؤيا. يندفع حيث يجب التروي، ويتروى حيث يجب الإندفاع. وبين هذا وذاك يخاطب العاطفة لدى العرب ويحجم عن خطاب العقل. ففي اندفاعه خسر الورقة السورية وتلقى صفعة دبلوماسية من نظام بشار الأسد كان بغنى عنها. وفي اندفاعه أيضاً قرع طبول الحرب أمام اسرائيل وهو يدرك أن الصراع العسكري معها غير وارد خصوصاً في المرحلة الراهنه وفي حسابات الدول الكبرى التي تقف خلفه مما افقده المرونة الدبلوماسية التي هو في أحوج الحال إليها في الظروف الراهنة. وهو في ترويه أسهم في إطالة الصراع في ليبيا ومنح القذافي مزيداً من الثقة للإمعان في ذبح شعبه. وهو في الصومال لعب دور الهلال الأحمر التركي عابراً في سماء اليمن دون أن يكلف نفسه عناء النظر الى الأسفل.

صحيح أن الرئيس اردوغان قد جنى سمعة طيبة في صفوف الجماهير العربية، وهي مادة الثورة ومحركها وصاحبة القرار فيها، ولكن الصحيح أيضاً أن هذا الرئيس يبدو كمن يجوس في رمال متحركة يصعب

البناء عليها في ظل ظروف اقليمية بالغة التعقيد. وفي ظل شراك طائفية وفئوية وقبلية قادرة على وضع العراقيل في وجه الدور التركي، طالما بقي دوراً غير محدد الأهداف، مفتوحاً على احتمالات التجربة والخطأ، مرتبطاً فقط بالمصالح التركية المستجدة في المنطقة. والتي باتت الثقافة السياسية العثمانية غير كافية في زمن التواصل وثورة الميديا، لتأسيس ثقافة جسور جديدة فاعلة. تمنح الحضور التركي دوراً مؤثراً يستطيع أن يضبط الميزان بين الطموح الإيراني في الإمتداد جنوباً نحو الخليج العربي وغربا نحو المتوسط، وطموحات السنية السياسية في إعادة ضبط ايقاع المنطقة على وقع دعوات الحرية والديمقراطية في إطار الشراكة الإجتماعية. بعد التخلص من الإستبداد بكل أشكاله واقامة الدولة العادلة التي تحمي حقوق المواطن بصرف النظر عن انتماءاته الدينية والسياسية والثقافية.

الدور التركي المتعثر في المنطقة لاتنقذه خطابية اردوغان المفوهة ولا العزف على الوتر العاطفي للشعوب المقهورة ولا بإعادة تظهير العصب السني المجروح بأظافر الأقليات والاصوليات معاً. كذلك الأمر لن ينقذه الدعم الأميركي المصاب بالعجز الإقتصادي والمغامرات العسكرية الخاسرة والقراءات الخاطئة والمتكررة لواقع المنطقة عبر النظارات الإسرائيلية. وإنما يأتيه الإنقاذ من خلال التموضع الإقليمي في المنطقة، عبر إعادة قراءة للواقع وتقييم دقيق للمرحلة واعتماد سياسة وحدة المصالح، والتخفيف من غلواء الخطاب المتحمس، والدفع في مبادرات عملية لحل المشاكل القائمة وليس لإشعال فتيل حرب اقليمية جديدة تمتلك فيها اسرائيل والغرب امكانيات راجحة قادرة على قلب المعادلات وإعادة الإمساك بأوراق المنطقة بتفويض من الشعوب هذه المرة وليس من الزعماء. وربما تكون هذه المغامرة الأخيرة.

# تقرير منظمة العفو الدولية-حالة حقوق الانسان في العالم

#### المقدمة

يحق لنا أن نذكر عام ٢٠١٠ باعتباره عام التحول التاريخي الذي استخدم فيه النشطاء والصحفيون تقنيات جديدة لقول الحقيقة للسلطة، وبذلك انطلقوا لضمان المزيد من الاحترام لحقوق الإنسان. وهو أيضاً العام الذي واجهت فيه الحكومات القمعية الاحتمال الواقعي بأن أيامها صارت معدودة.

وتُعد المعلومات مصدراً من مصادر القوة، وتُعتبر هذه اللحظات في نظر الذين يتحدون انحراف الدول، وغيرها من المؤسسات بالسلطة، لحظات مثيرة. فمنذ مولد منظمة العفو الدولية منذ نصف قرن، شاهدنا وشكّلنا تحولات رئيسية مماثلة في الصراع على السلطة بين الذين يرتكبون الانتهاكات والأفراد الذين يتحلون بالشجاعة والابتكار والذين فضحوا مظالمهم. وباعتبارنا حركة مكرسة لحشد الغضب العالمي دفاعاً عن الأفراد الذين ضاقت بهم السبل، فإننا ملتزمون بمساندة النشطاء الذين يتخيلون عالماً تتحرر المعلومات فيه حقاً، ويستطيعون فيه ممارسة حقهم في التعبير عن المعارضة سلمياً، خارج نطاق سيطرة السلطات. وعلى مدى ٥٠ عاماً، أخذت منظمة العفو الدولية تستكشف آفاق التقنيات القادرة على تمكين العاجزين والمضارين من إسماع صوتهم للدنيا، فمن الطابعة على البعد وآلات تصوير المستندات، وآلات الفاكس، إلى المنياع والتلفزيون والاتصالات بالتوابع الاصطناعية، والهواتف، والبريد الإلكتروني، والإنترنت، استطعنا أن نحشدها جميعاً لدعم التعبئة الجماعية. لقد كانت هذه أدوات ساعدت الكفاح من أجل حقوق الإنسان، على الرغم من الجهود المتقدمة التي تبذلها الحكومات لفرض القيود على تدفق المعلومات وفرض الرقابة على الاتصالات. وخلال هذا العام، بدأ "ويكيليكس"، وهو موقع إلكتروني مكرس لنشر الوثائق المستقبلة من مصادر بالغة التنوع، في نشر أولى الوثائق التي يبلغ مجموعها مئات الآلاف، وقيل إن الذي نقلها يُدعى برادلى مانينغ، وهو محلل استخبارات في الجيش الأمريكي، في الثانية والعشرين من عمره، وهو محتجز حالياً تمهيداً لمحاكمته، ويواجه إمكانية الحكم عليه بالسجن أكثر من خمسين سنة إذا أدين بتهمة التجسس وغيرها من التهم. وقد خلق موقع "ويكيليكس" مكاناً يسهل الوصول إليه أمام جميع من يفشون الأسرار في شتى أرجاء العالم، وأثبت قوة هذا المنبر بنشر وإعلان الوثائق الحكومية السرية والمتكتم عليها. وقد سبق لمنظمة العفو الدولية أن أقرت بإسهام موقع "ويكيليكس" في الدعوة لحقوق الإنسان عندما نشر ذلك الموقع معلومات تتعلق بالانتهاكات في كينيا عام ٢٠٠٩.

ولكن الأمر تطلب جهود الصحفيين التقليديين والمحللين السياسيين الذين خاضوا هذه البيانات "الأولية"، وفحصوها ثم حللوها وصولاً إلى الأدلة على الجرائم والانتهاكات التي تتضمنها هذه الوثائق. وانتفع النشطاء السياسيون بقوة هذه الوثائق باستخدام أدوات اتصالات أخرى جديدة أصبحت تُتاح اليوم بسهولة على الهواتف المحمولة وعلى المواقع الإلكترونية للشبكات الاجتماعية في إخراج الناس إلى الشوارع مطالبين بالمساءلة. ومن الأمثلة القاهرة والفاجعة على قوة العمل الفردي حين تضخمه الأدوات الجديدة للعالم الافتراضي قصة محمد بوعزيزى. ففي ديسمبر /كانون الأول ٢٠١، قام محمد البوعزيزى، وهو بائع جوال يعيش في سيدي بوزيد، في تونس، بإشعال النار في نفسه خارج مبنى البلدية احتجاجاً على مضايقات الشرطة، والإهانة، والصعوبات الاقتصادية، وذلك الإحساس بانعدام الحيلة الذي يشعر به الشباب من أمثاله في تونس.

وانتشر خبر ما قام به مدفوعاً باليأس والتحدي عبر تونس كلها على الهواتف المحمولة والإنترنت، وهو ما حرك المعارضة التي كانت كامنةً في الصدور منذ زمن طويل ضد حكومة البلد القمعية، بتفريعاتها غير المنظورة. وقد تُوفي محمد بوعزيزى متأثرا بجراحه، ولكن غضبته ظلت حيةً في صورة المظاهرات التي عمت الشوارع في شتى أرجاء تونس. وانطلق إلى الشارع النشطاء في تونس، وهم مجموعة تتكون من أعضاء النقابات، وأعضاء المعارضة السياسية، والشباب، وكان بعضهم قد قام بالتنظيم من خلال المواقع الإلكترونية للشبكات الاجتماعية، إظهاراً لتأييدهم لمطلب البوعزيزى بالنظر إلى مظالمه. واشتركت أيادي الخبراء مع شباب المتظاهرين في استخدام الأدوات الجديدة لتحدي الحكومة القمعية. وحاولت الحكومة التونسية فرض تعتيم مُحكم على أجهزة الإعلام، بل وأغلقت اتصال الأفراد بالإنترنت، ولكن الأنباء انتشرت بفضل التقنيات الجديدة؛ إذ أوضح المتظاهرون أن غضبهم كان منصباً على القمع الوحشي من جانب الحكومة للذين تجاسروا على تحدي موقفها السلطوي، وأيضاً على انعدام الفرص الاقتصادية الذي يرجع في جانب منه إلى الفساد الحكومي.

في يناير /كانون الثاني، ولم يكن قد مضى سوى أقل من شهر على الفعل اليائس الذي أقدم عليه محمد البوعزيزى، انهارت حكومة الرئيس زين العابدين بن علي وفر من البلد لاجئاً إلى مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية. واحتفل الشعب التونسي بانتهاء ما يزيد عن ٢٠ عاماً من الحكم غير الخاضع للمساءلة، مما جهز الساحة لانتخاب حكومة جديدة تقوم على المشاركة واحترام حقوق الإنسان.

وترددت أصداء سقوط حكومة بن على في شتى أرجاء المنطقة والعالم. وغدت الحكومات التي تقوم على التعذيب والكبت لقمع المعارضة، وتغتني من خلال الفساد والاستغلال الاقتصادي، تتلفت خلفها في فزع. كما ساد التوتر في دوائر النخبة المحلية والحكومات الأجنبية التي كانت تساند هذه النظم غير المشروعة وتتشدق في تعال بالديموقراطية وحقوق الإنسان.

وسرعان ما أدت الانتفاضة التونسية إلى إحداث زلازل في البلدان أخرى. فانطلق الناس إلى الشوارع في الأردن والجزائر واليمن ومصر.

وكانت الأدوات في عام ٢٠١٠ جديدة، ولكن المظالم لم تتغير، ألا وهي السعي إلى حياة تتسم بالكرامة، ويتمتع فيها الإنسان بشتى ألوان الحقوق المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وبدأ النشطاء في جميع أرجاء العالم ممن كابدوا طويلاً خطر وحقيقة السجن والتعذيب والوحشية بسبب آرائهم ومعتقداتهم أو هويتهم السياسية، في تخيل عالم زاخر بالإمكانات التي تتضمن التحرر من الخوف والمشاركة السياسية الحقة. وأما ما بينته الأحداث الأخيرة بوضوح وجلاء فهو أن نقص الفرص الاقتصادية أمام الكثيرين في المنطقة أحدثت أصداء عميقة لدى من كانوا يؤيدون النشطاء في تونس.

وهذا الإحباط الذي يحسه من يعيشون في ظل حكومات قمعية لا يبتعد عن السطح مطلقاً. ففي مصر، على سبيل المثال، تُوفي خالد سعيد بعد أن اعتدى عليه اثنان من رجال الشرطة في مقهى للإنترنت في الإسكندرية في يونيو /حزيران ٢٠١٠، وأدت وفاته إلى غضبة شعبية عارمة، وهو ما يبدو الآن، إن استرجعنا الأحداث، نذيراً مبكراً للمظاهرات الهائلة في ٢٠١١. ووُجهت إلى الشرطيين تهمة القبض عليه وتعذيبه دون وجه حق، لا بالمسؤولية المباشرة عن وفاته. وفي إيران، فرض المسؤولون الحكوميون قيوداً على الوصول إلى المصادر الخارجية للمعلومات، مثل

الإنترنت، في الوقت الذي استمر فيه الاستياء في أعقاب انتخابات عام ٢٠٠٩ التي ثار الخلاف حول نتائجها، ولم تندمل بعد الجروح الناجمة عن الانقضاض الوحشى على المتظاهرين.

وفي الصين، حاولت الحكومة دفن قصة شاب أوقفه رجال الشرطة بعد أن قتل امرأة وجرح امرأة أخرى أثناء قيادته السيارة مخموراً، فصرفهم الشاب بذكر قرابته لأحد كبار المسؤولين في الشرطة. وغدت صيحة "أنا ابن لي غانغ" رمزاً لانعدام المساءلة، ونُشرت القصة الكامنة وراء هذه الصيحة، ثم أُعيد نشرها على الإنترنت في شتى أنحاء الصين حتى والسلطات تناضل لاستعادة السيطرة على الموقف.

وأما السياسيون الذي يقولون بأولوية الحقوق المدنية والسياسية على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أو بالعكس، فإن الوضوح الذي حدد به النشطاء علاقة إحباطهم بنقص الفرص السياسية والاقتصادية يبين أن هذا التقسيم زائف لأنه يتجاهل خبرات الملايين أو المليارات من الناس الذي يعيشون من دون هذه وتلك في شتى أرجاء العالم.

ومنظمة العفو الدولية التي بدأت باعتبارها حركةً مكرسة لحقوق سجناء الرأي، قد أدركت منذ وقت طويل أن الإشارة إلى الانتهاكات الكامنة التي تحفز النشطاء على الكتابة والخروج إلى الشارع لا تقل أهميةً عن ضمان وضع حد لاحتجاز النشطاء وإيذائهم. وقد تكون مواقع الشبكات الاجتماعية جديدة، ولكنها مهمة لأنها أداة قوية تستطيع تيسير الألفة والتكاتف بين النقاد الساخطين الذين يعيشون في ظل حكومات ظالمة لا تختلف في طابعها على امتداد العالم كله.

#### تسريب الوثائق والكشف عن الخبايا

في يوليو / تموز، بدأ موقع «ويكيليكس» وعدة صحف كبرى في نشر ما يقرب من ١٠٠ ألف وثيقة متعلقة بالحرب في أفغانستان. وتفجر الخلاف حول مضمونها ومشروعيتها وعواقبها؛ إذ كانت الوثائق تقدم تأكيداً قيمًا لانتهاكات حقوق الإنسان التي وثَّقها نشطاء وصحفيو حقوق الإنسان، وهي الانتهاكات التي كانت الحكومات الأفغانية والأمريكية وبلدان حلف شمال الأطلسي تنكر وقوعها. ولكن منظمات حقوق الإنسان أبدت انزعاجها عندما أعلنت حركة "طالبان"

أنها تقوم أيضاً بفحص الوثائق المذكورة وسوف تعاقب من تعاون من الأفغانيين مع الحكومة الأفغانية أو مسانديها الدوليين. وهكذا فإن التقنيات الجديدة، مثلها مثل جميع الأدوات، تتضمن أخطاراً إلى جانب الفوائد، ومن ثم اتخذ موقع "ويكيليكس" الخطوات اللازمة التي تضمن أن الوثائق المنشورة في المستقبل سوف تحقق المبدأ القديم، مبدأ "عدم إحداث الضرر"، وهو من الأسس الصلبة التي ارتكز عليها عمل منظمة العفو الدولية في السنوات الخمسين الماضية. ورداً على ذلك، لجأت الحكومات المتورطة في الانتهاكات إلى الذريعة القديمة التي تزعم أن الوثائق المتسربة التي توضح انتهاكات الحكومات وجوانب إخفاقها تمثل تهديداً للأمن القومي ومن ثم فهي غير مشروعة. ويمكن القول بصفة عامة إن هذه الحكومات تجاهلت ببساطة الكشف عن الأدلة على جرائم في نظر القانون الدولي وعلى تقاعسها عن التحقيق في هذه الجرائم ومحاكمة مرتكبيها.

وفي أكتوبر / تشرين الأول، نشر موقع "ويكيليكس" ما يقرب من ٤٠٠ ألف وثيقة تتعلق بالحرب في العراق. ومن جديد أشارت منظمة العفو الدولية ومنظمات حقوق الإنسان الأخرى إلى أن الحكومات المتورطة، حتى وهي تحتمي بصيحة "الأمن القومي"، قد تقاعست عن تحمل مسؤوليتها فلم تقم بالتحقيق مع مرتكبي جرائم الحرب وغيرها من الجرائم في نظر القانون الدولي ومحاكمتهم. وأكدت الوثائق أيضاً أن هذه الحكومات التي ترفض التقارير التي أعدتها منظمة العفو الدولية وغيرها من منظمات حقوق الإنسان عن الانتهاكات المذكورة، كانت تملك من الوثائق ما يؤكد بوضوح دقة هذه التقارير.

ولكن المعلومات "المسربة" تتضاءل أمام الفصل النهائي في عام ٢٠١٠ عندما بدأ موقع "ويكيليكس" مع خمس صحف كبرى في وقت واحد في نشر الدفعة الأولى من البرقيات "الخاصة"، وإن كانت غير "سرية للغاية"، وعددها ٢٢٠ برقية دبلوماسية من بين ٢٥١٢٨٧ برقية أرسلتها ٢٧٤ سفارة أمريكية في شتى أنحاء العالم من ٢٨ ديسمبر / كانون الأول ١٩٦٦ إلى ٢٨ فبراير / شباط ٢٠١٠. وكان من شأن هذه المعلومات التي أتيحت مؤخراً، وقام بتحليلها الصحفيون المخضرمون ومدونو الانترنت المتحمسون، أن تعزز الحركات القائمة، وأن تلهم مزيداً من الحركات الجديدة.

### زلازل حول العالم

وتختلف وجهات النظر إلى العمل الذي قام به موقع «ويكيليكس»؛ إذ يصفه بعض المعلقين بأنها تعمل في "فراغ أخلاقي" ويراه البعض معادلاً حديثاً لنشر "أوراق البنتاغون" (وزارة الدفاع الأمريكية) ولكن الأمر الواضح يتمثل في التأثير الذي أحدثته الوثائق المسربة.

وإذا كان من الصحيح أن "ثورة الياسمين" في تونس ما كانت لتندلع لولا الكفاح الطويل الذي خاضه المدافعون الشجعان عن حقوق الإنسان في العقدين الماضيين، فربما كانت المساندة للنشطاء خارج البلد قد تعززت عندما فحص الناس وثائق "ويكيليكس" الخاصة بتونس وفهموا جذور الغضب. وقد أوضحت بعض الوثائق بصفة خاصة أن البلدان في شتى أرجاء العالم كانت على وعي بالقمع السياسي وعدم توافر الفرص الاقتصادية ولكنها لم تكن، في الغالب الأعم، تفعل ما ينبغي للحث على التغيير. وقد كشفت إحدى البرقيات المسربة عن إقرار المبعوث الكندي آنذاك، والسفير الأمريكي والسفير البريطاني بأن قوات الأمن التونسية تقوم بتعنيب المعتقلين، وأن التأكيدات الدبلوماسية بأن الحكومة لن تعذب المعتقلين الذين يُعادون إلى تونس "لها قيمتها" ولكن لا يُعول عليها، وأن "اللجنة الدولية للصليب الأحمر" لاتستطيع زيارة المعتقلات التي تديرها وزارة الداخلية. وفي برقية مُسربة أخرى يدلي السفير الأمريكي بتفاصيل تبين أن الاقتصاد التونسي مهلهل بسبب تفشي الفساد، الذي يتراوح ما بين ابتزاز الشرطة للشعب، وبين الذراع الطويلة "للأسرة" أي أسرة بن علي التي تضم أقرباءه وأنسابه البعيدين، فهي أسرة مديدة استغلت سلطانها لتكديس الثروة.

ويعيدنا ذلك إلى محمد البوعزيزى والكثير من التونسيين الآخرين الذين كانوا يشعرون، فيما يبدو بأنه لا أمل أمامهم على الإطلاق في مواجهة التعذيب والحرمان الاقتصادي، والفساد الحكومي، ووحشية الشرطة، والقمع بلا هوادة للمعارضة السياسية ولأي فرد آخر يعبر عن معارضته. فلم تكن أمام البوعزيزي أية سبل سياسية للمطالبة بفرص اقتصادية وعندما حاول أن يخلق فرصة له ببيع الفاكهة والخضراوات على عربة في الشارع، صادرت الشرطة بضاعته. وعندما ذهب إلى السلطات السياسية ليشكو إيذاء الشرطة له امتنعت تلك السلطات عن قبول شكواه أو التحقيق فيها.

ولم تكن شكاوى محمد البوعزيزى فريدةً بحال من الأحوال. ولكن إقدامه على إحراق نفسه تزامن تقريباً مع نشر "ويكيليكس" للوثائق التي تبين أن الحكومات الغربية التي تحالفت مع حكومة بن علي كانت تعي هذه القضايا جميعاً، ولكنها كانت فيما يبدو عازفة عن ممارسة الضغط الخارجي على الحكومة لحملها على احترام حقوق الإنسان. وكان اقتران هذين الحادثين، فيما يبدو، العامل الذي حقق التأييد الواسع النطاق للمحتجين في تونس، وكان الناس في البلدان المجاورة يساندونهم كل المساندة، فبعضهم كان يواجه نفس العقبات التي تحول دون تمتعهم بحقوقهم المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

#### ردود أفعال لها دلالتها

ومن المفيد لنا أن نتأمل ردود أفعال الحكومات الغربية في مواجهة الأوضاع الناشئة في تونس ومصر، إذ قطعت الولايات المتحدة علاقتها التي امتدت زمناً طويلاً مع الرئيس التونسي بن علي، واقترح وزير الشؤون الخارجية الفرنسي أولاً مساعدة حكومة بن علي في التصدي للاحتجاج الشعبي، ولكن بعد تفجر الغضب من هذا الموقف في فرنسا، وبعد أن فر زين العابدين بن علي من تونس، أفصحت فرنسا أخيراً عن مساندتها للمحتجين. وعندما واجهت حكومة الولايات المتحدة، وكثير من الحكومات الأوروبية احتجاجات مماثلة في مصر، بدا أنها قد أُخذت على حين غِرَّة، ومن ثم غدت عازفة عن تأييد المطلب الأولي للمحتجين بأن يتنحى الرئيس مبارك عن السلطة.

وكانت الولايات المتحدة بصفة خاصة تستثمر استقرار حكومة مبارك استثماراً شديداً؛ على الرغم من الأدلة الكثيرة على وحشيتها في الأعوام الثلاثين الأخيرة. والواقع أنه على امتداد العالم كله، فإن الكثير من الحكومات التي تعلن إعلاء قيمة حقوق الإنسان والديموقراطية كانت تساند بصراحة بعض الزعماء السياسيين، مثل محمد حسني مبارك في مصر وزين العابدين بن علي في تونس، اللذين كانت تعرف عنهما الفساد والقمع واللامبالاة بحقوق مواطنيها. والواقع أن أولى الحالات العجيبة للاعتقال والنقل السري للأشخاص (بقصد تعنيبهم في الخارج) وقعت في ظل إدارة الرئيس كلينتون التي كانت ترسل المعتقلين إلى مصر، المكان الذي اشتهر بالاستخدام المنتظم للتعذيب. والأدلة القائمة على هذا النفاق، والتي أكدتها البرقيات الدبلوماسية الكثيرة التي نشرها موقع "ويكيليكس"، تفضح هذه الحكومات وتشكك في التزاماتها بحقوق الإنسان. وفي نشرها موقع "ويكيليكس"، تفضح هذه الحكومات وتشكك في التزاماتها بحقوق الإنسان. وفي نهاية المطاف، فقد كان من شأن بسالة المتظاهرين السلميين الذين خاطروا بأرواحهم في شوارع

القاهرة وغيرها من المدن، أن تثبت الكثير من الحقائق للرئيس مبارك وحلفائه.

وفي أعقاب تسريب البرقيات الدبلوماسية أسرعت الحكومات لتحديد نوع الجرائم التي ربما تكون قد ارتُكبت من جانب "ويكيليكس" (وبرادلي مانينغ). وفي رد الفعل المذكور ما يثير القلق، فإن حكومة الولايات المتحدة التي هاجمت "ويكيليكس" بشدة وضراوة، كانت لها نظرة مختلفة حين كانت تدعم أوجه التقدم الجديدة في نشر المعلومات عن البلدان الأخرى. ففي يناير / كانون الثاني ٢٠١٠، ألقت وزيرة الخارجية الأمريكية خطاباً يهدف إلى تشجيع الحكومات في شتى أرجاء العالم على ضمان انتفاع السكان بالإنترنت، وشبهت الرقابة على الإنترنت "بحائط برلين"، وقالت هيلارى كلينتون "لم تتمتع المعلومات من قبل بالحرية التي تتمتع بها الآن. وحتى في البلدان السلطوية، نجد أن شبكات المعلومات تساعد الناس على اكتشاف حقائق جديدة وزيادة مساءلة الحكومات."

وواصلت الوزيرة حديثها قائلة إن الرئيس باراك أوباما، أثناء زيارته للصين في نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٩ "دافع عن حق الناس في الوصول بحرية إلى المعلومات، وقال إنه كلما زادت حرية تدفق المعلومات، ازدادت المجتمعات قوة. ووصف كيف أن الوصول إلى المعلومات يساعد المواطنين على مساءلة حكوماتهم، ويولد أفكاراً جديدة، ويشجع الابتكار."

ولكن الولايات المتحدة ليست الدولة الوحيدة التي تريد الالتزام بحسن السلوك من خلال الإنترنت، أو تنفرد برغبتها في استخدام التقنيات الإلكترونية في انتهاك الحق في الخصوصية.

فشبكة الإنترنت تزيد من فضح رغبة الحكومات في السيطرة على الحصول على المعلومات في غمار سعيها لفرض الرقابة على الذين يستخدمون الإنترنت عندما يرى أصحاب السلطة أن المضمون يمثل تهديداً لهم، إذ يضيفون القرصنة والرقابة إلى ترسانة أسلحتهم الخاصة.

ولكن من الواضح أن الحكومات لا تمسك بعجلة القيادة بالضرورة، مهما اشتدت رغبتها في ذلك. ففي الصين لعب البرنامج الإلكتروني الخاص بمنع اختراق شبكة الإنترنت، والمسمى "Great Firewall"، دوراً مهماً وضاراً في السعي لقمع حرية المناقشة على الإنترنت. وكان الذين حاولوا تجاوز القواعد الموضوعة عرضةً للمضايقات أو للحبس. ففي يوليو / تموز

٢٠١٠، على سبيل المثال، صدر حكم بالسجن لمدة ١٥ سنة على خيرت نياز، وهو صحفي ومحرر في الإنترنت من طائفة "الأوغور" بتهمة "تعريض أمن الدولة للخطر". واستندت المحكمة في أدلتها إلى المقابلات الشخصية التي أجراها مع أجهزة الإعلام الأجنبية.

وكذلك إلى الترجمة التي قام بها على الإنترنت لدعوة إحدى منظمات "الأوغور" في الخارج إلى القيام بمظاهرات احتجاج على معالجة الحكومة لحادثة قُتل فيها اثنان على الأقل من طائفة "الأوغور"، وذلك عندما قام عمال صينيون من طائفة "هان" بمهاجمة عمال من طائفة "الأوغور" في شاووغوان، بمقاطعة غوانغدونغ، في جنوب الصين. ولكن السلطات الصينية كانت تجد نفسها، مراراً وتكراراً، ورغم استخدام أشد التقنيات تقدماً، في موقف مزعزع أو تكتشف أن مستخدمي الإنترنت قد تغلبوا عليها في الدهاء، وغدوا حصاناً برياً من المحال ترويضه، كما وصفهم بذلك أحد المدونين الكوبين في الإنترنت ويدعى يواني سانشيز. وهناك نموذج آخر يتمثل في ليو جياوبو، وهو الباحث الذي شارك في تأليف وثيقة المعارضة التي تسمى "ميثاق ٨٠". فقد استلهم نشاط مفكري أوروبا الشرقية المكافحين ضد النزعة التسلطية الشيوعية في السبعينيات والثمانينيات، وهم الذين استفادوا أيضاً من التقنيات الجديدة آنذاك، مثل آلات تصوير المستندات وأجهزة الفاكس، في نشر الأفكار وتحدي الحكومات الظالمة وإسقاطها آخر الأمر.

ولم يكن ليو جياوبو معروفاً لمعظم أبناء الصين العاديين حتى بعد أن حُكم عليه بالسجن العاماً في يوم عيد الميلاد عام ٢٠٠٩. ومع ذلك فعندما فاز بجائزة نوبل للسلام في أكتوبر / تشرين الأول ٢٠١٠ راح نشطاء الإنترنت يتسابقون في السعي للاعتراف بدوره.

وكانت السلطات الصينية حريصة على إغلاق باب المناقشة، وعندما اختل توازنها بسبب ما فُوجئت به من اتساع نطاق المساندة لذلك الشخص، الذي وصفته رسمياً بأنه "خائن"، أعاقت البحث على الإنترنت باستخدام عبارة "الكرسي الخالي"، وهو مصطلح كان كثير من الصينيين قد بدأوا يستخدمونه في الإشارة إلى أسلوب تكريم ليو جياوبو في حفل منح الجائزة في أوسلو.

وحتى مقدم "ويكيليكس"، كانت الحكومات تعتقد، فيما يبدو، أنها تسيطر على الموقف. ولكن عندما تراجعت الشركات، التي كان موقع "ويكيليكس" يعتمد عليها في عمله، عن مساندتها

له، ولم يتضح إلى الآن إذا ما كان هذا نتيجة للضغط المباشر من الحكومة، تعرضت الشركات والحكومات التي كانت تدين "ويكيليكس" للهجوم من قراصنة الكمبيوتر في شتى أرجاء العالم.

ويبين تكثيف القراصنة لجهودهم ومواصلة نشر الوثائق على الرغم من تهديدات شتى الحكومات وغضبها أن موقع "ويكيليكس" قد غير طبيعة "اللعبة" فيما يتعلق بمن يسيطر على المعلومات، كما كشف أيضاً عن أن بعض القراصنة يتبنون موقف "الهجوم على الجميع بلاهوادة"، وهو ما يهدد خصوصية الأفراد وأمنهم.

### تحقيق الموازنة الصحيحة: كلمة تحذير

على نحو ما رأينا آنفاً، فإن الرغبة في نشر المعلومات من المكن أن تتسبب في مشاكل خاصة بها إن لم يتحقق التوازن بينها وبين الحقوق الفردية. ففي أغسطس / آب، قامت سيدتان برفع دعوى جنائية ضد جوليان أسانج، مؤسس موقع "ويكيليكس"، بموجب قانون الجرائم الجنسية السويدي، ونشر قراصنة الإنترنت أسماء وهوية السيدتين، وهما اللتان تعرضتا لتشويه سمعتهما باعتبارهما من عملاء حكومتى الولايات المتحدة والسويد. وهذا يبين أن النساء ما زلن يُستخدمن في العالم الافتراضي الجديد قطعاً للشطرنج، أو ما هو أسوأ، ويمكن التضحية بهن باعتبار ذلك من الأضرار الجانبية المقبولة. وإن شئنا الوضوح قلنا إن السيدتين جديرتان بالتحقيق الكامل في دعواهما فإذا توافرت الأدلة الكافية لابد من محاكمة الذي زُعم أنه أساء إليهما. وينبغي، في الوقت نفسه، أن يتمتع جوليان أسانج بمبدأ افتراض براءته وأن تُوفر له الإجراءات القضائية الواجبة وأن يُحاكم محاكمةً عادلة. وقانون حقوق الإنسان واضح في هذه القضية، إذ ينص على أن تتميز الحكومات بالشفافية، ولا يجوز لها الانتقاص من حرية التعبير (ومن الحق في تلقى المعلومات ونقلها) إلا من أجل تعزيز احترام حقوق الآخرين أو سمعتهم، أو حماية الأمن القومي، أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق العامة. ومن المحال تبرير مزاعم الحكومات بأن الأمن القومي يمنحها الحرية المطلقة في فرض القيود على المعلومات، خصوصاً عندما يتضح أن هذه القيود تشمل التستر على انتهاكات حقوق الإنسان والقانون الإنساني. ولكن النفاق والخداع من جانب حكومة ما لا يبرر كذلك دخول القراصنة على الموقع الإلكتروني للنيابة العامة وانتهاك خصوصية النساء اللاتي يتقدمن ىالشكاوى.

### مستقبل رقمى لحقوق الإنسان

لا تتميز شبكة الإنترنت وغيرها من تقنيات الاتصال بسمات سحرية أو حتمية، والتقنيات في حد ذاتها لا تحترم أو تقوّض حقوق الإنسان، فإنها، وسوف تظل، أداة يستخدمها من يريدون تحدي مظاهر الظلم في شتى أرجاء العالم ومن يريدون التحكم في الوصول إلى المعلومات وإسكات الأصوات المعارضة. ويمكن القول بأن الإذاعة على موجات FM والهواتف المحمولة قد فعلت أكثر مما فعلته الأساليب التقليدية الأخرى في سبيل تعزيز حقوق الإنسان في إفريقيا وحمايتها. وقد تمكن الموقع الإلكتروني (ushahidi.com) في كينيا من ابتكار وسائل للاتصال الجماهيري فتحت مجموعة جديدة كاملة من إمكانيات منع نشوب الصراعات. وسوف تحقق التقنيات أغراض الذين يسيطرون عليها، سواء كان الغرض تعزيز الحقوق أو تقويضها. ويجب أن نتذكر أننا في عالم يتسم بعدم تماثل القوى، وقدرة الحكومات وغيرها من المؤسسات على الانحراف باستخدام التقنيات وعلى استغلالها سوف تتفوق دائماً على طاقات القاعدة الشعبية من النشطاء، ودعاة حقوق الإنسان المحاصرين، ومن يُقدمون دون خوف على القادة الأسرار، والأفراد الذين تدفعهم دواعي العدالة إلى السعي للحصول على المعلومات أو لوصف وتوثيق حالة من حالات الظلم من خلال هذه التقنيات.

وقد اتضح من خلال الجدل الذي أحاط بموقع "ويكيليكس" من حيث نشر الوثائق دون الحرص، فيما يبدو، على أمن الذين كشفت الوثائق أسرارهم، وكذلك في الخلاف الذي يحيط بقضية ارتكاب جوليان أسانج لجرائم جنسية، أن الوضوح الأخلاقي عسير المنال. فهذه القضية لا تتيح الوضوح الأخلاقي الذي يرتبط في أذهاننا، على الأقل عند استرجاع الأحداث الآن، بنشر "أوراق البنتاغون" (وزارة الدفاع الأمريكية). ومن المهم للذين يجدون أن موقع "ويكيليكس" لا أخلاقي أن يذكروا أنه حين يتقاعس الذين ينبغي لهم قول الحق، يصبح من حق الذين يعيشون يومياً في ظل الانحراف بالسلطة أن يحتفوا بموقع "ويكيليكس"، وهو ما يصبح احتفاءً مفهوماً، إذ إن أملهم الأخير في المساءلة معقود بفضح ذلك الانحراف، مهما كان الفضح مشوباً بالمثالب، مسبباً للحرج، أو مؤدياً إلى نتائج عكسية فيما يبدو.

ومع ذلك فإن هذه أوقات مدهشة بالنسبة لمنظمة العفو الدولية ونشطاء حقوق الإنسان الآخرين الذين يرون الإمكانات التي تقدمها التقنيات للكشف عن الحقيقة وعقد المناظرات التي

قد تنجح في تفادي الرقابة والربط بيننا عبر الحدود. إننا نتخيل الوعد بأن نعيش في عالم يتمتع بالصراحة الحقة، حيث يستطيع الجميع الوصول إلى المعلومات بأسلوب مفيد، وحيث يستطيع الجميع أن يشاركوا مشاركةً كاملةً في القرارات التي تؤثر في حياتهم، وحيث لا تُقبل حالة ظلم واحدة.

وفي عام ٢٠١١ تحتفل منظمة العفو الدولية بعيدها السنوي الخمسين، وقد وصف أحد النقاد المعاصرين هذه الحركة بأنها "إحدى حالات الجنون الكبرى في زماننا" ولكنها قد أشعلتها دعوة بسيطة من محام بريطاني يُدعى بيتر بيننسون، إذ طلب من المجتمع أن يتذكر "السجين المنسي". وكان حماسه مستلهماً من حادثة نمت إلى علمه، ألا وهي الزج بشابين برتغاليين في السجن بتهمة رفع كأسيهما ليشربا نخب الحرية.

ولحسن حظ الآلاف من السجناء منذ ذلك الوقت، لم يكتف ذلك "الجنون" بالانتصار بل كُتب له أن يستمر، ولا نزال مع حلفائنا مصممين على تعزيز الحق في المعلومات وحرية التعبير، فقد نجحنا معاً في النضال من أجل الإفراج عن الآلاف من سجناء الرأي، وقد أصبح بعضهم مثل إلين سيرليف جونسون، رؤساء للدولة اليوم. وساعدنا معاً على تحقيق إطلاق سراح أونغ سان سوكي، في نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠١٠، فأثبتنا مرة أخرى كيف تنجح المثابرة الدائبة في تحقيق التغيير الإيجابي. ونجحنا معاً في إنقاذ ما لا يُحصى من الأرواح، أقربها زمناً نشيطان تحديا قوات الأمن التابعة لعملية تعدين، وكانت القوات توشك على تخطيط مواجهة ترمي إلى التخلص من النشطاء الذين كانوا على استعداد للمخاطرة بأرواحهم في سبيل قول الحقيقة للسلطة. لقد اختلفت أحوال العالم اختلافاً شاسعاً في غضون هذه السنوات الخمسين ، ولكن دافع الأفراد إلى التكاتف للكفاح ضد الظلم وحماية حقوق البشر أينما كانوا لم يتغير.

ويُعتبر هذا العيد الخمسيني اللحظة المناسبة لنتصور مقدار ما يستطيع الأفراد تحقيقه بتعاونهم، فإذا استطاع كل عضو من أعضاء منظمة العفو الدولية، الذين يربو عددهم على ثلاثة ملايين، إقناع شخص واحد آخر بالانضمام إلى عملنا في سبيل العدالة فسوف نضاعف من تأثيرنا، وعلى نحو ما رأينا في الشرق الأوسط فإن التحركات الجماعية للأفراد الذين يوحد بينهم السعي إلى تحقيق الإنصاف الأساسي يمكن أن تقوى على إسقاط الحكومات القمعية.

ولا يزال الأفراد الذين يُقدرون قيمة الحقوق والحريات في حاجة ماسة إلى العمل المتضافر داخل حدود البلدان وعبر هذه الحدود ما دامت الحكومة تواصل اضطهادها للذين يتصدون للانحراف بالسلطة. وبينما يطالب الأفراد الشجعان ذوو العزيمة الصلبة بحقوقهم وحرياتهم، تسعى الحكومات والجماعات المسلحة والشركات والمؤسسات الدولية إلى تجنب فحص أفعالها والمساءلة عنها.

إننا نستمد الإلهام من إطلاق سراح داو أونغ سان سوكي، ومن شجاعة ليو جياوبو، وصلابة الآلاف من سجناء الرأي، وشجاعة من لا يُحصى عددهم من المدافعين عن حقوق الإنسان، ومثابرة مئات الآلاف من التونسيين العاديين في مواجهة صعاب جمة، حين واجهوا قصة محمد البوعزيزى الفاجعة فصمموا على إحياء ما تركه لهم بعد موته بتنظيم صفوفهم ضد الانحراف بالسلطة الذي أدى إلى مصرعه. إننا ملتزمون في منظمة العفو الدولية بمضاعفة جهودنا لتدعيم الحركة العالمية لحقوق الإنسان، ملتزمون بالكفاح حتى نتأكد أنه لن يشعر فرد آخر بمثل هذه العزلة في يأسه إلى الحد الذي يسد أمام عينيه كل السبل.

## قواعد النشر في المجلة

تمثّل مجلة "الاتصال والتنمية" فضاء بحثيا لنشر البحوث والدراسات الأصيلة والمبتكرة والملتزمة بشروط الكتابة العلمية. وتهدف المجلة الى تجاوز ندرة الفضاءات المخصّصة للنشر الأكاديمي، وفرص اللقاء والحوار بين الباحثين العرب، وتطوير حقل الدراسات التي تتمحور حول الاتصال والتنمية، وذلك من خلال تيسير عملية تبادل المعارف والتجارب البحثية. كما تسعى المجلة الى تشجيع آليات النشر، مما يسمح بخلق فضاءات نشر جديدة بالنسبة للباحثين العرب، والتعريف ببحوثهم وإسهاماتهم في مجال الدراسات الاتصالية والتنموية لدى الأوساط الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، والأوساط المهتمة بإشكاليات الاتصال والتنمية.

ترحب المجلة بمساهمات السادة الباحثين وتقبل نشر الدراسات والبحوث وفقا للقواعد التالية:

- ١. أن يكون البحث أصيلا غير منشور سابقاً.
- ٢. أن يتبع البحث الأصول العلمية والمنهجية.
- ٣. تخضع البحوث المعدة للنشر للتحكيم من قبل هيئة متخصصة. ويمكن أن يُطلب من الباحث إجراء التعديلات على ضوء ملاحظات المحكمين.
  - 3. يرفق البحث بسيرة علمية موجزة عن كاتبه.
- و. يطبع البحث على الحاسوب بخط ١٤ (Simplified arabic)، على أن يكون عدد الكلمات بين ٤٠٠٠ و يطبع البحث على الحواشي والملاحق وقائمة المراجع والمصادر التي توضع في آخر البحث.
  - ٦. يرفق مع البحث ملخص بالعربية وآخر بالإنجليزية، على أن لا تزيد كلمات الملخص عن ٣٠٠ كلمة.
     عنوان محور العدد القادم: الاتصال والتغيير الاجتماعي.
    - ٧- تقبل البحوث باللغات الثلاث: عربي، فرنسي و أنكليزي.

ترسل الأوراق البحثية الى رئاسة التحرير على العنوان: tttisaltanmia@gmail.com

	نموذج إشتراك في مجلة "الإتصال والتنمية" الصادرة عن دار النهضة العربية.
عنوان المشترك :	السادة :
المدينةالمنطقةالشارع	عقد رقم :
هاتففاكسبريد الكتروني	التاريخ :
شيك مصرفي	قيمة الاشتراك: نقداً
مسحوب على	
	ملاحقات:
ادارة الاشتراكات	المشترك
174	للتحويل على: البنك العربي – فرع رياد هاتف: ۲۵۸ ۲۵٦
٧٥	حساب دار النفضة رقم ۱۲۰۰۱۸
· ·	
عنوان المشترك :	رقم ۱۲-۰۱۸
	رقم ١٢-٠١٨ 
عنوان المشترك :	رقم ١٢-٠١٨
عنوان المشترك : المدينةالشارع	رقم ۱۲-۰۱۸ رقم ۱۲-۰۱۸ نموذج إشتراك في مجلة "الإتصال والتنمية" الصادرة عن دار النعضة العربية. السادة :
عنوان المشترك : المدينة المنطقة	رقم ١٢-٠١٨. نموذج إشتراك في مجلة <sup>'ا</sup> الإتصال والتنمية <sup>''</sup> الصادرة عن دار النعضة العربية. السادة : عقد رقم : التاريخ : قيمة الاشتراك :
عنوان المشترك : المدينة المنطقةالشارع	رقم ١٢-٠١٨. نموذج إشتراك في مجلة <sup>'ا</sup> الإتصال والتنمية <sup>''</sup> الصادرة عن دار النعضة العربية. السادة : عقد رقم : التاريخ : قيمة الاشتراك :
عنوان المشترك :  المدينة الشارع الشارع الشارع هاتف فاكس بريد الكتروني شيك مصرفي شيك مصرفي	رقم ١٢-٠١٨. نموذج إشتراك في مجلة <sup>'ا</sup> الإتصال والتنمية <sup>''</sup> الصادرة عن دار النعضة العربية. السادة : عقد رقم : التاريخ : قيمة الاشتراك :

للتحويل على: البنك العربي - فرع رياض الصلح ، بيروت- لبنان هاتف: ۲۰۹۲ ۲۰۰۹ ۱۹۹۰ حساب دار النهضة العربية رقم ۲۰۱۸–۷۵۱